

الرحلة العلمية في قلب الكرة الأرضية

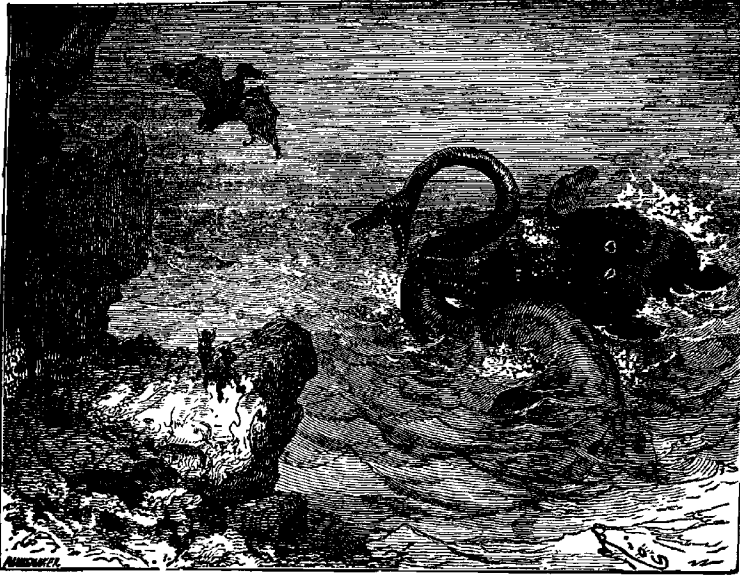
رواية

جول فيرن

ترجمة

اسكندر عمون





الفصل الاول

حدث اكيل ليدنبروك عن نفسه قال - ولدت في اواخر سنة ١٨٤٤ في مدينة هيرج من مدن المانيا وما كدت ابلغ الحلم الا وانا ييم من الاب والام وكان لي عم ضرور يدعى اوتوليدنبروك فاحضنتي واعنني بامري فكان عندي بمثابة الوالد وانا عنده تنزلة الولد وكان قد تبني ابنة ييمة من افاريناتسى غريبه ثارني في السن ولكونها من اترابي تخذتها رفيقة لي في العالي وربيت على حبها فلم يكن يطيب لي عيش الا بالقرب منها وكان في البيت خادمة مسنة تدعى مرثا وهي التي باشرت امر تربيتي وتربية ابنة عمي وكانت سليمة القلب صافية النية صادقة الطوية على جانب عظيم من السذاجة تحبنا محبة الوالدة لاولادها او اشد ونحن نجعلها لذلك ونكرمها واما عمي فكان حاد الطبع صعب المراس ألقى بعيد المستمر اذا طلب شيئا هير الوسن في

سول امرأه إذا كلف نفسه أمراً عكف عليه وأقطع إليه فلا يهناه له بال قبل
ان يفضله وكان عجولاً عبقاً مستبداً برأيه وبحكمه فكان لعل يمتدح نفسه
ويعتقون شره على أنه لم يكن في الحقيقة شريراً ولكن الحدة كانت غالبية عليه
مسلطة على ارادته بل كان محيولاً عليها من ضيعته وهو طويل القامة
رفيع الجسم عصي المزاج اشقر اللون ازرق العينين كبيرها على أن عييه
كأنما متواربين غالباً ورآه نظارته العظيمة الحجم حيث كان لا يزال يلمها
بين الأرض والسماه وكان انه طويلاً رقيقاً كأنه نصلة مدبة وقد زعم البعض
انه مغنط بحيث يجذب الحديد وهو اخلاقى صرف واقفاً محض فانه ما
كان يجذب الا السعوط ولكن بكمية وافرة

وكان الاستاذ اوتو من علماء الجيولوجيا والمعادن الذين يشار اليهم
البحان فانه كان من مجرد رائحة المعدن او منظره او صلاجه او رتبه او طعمه
او من كيفية ذوبانه او من صوت كسره يعرف حقيقته ويعينه من بين الستائة
نوع المعروفة وقد بلغ من الشهرة مبلغاً عظيماً حتى ان كثيرين من علماء
العصر سعوا اليه وزاروه في منزله منهم همفري ديفي وهبولد وسابين وكان
كثيرون من العلماء يستشرون برأيه في ادق المسائل الكيماوية كيكرييل
وايلين وبروستر ودوماس وميلن ادواردس وسنت كلير دوفيل لانه
توصل في هذا العلم الى اكتشافات مهمة ورفع الثقاب عن اسرار غامضة
وقد وضع في البلور النظري كتاباً طبع في مدينة ليبسيك سنة ١٨٥٣ ولكن
ذلك الكتاب مع ما حواه من فرائد الفوائد لم يتم بنقطة طبعه

وكان عي من جملة اساتذة المدرسة الكبرى بهرج حيث كان يدرس علم
المعادن وكان كلما اتى درساً لا بد ان تأخذه الحدة مرة او مرتين على الاقل
ذلك انه كان في لسانه ثقل في النطق وحسنة في الكلام وكانت تزداد لعنته
لذا قام في متبر الخطابة فان علم المعادن يشتمل على كلمات متعقدة لم يكن



وهو طويل القامة رقيق الجسم (صفحة ٤)

ينطق بها لسان الاستاذ الا بعد التردد الشديد والمقاومة العنيفة فطالما وقف في اثناء خطابه يحاول لفظ كلمة من تلك الكلمات الثقيلة وبعد الجهد والمشقة ينطق لسانه بلعنة او لفظة شتم بدلا من ان ينطق باسم من الاسماء العلنية . يستصعب النطق الصريح لسانه ويجيء بعد عنائه بالمهم . وإذا عصاه مراده يعتاضه بالنسب والقول الشديد المؤلم . نعم ان تلك الكلمات المركبة من اللاتينية واليونانية يصعب لفظها على كثير من كجيلينيت وفنجاسيت وملبدات الرصاص وتنجستات المغنيسيا وتيتانيات الزيرقون فلا عجب اذا تعذر لفظها على لسان ألكن ولا حرج عليه بذلك

على ان كثيرين من ظرفاء المدينة كانوا يأتون المدرسة لجرد حضور مقالات
الاستاذ اوتوليدينبروك وكانوا يقفون له بالمرصاد عند المواقع الخطرة اي
الكلمات الثقيلة فاذا تعلم لسانه عندها طمتموا يصحكون فيزداد الاستاذ غيظاً
ويستشيط غضباً من تلك الكلمة المستعصية فاذا اعاد لفظها وهو في تلك الحالة
من الحدة ازداد شططاً ولم ينطق لسانه الا بقرعة عنيفة تنجلي بعد برهة عن
لعنة بسيطة

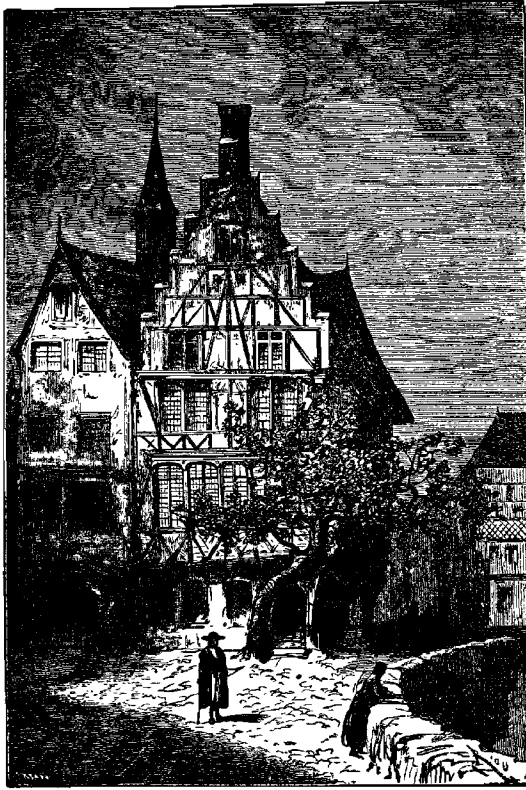
وكان عمي في الوقت نفسه متولياً حفظ مجموعة الموسيواستروف سفير الروسية
التي كانت من الانتيكانات المشهورة في جميع أوروبا

واما سكنه فكان في المنزل نمرة ١٩ بشارع كونيغستراس الذي نجا من حريق
سنة ١٨٤٢ : وهو اقدم شوارع المدينة وبيته من اقدم بيوت الشارع المذكور
نصفه مبني بالخشب والنصف الآخر بالطوب وكان مثلاً قليلاً بحيث ان
احد حيطانه كان مائلاً نحو الشارع وسطه منحنياً الى الورا كقبة عساكر
البحرية ومع ذلك فقد الفناه على تلك الحالة ولعله لم يستطع لانه كان متكئاً
على شجرة دردار قائمة بلصق الحائط

وما حسن بيت له زخرفه تراه اذا زالت لم يكن

وكان عمي قد اتخذني مساعداً له في امتحاناته وتحضيراته الكيميائية
وكتب مائلاً بالطبع الى علم المعادن ولذلك كنت اتلقى الدروس عنه باجتهاد
واقبائه زائدين ولم اكن امل من الاقامة بين شذور مجموعته الثينة لاسيما اذا
كانت ابنة عمي معي

وبالمجمل فان ايماننا التي قضيناها في ذلك البيت كانت هنيئة وعيشتنا
فيه رغبة رغماً عما كان يخامرنا من الكدر بسبب حدة عمي وهياجه وتغارب
غضبه لاسيما انه كان يجني محبة شديدة هذا فضلاً عن اتنا مع الوقت الفناه على
علائه وتعودنا على معاملاته وكما نعدره لملنا ان تلك الطباع متمكة منه متسلطة



واما سكة فكان في المنزل نمره ١٩ (صفحة ٦)

على نفسه فكان اذا زرع نباتاً واستبطأ نموه يأتيه في كل يوم ويجذبه من اوراقه
بقصد تعجيل نموه واذا مشى قاصداً جهة من الجهات ينهب الارض نهباً
وهو يعدو الجهمزى وكفاه متبضتان شأن الرجل العنيف الطباع ولذلك كان
ينفر منه كل من يراه عند اول وهلة وكثيراً ما كان يكسر ادواته الكيميائية
لاستعماله اياها بالعنف والقسوة

يستحضر الجسم المراد بحكمة وينال من اعماله المطلوب
لكن اذا مس الجهاز بقوة اذرى الوقود وكسر الانبوبة

الفصل الثاني

في يوم الخميس الواقع في ٢٤ مايو سنة ١٨٦٢ خرج عي من البيت صباحاً
 كجاري عادته وكان لا يعود عادةً إلا لمناولة الطعام إذا اتصف النهار فممت
 بعد خروجه بساعة الى شرفة من شرف المنزل اتسم الهواء النقي وأسرح الطرف
 في الخلاء وبينا انا على ذلك حانت مني التفاتة الى الشارع فرأيت عي
 عائداً الى المنزل بسرعة غير سرعته الاعتيادية وكانت الخادمة مرتا يجانبي
 فظننت انها تأخرت في الطبخ عن الميعاد لان الطعام كان لم ينفج بعد بل لم
 يكن للتدر غطفلة فقلت في نفسي ان كالي عي جائعاً مع ما هو عليه من
 قلة الصبر فسرى منه الساعة شراً عظيماً ثم اكتمت مرتا ان عي عاد قبل
 ميعاده ولذلك لاحرج عليها اذا لم تكن هيأت الطعام فسكن جاشها وقالت
 واي داع اذن لحضوره في مثل هذه الساعة فوالله ما اتانا مرة قبل الميعاد
 الا الامر عظيم ثم انصرفت الى المطبخ بعد ان اوصتني بتسكين غضبه انا ما
 اخذه الغضب على اني كنت ابعد الناس عن اتباع مشورة مرتا لاني
 كنت اشراهم بطماع عي وعناده ولذلك عزمت على دخول غرفتي لا توارى عن
 نظره فلم اشعر الا وقد فتح الباب الخارجي ثم رد بقوة وعنف فاهتزت
 جدران البيت بينا كانت قوائم السلم الخشبية ترقص تحت وطأة الاستاذ
 وحينما دخل القاعة رمى بعضاه احدى زواياها والتي قبعتها الواسعة على الطاولة
 وابتدرني بهذه الكلمات : يا اكسيل انبغني ودخل مخدعه فهرولت نحوه
 مسرعاً خوفاً من ان يستبطنني ومع ذلك فما ادركته الا وقد فرغ صبره
 وكان مخدع الاستاذ متخفاً حقيقياً يخنوي على جميع اجناس المعادن
 بأنواعها وهي موضوعة فيه بغاية الترتيب والانتظام مقسومة الى اقسام ثلاثة بحسب
 التقسيم العام قسم للمعادن القابلة للاشتعال وقسم للمعادن الغير قابلة
 للمعادن اللينة وكنت اعرف تلك الشذور والاركة حق المعرفة بل كنت

كلما بها كلف العاشق بمشوقه فكم من يوم صرفته في تنظيفها وفرزها بدلاً
من ان اصرفه في اللعب مع اقراني وكم من ليلة احببتها بالتأمل فيها اجل
الطرف بين اللباجين والانتراست والحث واللكيث والزفت والبيت
والحمز والكبريت والنفاديوم والروبيديوم والزركونيوم والليثيوم والغلوسينيوم
والكلسيوم والسترتيوم والتريوم واليتريوم والاريوم والسيريم والديديوم
والروثينيوم والروديوم والنيوبيوم والباريوم والبلاديوم والاسميوم والاريديوم وسائر
المعادن الفلزية والاملاح العضوية وكلها متساوية في القيمة من حيث الفائدة
العلمية بيد اني لما دخلت المخدع على اثر عي لم انظر الى هذه الدرر ولا افتكرت
فيها لانني كنت مشغولاً عنها بعني وكان وقتئذ جالساً على كرسية محققاً نظره الى
كتاب بيده يتصفح مردداً عبارات الاعجاب والانتهاج وكان ولو غاف بالكتب
مغموراً مجتمها ولكنه لم يكن يعبر كتاباً الا اذا كان نادر الوجود او كان على
الاقل بالياً رثاً بحيث تشعذ قرآته وبعد ان وقفت امامه برهة نظر الى بوجه
منهل فرحاً وقال ما قولك في هذا الكتاب انه لكثير ثمين وقد عثرت عليه
في هذا الصباح في دكان هينيلوس اليهودي فاجبته في الواقع هودرة تهمة
على اني لم اكن اعرف ما هو ذلك الكتاب ولكن لم يكن في وسعي الا
الافرار على رأي عي وكان يقبله بين يديه ولوائح الرضا والانتهاج تلوح على
وجهه وهو يخاطب نفسه ويجاوبها قائلاً هل من كتاب اثنى منه كلا فله در
مؤلفه ودر مجلده فما احكم جمعه واتقن صنعه وما اطوعه اذا فتح وما اضبطه اذا
اغلق فشتان بين مجلده وامهر مجلدي هذا العصر بل من يراه ويظن ان
له في عالم الوجود اكثر من مائة سنة مع انه قد تجاوز عشرة الاجيال بخ مج
يد يد

وكان في اثناء ذلك يفتح الكتاب ويطبئه ويأخذ نارة باليمين وطوراً
بالشمال فلم يسعني الا ان اسأله عن موضوعه وكنت انظاه بالاندهاش لحسن

ذلك الكتاب مجازة له ورغبة في ارضائه فاجابني بعجب وافتخار قائلاً
تسألني عن هذا الكتاب فاعلم انه كتاب الحيوان تأليف ابي عثمان عمرو
بن بحر بن محبوب الملقب بالمجاحظ امام الفصحاء والمتكلمين الذي توفي في واسط
الجيل الثالث للهجرة

قلت أليس هو الذي قيل فيه
لو بسخ الخنزير مستخاً ثانياً ما كان الادون فيح المجاحظ
قال بل هو الذي قيل فيه ما فضل الله تعالى به امة الاسلام على غيرها من
الام عمر بن الخطاب بسياسته والحسن البصري بعلمه والمجاحظ ببيان
قلت وهل هذه هي ترجمة ذاك التأليف الى اللغة الالمانية
قال أف لك وما هي قيمة الترجمة فهل تظن اني كنت اكثرت بها فاعلم ان
هذا الكتاب هو التأليف الاصيل الذي وضعه مؤلفه في اللغة العربية اشرف
اللغات واغناها وان هجرها الجاهل وعادها
قلت وهل حرفه جميل

فنظر اليّ الاستاذ شزراً وقال اتحسبه مطبوعاً يا غافل مع ما رأيت من شغفي
به فاعلم انه كتب اليد بالخط الكوفي الذي اخذته طي عن كاتب الوحي للنبي هود
عليه السلام

ثم اردف كلامه قائلاً انظر الى هذه الكتابة ايها الفر الجاهل وتأمل هذه
الحروف ايها الكافر ولتأخذك الدهشة من هذه الرموز الالهية
وكان يقول هذا الكلام بمجدة وحرارة ونظرة هائجة في قفار التصور وكانت حاله
اشبه بمجالة رجل سلب عقله او غاب رشده ولا حرج عليه فان العلم كان
مغيبه والعلماء رسله وانبياءه واما انا فلما لم اجد لدي جواباً ابديه هميت بان
اجتو على ركبتي احتراماً للكتاب واجلالاً لرموزه غير انه عرض امر حوّل الحديث
عن موضوعه وكفاني عنه الركوع . ذلك انه سقط من الكتاب بيما كان عي قلبه

بيديه رقعة قذرة صفراء كانت محفوظة فيه فاتقضى عني عليها انمضاض البازي
على الياغات واتشلها ويدها ترتجفان ثم يسطها بجرص واعننا على مكتبه وكان
ظولها نحو خمس اصابع وعرضها نحو ثلاث وعليها كتابة حروفها عربية الا ان
كلماتها بربرية

ولما كانت هذه الكتابة قد حملتني وعي على سفرة لم تخطر ببال عاقل من
اهل العصر التاسع عشر قد حفظت رسمها وهذه صورتها
مهران بتخاس سكتهاها وليون نسلالا كفايظك سيوفير بريسيب
رطينة اضوره اريتاو نارلف الهكنف الشسيم

الفصل الثالث

تأمل الاستاذ هذه الكتابة برهة ثم نظراي وقال لاشك ان هذه الاحرف
عربية ولكن كلماتها بربرية لا ارى لها معنى
فقلت له من اين لنا ان نحكم بانها عربية مع علمنا ان حروف اللغات العربية
والفارسية والتركية واحدة في الرسم

قال لا فان هاتين اللغتين تشتملان على حروف اربعة لا وجود لها في اللغة
العربية وهي الباء والجيم والزاى والكاف الفارسيات والمحال اني لا ارى منها شيئا
في هذه الرقعة مع انها تشتمل على اربعة وثمانين حرفا

وكان الاستاذ يعرف جميع اللغات المألوفة لا اريد بذلك لغات الارض
اجمع التي يبلغ عددها نحو الالفين فضلا عن الالسن التي تبلغ اربعة الاف بل
الشهيرة منها وبيننا نحن على ذلك دق ناقوس الظهور وفي ذلك الوقت ففتح مرتا
الباب وقالت سكبت الشوربا:

فاجابها عني لعنة الله على الشوربا والى لعنة على من طبخها وعلى من
ياكلها

المسند الحميري وكانت حروفها كلها منفصلة وكانوا ينعنون العامة من تعلمها فلا يتعاطاها احد الا باذنهم حتى تعلمها مرامر بن مره واسلم بن سدره وعامر بن جدره وهم من عرب طي على كاتب الوحي للنبي هود عليه السلام فتصرفوا فيها ووضعوا الخط الكوفي وسموه بخط الجزم لانه جزم اي اقتطع وولد من المسند الحميري ثم علموه اهل الانبار ومنهم اشتهرت الكتابة في البلاد العربية ثم سمي قبا بعد بالخط الكوفي وكان الخط غفلاً والمحروف مبهمه الى ان خالطت العرب الاعاجم وتغيرت السنتهم فكثرت اللحن والتصحيف في قراءة المصحف الشريف فوضع ابو الاسود الدؤلي الشكل في ايام معاوية ووضع نصر بن عاصم النقطة افراداً وازواجاً في ايام عبد الملك بن مروان منعاً للاشكال والابهام واستمرت الكتابة بالخط الكوفي الى اواخر القرن الثالث للهجرة اذ جاء ابن مقلة الوزير ابو علي ونقلها الى الطريقة المألوفة في ايماننا او ما يقاربها ثم جاء بعده علي بن هلال البواب الكاتب البغدادي فذهب طريقته ونجحها فصارت على ما هي عليه الان فعميت لسعة اطلاعه ورأيت حكمه في محله

ثم اضاف قائلاً يظهر من ذلك اذا ان شخصاً من الذين تداولوا هذا الكتاب حرر هذه الرقعة السرية ولكن من هو ذلك الشخص يا ترى ألم يضع اسمه على احدى اوراق هذا الكتاب قال ذلك ثم نزع نظارته واخذ عدسة قوية وامرّ نظره بواسطتها على الصفحة الاولى ثم الثانية من الكتاب فوجد في اسفلها كلفاً اشبه بملح من الحبر اذا نظر اليه بالعين المجردة فتأمل قليلاً وتبين له انه كتابة معقدة لم يبق منها الا الاثر وبعد انعام النظر والتدقيق قرأ اسم ارن سكوسيم مكتوباً بحروف الميلاندية تعرف بحروف اودين وهذا رسمه

1111 4111111111

ولما قرأ ذلك الاسم تهلل وجهه بالفرح ثم قال بصوت الظافر

أرن سكوسيم هو من اهالي ايسلاندا من غناء العصر السادس عشر وهو
كيمياوي شهير

ثم اضاف قائلاً ان هؤلاء الكيماويين كائن سينا وباكون وبرسليز هم علماء
زمانهم دون غيرهم فقد اكتشفوا اسراراً علمية لا تزال تعجب منها ومن المحتمل ان
يكون سكوسيم اكتشف امراً عظيماً وادع سره هذه الرقعة المبهمة نعم لا بد ان
يكون كذلك لان سكوسيم كان من اشهر العلماء ولولم يقصد اخفاء امر ذي
شأن عن ابناء عصره لما اختر لغة غريبة دون اللغات الاوربية وجعل الكتابة
على ما هي عليه من الاشكال

قلت ولماذا اختر سكوسيم اللغة العربية دون بقية اللغات الشرقية فلو
كان قصده اخفاء سر ما عن ابناء عصره لكان الاولى به ان يكتبه بلغة اقل انتشاراً
من اللغة العربية

قال لا بد ان يكون لذلك داع

ثم اطرق لحظة وقال لكل لغة عمر محدود وان طال فاذا انقضى اندثرت
اللغة واضمحلت او انتقلت من حال الى حال الا اللغة العربية فانها آمنة من
بوائق المحدثان ولا تتغير بغير الزمان لان الله انزل فيها كتاباً فدام على وجه
الارض مسلم فهي قائمة لا يخشى عليها من النسيان واظن ان ذلك هو السبب
الذي حمل سكوسيم على اختيارها دون بقية اللغات لانه لم يقصد ملائمة امر
اكتشافه بالمرّة بل اخفاه حيناً من الدهر

قلت لا بد ان يكون الامر كما قلت ولكن ماذا عسى ان يكون حمل ذلك
العالم على اخفاء اكتشاف من الاكتشافات الغريبة

قال وهل ادري ذلك أما اخفى غليبيوا اكتشافاته المتعلقة بزحل عن اهل
زمانه ومع ذلك فستقبل لنا الحقيقة وحرام على الطعام والنام قبل ان اتف على سر
هذه الرقعة

فتأوهت لذلك فقال وعلبك ايضاً يا أكسيل
فحمدت الله الذي الهمني التهام الطعام حين كان عي مشغلاً برفقته
يلعن الشوربا وطابخها ومن يأكلها

- - - - -

الفصل الرابع

بعد أن بقي الاستاذ برهة يعمل الفكرة وهو يناجي نفسه قال نعم هذه الكتابة
عربية لاشك فيها ولكن احرف الكلمة الواحدة مختلطة باحرف الكلمة الاخرى
ولا بد من الوصول الى فرزها

فقلت في نفسي ان تيسر لك ذلك يا عاه فانت ادهى من ابي مره
ثم رجع يخاطب نفسه فقال هذه الرقعة تحذوي على اربعة وثمانين حرفاً
مختلة التركيب اختلالاً واضحاً وكل ستة منها جعلت كلمة واحدة ولا اظن ابداً
ان هذا الوضع نتيجة الصدفة بل لا بد ان الكاتب احنى فيه قاعدة ما فلا بد ان
تكون العبارة كتبت اولاً كتابة صحيحة ثم اقلب وضعها بطريقة مجهولة وهي الطريقة
التي يجب علينا ان نبحث عنها فن وقف على مفتاح هذا المعنى قرأ هذه الكتابة
وفهم مضمونها ولكن من لي بهذا المفتاح عسى ان تكون وجدته يا أكسيل
اما انا فلم اجبه على سؤاله وذلك لان نظري كان قد وقع على رسم لائنة عي
غربية معلق على الحائط فمال النظر اليه والفكر في صاحبه بيني وبين الاجابة
وكانت يومئذ عند احدى اقاربها في ألونا وهي قرية بجانب المدينة وكنت
حزيناً لفراقها كثيراً لبعادها لاني كنت كثير الشغف بها والميل اليها
ملاً القلب حبها وهواها يعلم الله صار اكبر هي
ونسيت الوجود طراً فلا غر وأنا ما نسيت اقوال عي
وكنت قد خطبتها بدون علم عي لانه لم يكن يدرك عواطف المحبة وعوامل
الغرام اذ ان كلفه بالعلوم قد اشغل فواده وعقله عما سواها



وكانت غريبة صبوحة الوجه وضاحة الجبين (صفحة ١٦)

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصباية الا من يعانيتها

وكانت غريبة صبوحة الوجه وضاحة الجبين شقراء الشعر زرقاء العينين بارزة
النهد مائلة الى الجذو والرصانة بعيدة عن الهزل والطيش وهي مع ذلك شديدة
الولع بي فلما وقع نظري على رستها خفق فوادي لذكرها ونسيت عي ورقعته
وسكنوسم ورقاعته وغصت في بحار الافكار فذكرت ايام قرب حبيتي
والاوقات التي كانت تساعدني فيها في تنظيف مجبوعة المم وكانت مائلة الى
علم المعادن راغبة في اتقانه فكم من ساعة صرفناها معاً نبحث في ادق المسائل
الجيولوجية وكمن مرة حسدت الشذور والركزان التي كانت تملها يداها اللطيفتان

وهل في عالم الانسان احلى من العلم المعزز بالجمال
لصاحبه على الارواح بطش فاما بالخلال او الدلال

ثم ذكرت اوقات النزهة اليومية اذ كنا نسير سوية حيث لا عذول ولا
رقيب نجوس خلال الرياض ونحن نتجاذب اطراف الحديث واعطاف الكلام
وتتأرجح الروايات الادبية والابحاث العلمية حتى اذا بلغنا شاطئ البحيرة اثنتين على
ضفة نهر الألب فتقف هناك برهة نراقب الجمع يغتسل في مياهه ثم نعود الى المنزل
على قارب بخاري

وبينما كنت اذكر ذلك واتلف على تلك الايام الماضية ايام السرور والهناء
ضرب عي المكتتب بيده ضربة قوية فاتتهبت من غفلي مجفلاً اجفال الظلي
المذعور وغاب خيال ابنة عي عن عيني ورأيت شخص الاستاذ متصباً امامي كأنه
مارد من مرده الجن فكنت كمن سقط من جنة النعم الى قاع الحجيم
وكان عي اذ ذاك يكلم نفسه قائلاً اذا اراد احد ان يجل ترتيب احرف جملة
ما فاري ان اول فكر يطرأ عليه هو ان يضعها على خط عمودي بدلاً من ان
يضعها على خط افقي

فقلت في ذلك نظر

ثم خاطبني قائلاً سنرى نتيجة هذا الامتحان فخذ يا اكسيل هذه الورقة
واكتب عليها اي جملة خطرت ببالك ولكن بدلاً من ان تضع حروف الكلمات
متتابعة مرتبطة ببعضها ضعها منفصلة على خطوط عمودية ستة

فادركت قصده وفي الحال اخذت القلم وحررت بيتاً من الشعر كنت في
ذلك الوقت اردده بفكري ووضعت حروفه بحسب اشارته على الاسلوب الآتي

ب م ي و م ا
ا ي ب ا ي ك
ب ي ة ن ف ف

ي ا ف ا و د

و غ ا و ق ا

ا ر ك ع ذ ك

ولما فرغت من الكتابة عرضت الرقعة على الاستاذ فالتفت نظره عليها بدون ان يقرأها وقال احسنت فضم الان حروف كل خط اتي الى بعضها بحيث يصير كل خط كلمة واحدة

ففعلت كما اشار وقرأت الالفاظ الالية

ببوما ايمايك بيتنف بافاود وعاوفا اركعذك

ولم اتم القراءة حتى اخنطفت عني الورقة من يدي قائلاً نعم نعم هذه الالفاظ اشبه شيء بكلمات الرقعة السرية ولعل سهي اصاب الغرض

ثم نظرالي وقال اني لم اقرأ الجملة التي كتبها فاذا اردت ذلك فليس لي الا ان آخذ الحرف الاول من كل كلمة ثم الثاني فالثالث وهلمّ جرّاً فانال المقصود

ثم فعل كما قال وقرأ البيت الاتي ولوائح الدهشة والتعجب ظاهرة على وجهه

باي وامي يا غريبة فاكِ وانا وعمي فوق ذاك فذاك

واما انا فكنت اشد منه حيرةً ودهشةً لاني كتبت ذلك البيت بدون اتباعه ففضحت نفسي واطلعت عني على سري وما زاد في الطين بلة هو اني جعلته فدياً لغريبة فلعلت قريحتي ووقفت موقف الخجل المذنب انتظر من عمي اشد التبكيت وامر التعنيف

واما هو فبعد ان قرأ البيت نظرالي نظرة المعلم الصارم وقال بصوت

المتوعد تحب غريبة وانا وانت وابوك وامك فدياً لها

فاردت المجاوبة ولكن ارجع علي وارتيكت الى ركني فقلت لا ثم قلت نعم

ثم قلت لا واماعي فبني يردد قوله تحب غريبة وتنديها بي ولكنه كان يقول ذلك

بدون انتباه وأفكاره مشغلة بجل كتابة الرقعة فحمدت الله الذي حول غضبه
عني وأثبتت على كاتب الرقعة التي شغلته ونسيت اني لولا تلك الرقعة لما فرط مني
ما فرط وكان عمي لا يزال يردد تلك الكلمات ثم نظر اليّ وقال
ان صح ذلك فأنستعمل هذه الطريقة لحل الرقعة السرية
فقلت في نفسي ان كان حل الرقعة موقوفاً على صحة محبتي لغريبة فبشر الاستاذ
بفوز قريب

ثم اخذ يسرد عليّ حروف الرقعة السرية بحسب الطريقة التي وضعناها
فانعكست حروفها بالكيفية الآتية

م ي س و ن ك
س ن ر ا ا ن
ا ا ه ت ك ل
س ق ي ر ط ض
ر ا ل ا ب ل
ق ي ل ا و ي
ن و ي ر ه ش
ر خ ا و ا ي
ف س ي ر ت ر
ك س ا ا ه ل
ل ظ ي ي ت ل
ا ل ف ي ن س
ا ن ا ك ر ب
ه ه و ف ن م

وفي أثناء ذلك كان الأستاذ يضطرب اضطراباً هائلاً كالقأمر إذا راهن على جميع ماله دفعة واحدة وأزفت دقيقة فصل الخطاب وكانت عيناه تلعبان ويدها ترتجفان وكنت أنا مشاركاً لهُ بعض المشاركة في حاساته وإنفعالاته ولما اخذ الورقة من يدي حبست نفسي وأعرته أذنًا صاغية منتظراً منه كشف القناع عن سر تلك الرقعة

أما هو فبعد أن تأمل الكتابة برهة قال ميسونك سنرا آن آآآ... ما معنى هذه الألفاظ ثم اخذته الحدة وضرب المكتب بيده ضربة هائلة فستط القلم من يدي وأندفق الخبر من الدواة وبعد ذلك اندفع الأستاذ من الباب كخبر المنجنيق وخرج من البيت وهو يرغي ويزبد كالفتيق فسكن جاشي لانصرافه وانفكت قيود أسري

وكانت مرثا قد سمعت قلقلة المفتاح في القفل فأسرعت نحوي وقالت أخرج

عك

فقلت نعم

قالت ولكنك لم يأكل بعد

قلت لن يأكل أبداً

ففزعت من ذلك وقالت كيف هذا

فقلت لها اعلمي يا عزيزتي مرثا أن عي قد حرم الأكل على نفسه وعلى كل أهل

بيته حتى يوصل إلى حل معي هو اعقد من ذنب النصب

فجذعت مرثا لذلك الخبر واصفر وجهها وأرتعدت فرائصها وبعد أن اطرقت

برهة قالت قضي علينا نحن بالموت جوعاً

وكنت أخاف فعلاً أن يكون ذلك ما قدر علينا نظراً لما اعهدده في عي من

العناد ولما رأيته في الرقعة من الاشكال وأما مرثا فانصرفت إلى المطبخ وهي في

حالة بأس بين



واما مرثا فانصرفت الى المطبخ وهي في حالة يأس بين (صفحة ٢٠)

الفصل الخامس

بعد انصراف عي خطر بيا لي ان اتوجه الى قرية التونا حيث كانت غريبة
اقص عليها الامر وكنت اعلم بانها لا تستطيع ان تحوله عن غزوه ولكن
كوى المصاب تخفف الم العذاب

يسرى عن الانسان ان يث حزنه ويرتاح للشكوى لمن يتعشق
غيراني خشيت من ان يعود الى البيت في اثناء غيبي لامتحان طريقة اخرى فلا
بدني وخوفاً من العاقبة بقيت في مكاني ثم تذكرت ان صديقاً لعي من علماء
الجولوجيا كان قد اهدانا في امس ذلك اليوم بعض قطع سليكية وهي حجارة تبلور قلبها

فاخذت اشتغل بفرزها ووضعتها في المحلات المعدة لها ولما فرغت من ذلك
اتكأت على كرسي عمي واخذت ادخن ورأسي ملقى على ظهر الكرسي وعيناي
ترقبان صعود الدخان وكنت انامل صورة الحواري المشوشة على الحجر التي بعد
ان كانت تحاكي الثلج بناصع بياضها اصبحت زخية حالكه السواد بسبب فعل الدخان
المسمر وكان لم يزل فكري مشتغلاً بامر الرقعة السرية وما نفع عنها فقلت يا ترى
هل من عامل من العوامل الطبيعية قادر على تبديل حدة عمي بالاعتدال
وشدته باللين كما تبدل بياض تلك الصورة بالسواد وضعت ذلك السؤال
ولم استطع عليه جواباً ومهما يكن من ذلك فاني كنت معتقداً كل الاعتقاد ولا
اظنني مخطئاً ان عمي كان في تلك الساعة تائهاً في برة المدينة يفرع الشجر بعصاه
ويدوس الزهور برجليه وهو يقاتل خياله ويكافح سرهاله وما كنت ادري ايرجع
فاتراً منصوراً ام يعود كئيباً آيساً من حل تلك الكتابة التي كادت تسلب
عقله ثم اخذت بيدي الورقة التي حررتها بخطي وكنت بعد ان سمعت ما اقام عمي
من الادلة ايقنت ان تلك الحروف لم توضع عبثاً ولا كان اختلال تركيبها جزافاً
فقلت في نفسي اذا تقرر ذلك فلا بد ان يكون لهذه الكتابة شأن ولربما تحوي على
اكتشاف عظيم لان نفس تعقيدها بالكيفية التي هي عليها هو دليل كاف على ذلك
والا لما كان يحرص محررها على ما حوته فلا شك ان تعقيدها كان يقصد حفظ
وصيانتها من ايدي العامة ثم حاولت ان اركب من تلك الحروف كلمات مفيدة
فلم تيسر لي ذلك وبعد ان اشتغلت بها ساعة اعياني التعب وكنت عيناى فرفعت
نظري عن الورقة الا اني بقيت ارى الاربعة وثمانين حرفاً تحوم حولي كأنهم
شهب نارية او خطوط فوسفورية وكان قد كلل وجهي العرق فصرت اتروح
بالورقة بحيث كان يقع نظري تارة على وجهها وتارة على ظهرها وبينما كان ظهره
متيحاً نحوى والكتابة تلاًلأ عليها متقلبة وقع نظري على السطرين الاخيرين منه
فقرأت (من فوهة بركان) فوقفت بيدي عن الحركة واضطربت جميع اعضائه

واحدة لاني في تلك اللحظة ادركت سر ذاك المعنى وعرفت ان العبارة كتبت
حروفها اولاً على خطوط عمودية ستة يحوي كل منها على اربعة عشر حرفاً ثم
نحت حروف كل خط اقلي الى بعضها بحيث صارت كلمة واحدة ثم وضعها كاتبها
على الرقعة منعكسة مبتدئاً من آخرها ومنتهاً بالاولها رغبة في زيادة الاشكال
لنحقق لي ان عمي محق في حكمه على لغة الكتابة بانها عربية مصيب في اختيار
القاعدة التي استعملت لتغيير ترتيب الحروف بحيث صارت الكلمات مبهمة
معقدة كما رأيناها وفي ذينك الامرين كانت الصعوبة الحقيقية وما كان باقياً
ينة وبين الفوز الاشئ يسير جداً فذلك الشئ اليسير الذي فات عمي ادركته
انا بمجرد الصدفة

ولربما كدح المحكم لفكرة وسواه ادركها باول نظرة
ففي تلك الساعة كنت مضطرباً اضطراباً رائداً وقلبي يخفق خفقاناً شديداً
لأن من فاجأه الظفر ولم يدركه الامنية فانه لم يكن لي الا ان اقرأ الكتابة
بالقلب مبتدئاً من آخرها لكي اقف على السر الذي تضمنته ولكني تركت الرقعة
على المكتب وذهبت الى احدي نوافذ المخدم وتسمت الهواء البارد برهة حتى
سكن روعي وهذا اضطراب اعصابي ثم رجعت الى محلي وانكأ على المكتب
نوق الرقعة وتلوتها منعكسة بدون ان اتوقف فيها البتة فجأت عبارة عربية
نصيجة صريحة وهذا نصها

(من فوهة بركان اسنفل التي يظللها اسكرتريس في اواخر شهر يونيو الى قلب
الارض طريقة سلكها انا ان سكوسيم)

ولم اتم قراءة العبارة حتى اخذتني الرعدة ثم لبثت برهة لا ابدي حراكاً كمن
غاب رشده وبعد ذلك انتهت كمن يستيقظ من حلم وظننت ان ما نظرتة
هو مجرد رؤيا فقرأت الكتابة ثانية وثالثة حتى لم يبق عندي ريب في الامر فاخذني
لعجب الشديد من جسارة ذلك الرجل ثم داخلي الرب في صدق الرواية لاني

لم اكن اتصور امكان حصول ذلك الامر الغريب ثم تذكرت عني فوثبت من على الكرسي خائفاً مرتعداً لاني قلت في نفسي ان عرف هذا الامر فلا بد من ان يقتنى اثر سكونسيم فانه ليس دون المذكور جنوناً وهو مائل بالطبع الى الاكتشافات متمالك على مشاهدة المستغربات وكم تمنى باستكشاف صغير فكيف بامر مثل هذا خطير فليس من سبيل الى تحويله عن عزمه بل لا بد له من ان يأخذني بصحبته وليس بعد تلك الرحلة من رجوع وفي نفس ذلك الوقت افكرت في غربة والعذاب الذي افاقيه انا فارقتهما فاخذت على نفسي اخفاء الامر عن عني وقلت ان ابقيت هذه الرقعة فلربما توصل ولو بعد مدة الى حلها كما توصلت انا الى ذلك بطريق الصدفة وفي ذاك الوقت كنت ارى حلها سهلاً جداً كما يحصل لكل احد بعد اطلاعه على حل معي او لغز ولذلك عزمت على احراق الرقعة التي حررتها بيدي ورقعة سكونسيم ايضاً فاخذتهما بيدي وتقدمت نحو الموقدة واذا بالباب قد فتح فرأيت عني داخلاً مسرعاً فارجعت الرقعتين الي محلها على عجل وسلمت الامر لله اما الاستاذ فدخل صامتاً وجلس على كرسيه امام المكتب وهو غائص في بحار الافكار ثم اخذ القلم بيده وشرع بحرر ارقاماً حسابية ومعادلات جبرية ويدا في ارتعاش فاخذت اراقب عمله وحركاته خائفاً من ان تؤدي تلك الطريقة الجديدة الى الغاية المقصودة على ان خوفاً كان في غير محله اذ ان الطريقة الوحيدة التي تؤدي الى المطلوب هي التي توصلت بها الى قراءة الجملة فكل طريقة سواها فاسدة بالطبع فبقي عني نحواً من ثلاث ساعات يكتب ويشطب ويثبت ويعو فنجرب طريقةً ثم يعدل عنها ويذهب الى رأي ثم ياي عنه فكلما عرض له فكر سار معه كالسائر المتخبط وكنت اعلم جيداً انه اذا قلب وضع احرف الرقعة بكل الكيفيات الممكنة يتوصل الى تركيب الجملة على صحتها ولكني كنت اعلم ايضاً ان عشرين حرفاً فقط تتركب على ٢٤٣٢٩٠٢٠٠٨١٧٦٦٤٠٠٠٠ وجه فكيف باربعة وثمانين فلا ريب ان عدد الوجوه التي تتركب عليها يكاد لا ينطق به لسان الانسان ولذلك

كنت مطمئناً من ذلك القليل فجلست على كرسي بآراء عبي وتركتني يخبط في أرقامه
خبط عشواء

وكانت قد غربت الشمس فتفتحت مرتا الباب وقالت هل سيدي عازم على
تناول الطعام الليلة

فلم يسمعها الأستاذ لأنه كان غائصاً في بحار الأفكار فقلت راجعة من حيث
انت وإما أنا فبعد ان بقيت ساعة تأخذني الأفكار ونحيبي يي غلب عليّ النعاس ففتحت
على الكرسي حتى الصباح اذ أفرسني البرد فاستيقظت وكان عبي لم ينزل الى تلك
الساعة مكباً على عمله عاكفاً على شغله وعلى وجهه شعوب وفي عينيه احمرار
فعلت انه قاسى اشد العناء وهو يحاول الاستعيل وكان من وقت رجوعه اخر
مرة الى البيت لم يعاوده الغضب قط بل لم يفه ببنت شفة فاخذتني الشفقة عليه
وخشيت من ان يطرأ عليه عرض فجأة بسبب استمرار تنبيه افكاره وانحصار
الانفعالات النفسانية في فواده وكان في امكاني ان انشله من الضيق الذي كان
فيه بكلمة واحدة ولكني لم افعل ولم يكن سكوني عن قساوة مني فاني لما شاهدت
عبي في تلك الحالة كاد قلبي يتفطر ولكن الحالة قضت عليّ بالتزام السكوت المصلحة
عبي نفسه لاني كنت معتقداً كل الاعتقاد انه لو اطلع على ذلك لما تأخر عن اقتفاء
اثر سكونه ولو كان دون ذلك احوال ولهذا كنت مصيماً على اخفاء ذلك السر
الذي اطلعتني عليه الصدفة وقلت ان اطلع عليه عبي من تلقاء نفسه فليفعل ما
يشاء وإما أنا فلا اريد ان اكون سبباً في هلاكه وبناءً على ذلك اقميت في مكاني
منتظراً الفرج من الله

وفي تلك الساعة ارادت الخادمة مرتا ان تتوجه الى السوق لاجل شراء
بعض المأكول فوجدت الباب مقفلاً والمفتاح منزوعاً منه واطن ان عبي فعل
ذلك حين رجوعه الى البيت في اخر مرة على اني لم اعلم هل فعل ذلك عمداً او
على غير ابتهاج فقلت في نفسي ان كان في عزيمته ان يحرم الاكل علينا فعلاً فذلك

عين الجور ومنتهى الظلم لأنه ابي يدري ولمرنا في السبب الذي حل سكوسيم على
على وضع سره في صورة ذاك المعنى واي ذنب لنا ان عجز عني عن حله وكيف
يحقق لهُ ان يجازينا بذنب غيرنا ان كان في المسألة ذنب ثم تذكرت انه سبق لعبي
ان ايقانا مرة بدون اكل مدى ثمانين واربعين ساعة وذلك من بضع سنوات حينما كان
يشتغل في ترتيب مجوه عنه المعدنية وتذكرت ايضا ان ذلك الصوم العلمي
سبب لي آلاما شديدة في المعدة ولما لم يكن في اليد حيلة لم ارأولى من الاعتصام
بالصبر الجميل ووطدت العزم على كتمان سري مما بلغ مني الجوع وكنت في ضيق
من حبي في المنزل وعدم استطاعتي الخروج اشد من ضيقي من الجوع وذلك
لاسباب لا تخفى على فطنة القارئ اما مرثا فكانت في بأس شديد لا ترى من الموت
مناسبا واماعي فكان غائصا في بحار التامل ولذلك لم يشعر بشئ من الاحتياجات
الطبيعية وعند الظهر اشتد بي الجوع وكنت لهوما من طبعي الا اني سكت على مضض
وكانت مرثا قد اكلت في عشية اليوم السابق كل بقايا الطعام حتى لم يبق
للجردان ما تسد به الرق وعند الساعة الثانية بعد الظهر اشتد جوعي حتى كدت
استط على الارض مغشيا علي وصرت ارى الاشياء على غير الوانها وحيث قد قلت
في نفسي ان الالهية التي رأيتها للرقعة هي وهمة او بالاقول ليست في الدرجة التي
توهتها وان عني لا يصدق بمحصول تلك الرحلة بل يعتبر المسألة من قبيل الكذب
والاخلاق وعلى فرض انه اعتقد بصحة الرواية فلا يصعب توقيفه عن السفر ولو
بالرغم عنه هذا اذا اراد السفر وأنه من الممكن مع ذلك ان يقف على مفتاح المعنى
من تلقاء نفسه فاكون قد تحملت عذاب الصوم على غير فائدة على ان الهلاك كان
ميقونا لو دام الامر على هذا الحال يوما ثانيا وهو في السفر مظنون فقط قلت
موت مظنون خير من موت ميقون ولو فرضنا تساوي الدرجتين فالولى من هلاك
معجل هلاك مؤجل فهذه الملاحظات لو عرضت لي في اليوم السابق لما اكثرث
بها ولكن للجوع تأثيرا على الافكار فرأيتها في تلك الساعة حرية بالاعتبار بل لمت



وبناء على ذلك اقم في مكاني منتظرًا الفرج من الله (صفحة ٣٥)

نفسى على سكونى لحد ذاك الوقت

وبناء على ذلك اعتمدت ان اطلع عي على السر الذي شغل افكاره وبينما
كنت افكر في كيفية الفاء الامر عليه قام عن كرسيه واخذ قبعة بيده واستعد
للخروج فاضطربت وجلاً وقلت ان خرج وتركنا محبوسين فستقامي امر العذاب
لاسبما اذا طالت غيبته فلم يخط خطوة نحو الباب حتى ناديت قائلاً يا عمه فلم
يسمعني فكررت عليه الداء قائلاً بصوت عالٍ يا عمه ليد نبورك
فالتفت نحوي كمن استيقظ من غفلة وقال مالك

قلت هل وجدت المفتاح

قال اي مفتاح تعني أمفتاح الباب

قلت بل مفتاح المعنى

فنظر اليّ بتأمل ورأيت عينيه شاخصتين اليّ من وراء نظارته ولعلّمة نظر على وجهي علامة مرت فانهطف نحوي بسرعة واخذ ذراعي بيده ونظر اليّ وهو غير قادر على الكلام الا ان نظرتة كانت سؤالا غاية في الفصاحة

فجاوبه محرّكا رأسي من اعلى الى اسفل

اما هو ف اشار برأسه اشارة يدل على عدم اعتقاده بصدق قولي ونظر اليّ كن داخله الريب في سلامة عقلي اني كررت اشارتي للتاكيد فلمعت عيناه ومد يده نحوي كانه يتهددني ولولا اهمية الامر الذي كنا في صدده لضحكنا من تلك المحاورة الخرساء وكنت اردت المطاولة في المسألة خوفاً من ان يؤثر الفرح الشديد بعني تأثيراً وخيم العاقبة او ان يحملة السرور على معاقتي فيضني الى صدره بعنفه المعتاد فنذهب روحي شهيدة فرحه ولكنني اضطرت اخيراً الى الافصاح فقلت له نعم مفتاح المعنى وجدته بالصدفة فاضطرب وقال احق ما تقول

فقدمت له الورقة التي كنت حررتها بنظي وقلت له خذ واقرأ

فاخذ الورقة وجعلها باصابعه قائلًا واي معنى لهذه الكتابة لا معنى

لها البتة

قلت لا معنى لها ان قرأها كما هي ولكن اقرأها بالقلب مبتدئاً من آخرها

فما اتممت كلامي حتى صرخ صرخة دونها زئير الضراغم وكان في تلك اللحظة قد ادرك سر المسألة ثم قرأ الكتابة على صحتها بصوت مرتعش ولم يفرغ منها حتى وثب من مكانه كن لمس سلكاً كهربائياً واخذته خفة الطرب فصار يذهب ذات اليمين ويعود ذات الشمال وهو بهمهم ويحجم وينقل الكرسي من محلاتها ويجمع كتبه التي كانت على المكتب ثم يفرقها وكان يضرب باحدى يديه الحائط وبالاخرى الطاولة وبعد ساعة سكن هيجانه وهذا اضطرابه فاستلقى على كرسبه

وقد اعياه التعب ثم نظر اليّ وقال في اي ساعة نحن من النهار

قلت في الساعة الثالثة

قال فابالي اذن اجوع من ذؤالة قم بنا تناول الطعام وبعد ذلك تنظر

في تحضير معدات السفر

قلت أنت مسافر

قال نعم وانت ايضا

قال ذلك ودخل قاعة المائدة فاخذني القلق وقلت هذا ما كنت اخشاه

وكنت اعلم ان عمي لا يعدل عن السفر الا اذا اقنعه البراهين العلمية بعدم امكان

تلك الرحلة فاخذت انظر في تلك البراهين فرأيتها قاطعة فاطمان بالي نوعاً

الفصل السادس

لما دخل عمي قاعة المائدة لم ير طعاماً على الخوان فاخذ يشتم ويلعن فافهمته ان السبب في ذلك هو تحريمه الاكل علينا منذ صباح اليوم الفائت وكان قد برح عن فكره هذا الامر قبل العذر خلافاً لعادتي وسمع لمرتا بالتوجه الى السوق لشراء بعض المأكول والمشرب وبعد ذلك ببساعة جلسنا تناول الطعام وكانت لوائح الطرب والسرور ظاهرة على وجهه بادية في حركاته وكان يمزح ويضحك ولما فرغنا من الاكل اوماً اليّ ان اتبعني ودخل مكتبه فتبعته ولما استقر بنا المقام نظر اليّ وقال بصوت لطيف انت نبيه جداً يا اكسيل وقد صنعت معي جيلاً لا اساه بارشادي الى طريقة حل المعى بعد ان اعياني التعب وعزمت على ان اضرب عنه صفحاً فتأكد يا بني ان لك حقاً في جانب عظيم من الفخر الذي سيعود علينا

فقلت في نفسي ان الاستاذ الان في حالة صفاً ويمكنني معارضته في امر الرحلة وإقامة الادلة على عدم امكانها.

ثم اردف كلامه قائلاً اني اوصيك يا اكسيل بكمكان البر فان لي حساداً واعداء كثيرين بين العلماء. وان علموا بالامر سبقونا الى السفر فيجب ان لا يدري احد بامرنا الا بعد عودتنا

فقلت وهل تظن يا عماء انه يوجد كثيرون من الذين يقدمون على مثل هذه الرحلة

فقال من ذا الذي لا يخاطر بنفسه لاكتساب الفخر والشهرة فوالله لو عرف العلماء بوجود هذه الرقعة ومضمونها لثم افتوا على اثر سكتوسيم تماقت الفراش على السراج

قلت فيصيبهم ما يصيب الفراش
قال ماذا تعني بذلك

قلت هل تسخ لي بان ابدي كل ما لدي من الاعتراضات على صحة مضمون هذه الرقعة

قال لك ذلك فانك لم تعد عندي بمنزلة التلميذ بل بمنزلة المثيل

قلت اخبرني اولاً ما هو جبل اسنيفل

قال اثني بالخارطة التي اهدانيها صديقي اوغسطس باترمان

فانيتة بما طلب فقال هذه الخارطة رسمها هندرسون وهي احسن خارطة

علمت لايسلاندا وسجد بها ما نروم الوقوف عليه

فانحيت فوقها فقال اتبعني بنظرك الى الجهة الغربية من ايسلاندا فانا

نظرت قصبتها ريكياويك اصعد خطه تلك القرى التي يتخلل البحر سواحلها

وقف تحت الدرجة الخامسة والستين من العرض وقل لي ماذا ترى هنالك



فانحنيت فوقها فقال انبني بنظرك الى الجبهة الغربية من ايسلندا (صفحة ٢٠)
قلت ارى شيئاً كشبه جزيرة تخاله عظمًا جُرد من اللحم يعلوه شيء كعظم
لرصفة

قال صدقت في هذا التشبيه يا ولدي أفلا تنظر شيئاً على ذلك العظم
قلت ارى جبلاً كأنني به قام في البحر
قال هذا هو اسنيل وارتفاعه خمسة الاف قدم عن سطح البحر وهو من اعظم
الجبال المجزرة وان كان من فوهته طريق الى قلب الارض فهو لاشك اشهر
الجبال الكرة

نقلت وكيف الولوج به ان كان هائجاً

قال اعلم ان عدد البراكين الهاضمة اليوم على وجه الارض يبلغ الثلاثمائة تقريباً ولكن عدد البراكين المنطفئة أكثر منها بكثير فجيل اسنفل هو من البراكين المنطفئة وقد مضى عليه اجيال عديدة لم ينجح الامر واحدة وذلك في سنة ١٢١٩ ومن ثم اخذ يهدأ رويداً رويداً حتى انطفأ تماماً فاطرقت برهة ثم قلت وما معنى كلمة اسكرتريس واي دخل لشهر يونيو في هذه القضية

فقال يظهر ان لاسنفل فوهات كثيرة ولكن التي تؤدي الى قلب الارض واحدة ولما رأى سكونسيم ذلك اراد ان يعين الفوهة المؤدية الى قلب الارض تعييناً نافعاً للاشتباه والغلط فرأى ان اسكرتريس وهو راس من رؤوس اسنفل يظلل الفوهة المقصودة في الايام الاخيرة من شهر يونيو فذكر ذلك في رقعته فاذا سافرنا الى تلك الجزيرة صعدنا الجبل ونزلنا في الفوهة الموصلة الى قلب الارض بدون تردد فان اسكرتريس هناك يرشدنا اليها

فعجبت من ذلك عجي وفطنته وقلت في نفسي لم يبق لي الا الاعتراضات العلمية فان كانت كافية لتحويل عزمه عن السفر كان به واما ان دحضها فلا مناص من السفر لعنة الله عليك يا سكونسيم ولا وقيت من الشر يا هيفيلوس اليهودي

ثم نظرت الى عي وقلت انه سلمت ان الرقعة هي بخط سكونسيم وبانه توجه فعلاً الى جبل اسنفل ونظر قبة اسكرتريس مظلة تلك الفوهة في الايام الاخيرة من شهر يونيو ولكني لا اصدق ابداً انه توصل من تلك الفوهة الى قلب الارض حتى ولا انه حاول الامر بل اظن انه سمع من شيوخ بلده ان تلك الفوهة تؤدي الى قلب الارض فذكر الامر في رقعة مدعياً انه سافر تلك السفرة المستحيلة فقال الاستاذ ولماذا هي مستحيلة

قلت لان القواعد العلمية تنفي امكان حصولها

قال بالله الصحيح ذلك فلعن الله هذه القواعد التي اذهبت تعبنا سدى
ومنعتنا من اتمام مشروعاتنا

فعلت ان الاستاذ يتهمكم علي غير اني صممت على تثبيت قدمي في مقام الجدل
فقلت انه لحق ان حرارة الارض تزداد درجة تحت كل سبعين قدماً من العمق
وبما ان نصف قطر الارض يبلغ نحواً من عشرين مليون قدم فالحرارة في قلبها
اكثر من مائتين وثمانين الف درجة وعلى ذلك فكل المواد التي فيه لا بد ان
تكون غازاً ملتصقاً اذ لا معدن ولا صخر قادر على احتمال حرارة هذه شدتها فقل
لي بالله هل تنوق نفسك الى الاقامة في ذاك العالم

فقال يظهر لي من كلامك با اكسيل ان الحرارة هي الشاغلة لافكارك
فقلت نعم لاننا اذا بنينا الى عمق خمسة فراسخ فقط نصل الى حدود القشرة
الارضية حيث تبلغ الحرارة نحواً من الف وثلاثمائة درجة
قال وانت خائف من الذوبان

قلت ان كنت تزعم ان جدي سمدل فخوفي في غير محله
فاجابني الاستاذ بجد قائلاً اما رأيي يا بني فوان ما من احد يعلم بالتحقيق
على اي حالة قلب الكرة الارضية وذلك لان العلماء لم يتوصلوا بعد الى انساب
الكلية والجد المتوالي الا الى معرفة قسم من ممكها نسبته الى نصف قطرها نسبة
١٢ الى ١٠٠٠ فالعلم لم يزل في مهد الطفولة وكلما وضعت قاعدة جأت قاعدة
اخرى فدحضتها وقد كان يظن العلماء لحين ظهور فوربه ان النضاء الانثري
تزداد برودته كلما ازداد بعداً واما اليوم فقد علموا ان اشد برد الطبقات الانثرية
لا يبلغ اكثر من اربعين او خمسين درجة تحت الصفر فان كان للبرودة في الطبقات
الانثرية حد لا تتعداه فلماذا لا يكون لحرارة الارض الباطنية حد تنف عهده
بدلاً من ان تستمر على الازدياد حتى تنذيب المعادن والمواد الاصعب ذوباناً
وقد قال بعض العلماء المشاهير ومن جملتهم بواسنون انه لو كان في قلب

الارض حرارة تبلغ مائتي الف درجة لتمددت الغازات الناشئة عن المواد الذائبة
تمددًا قويا حتى تنفزع قشرة الكرة الارضية كما تنفزع حيطان الخطين البخارية
بقوة البخار

قلت، انما ذلك رأي بواسون

قال ورأي كثيرين غيره من علماء الجيولوجيا الذين يحكمون بان قلب
الارض غير مكون من غازات او من مياه اذ لو كان الامر كذلك لاقضى ان
يكون ثقل الارض اقل ما هو عليه مرتين

قلت يمكنك بالارقام ان تثبت كل ما اردت فاسدًا كان ام صحيحًا ولكن
عند العمل يتميز المرعي من الهل

قال مالنا وللارقام فهل تنكر ان عدد البراكين المائجة قد قل كثيرا عما
كان في العصر الاولي لعالمنا وليس في ذلك برهان على ان حرارة الارض الداخلية
ان كان هنالك حرارة آخذة في التناقص

قلت ان اردت الجولان يا عمه في ميدان الاحتمالات فلا تنظر مني جولانًا
قال وانا اخبرك بان مشاهير العلماء قد وافقوا على افكاري وارثا ورأيي
أأست تذكر ان الكيمائي الانكليزي الشهير همفري ديفي زارني في سنة ١٨٢٥

قلت لا لاني ما ولدت الا بعد تلك الزيارة بسبع عشرة سنة

قال اعلم انن ان همفري ديفي حين مروره بهمبرج في تلك السنة زارني مرة
وتباحثنا في امور عديدة وبالجمله بحثنا في مذهب القائلين بسيلان قلب الارض
فكنا كلانا متقين على ان ذلك المذهب فاسد لسبب لا يقبل المدافعة ولا يمكن
معه منازعة

فتحيت بعض العجب وقلت ما هو ذلك السبب

قال هو انه لو كان قلب الارض سائلاً لكأنت تلك المواد السائلة عرضة
تأثير جانبية التهر فيها كالأوقيانوس ولتغرب على ذلك حصول مد وجزر

داخليين يرفعان قشرة الكرة الارضية مرتين في اليوم فيجدان فيها زلازل دورية
قلت نعم ولكن من المعلوم ان سطح الارض كان ملتهباً فيجوز لنا ان نفرض
ان القشرة الخارجية اخذت في البرودة اولاً بينما كانت الحرارة تنحصر في الداخل
قال ذلك عين الغلط فان الكرة الارضية انتهت الحرارة باشتعال سطحها فقط
وذلك ان سطح الارض كان يشتمل على كمية وافرة من المعادن التي تلهب بمجرد
ملاستها للهواء والماء كالبوتاسيوم والصوديوم فهذه المعادن اشتعلت حينما تحولت
الابخرة الجوية الى ماء وسقطت على الارض مطراً ولما تخللت المياه قشرة الكرة
الارضية شيئاً فشيئاً حدثت اشتعالاً في داخلها فنشأ عنه تفرقع وقذف وتلك هي
علة البراكين وسبب كثرتها في الادوار الاولى للارض

فاستحسن ذلك التعليل وقلت حبذا ما قلت ان كان ذلك صحيحاً
فقال ذلك صحيح لاريب فيه وقد اثبتت هفري ديفي امامي في هذا المنزل
نفسه بطريقة بسيطة ذلك انه صنع كرة معدنية على شكل كرتنا الارضية وادخل
في تركيبها قسماً كبيراً من المعادن التي ذكرتها فكنا اذا القينا على سطحها قطعاً
صغيرة من الماء كقطر الندى يتفخض سطحها ويتأكسد فيكون جبلاً صغيراً ثم يتفخض
في قمته فوهة وتأخذ في القذف فتند الحرارة الى كل الكرة بحيث لا يعود يستطاع
امساكها باليد

وكان عني يتكلم بعزم شديد واعتقاد اكيد فاثرت في كلامه وانفعلت نفسي
بخطابه ورأيت الادلة التي اقامها جديرة بالاعتبار
ثم اردف كلامه قائلاً تبين لك اذن يا اكسيل ان اراء العلماء في هذه المسألة
متناقضة متباينة وليس لم برهان قاطع يثبت رأياً منها وابعدها عن الثبوت هو
رأي القائلين بسيلان قلب الارض اما انا فاحتم بعدم وجود الحرارة الداخلية اذ
لا ارى وجودها ممكناً ومع ذلك فستغف على حقيقة الامر وبرى قلب الارض
رأي العين كما فعل ارن سكوسيم

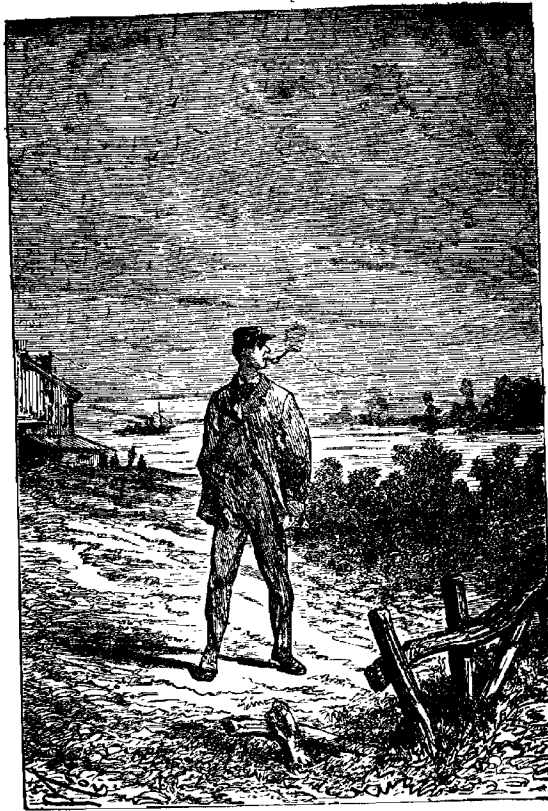
فطربت لهذا الكلام وخفق فؤادي كأن عني نفث في من روحه فملت
الى تلك السفرة بقدر ما كنت انفيها وكنت أرغب عنها فصرت أرغب فيها واجبت
الاستاذ بجملة قائلاً أجل لابد من العمل وإن كانت العين ترى في قلب الارض
فسنرى ما هنالك

فقال ولماذا لا ترى فهل يستحيل وجود ظواهر كهربائية تبرز قلب الارض
وفضلاً عن ذلك فإن الهواء نفسه عند قلب الارض ربما كان كافياً للانارة بسبب
شدة الضغط الذي عليه

قلت نعم نعم ذلك ممكن
قال لا تهل ذلك ممكن بل قل ذلك واجب حتماً ولكن اياك ان تهوه
بكلمة واحدة عن امر هذه الرحلة فالنعم الصمت التام لثلا يسبقنا احد الى هذا
الاكتشاف

الفصل السابع

علمت ما كان من تلك المحاورة وما انتهى اليه امرها فلو دعاني الاستاذ
الى الرجل على انهما اهدت الى ذلك بنشاط وابتهاج ولكي بعد ان تركته
رأيت نفسي في حاجة الى استنشاق الهواء البارد وكانت شوارع المدينة ضيقة
في عيني فطلبت البر الفسج متوجهاً نحو نهر الالب وريثاً هذه غلمان دمي
وسكن تبنيه افكاري تذكرت المحاورة التي سردناها ونظرت اليها بعين التدبر
فراجعت الريب في صحة الامر ثم تذكرت الادلة التي اقامها الاستاذ فملت الى رأيه
بعض الميل ثم عدلت ايضاً الى الريب وبقيت ساعة بين الشك واليقين حتى
زال ما كان باقياً في من هيجان الافكار فتغير حكمي في المسألة تغيراً كلياً فترآحي
لي ان عني على شطط بين وإن عزمه على السفر لا يوافقني عليه الا كلم مجنون
ثم داخلني الريب في سلامة عقله وبعد برهة داخلني الريب في حصول المحاورة



فطلبت البر السبع (صفحة ٢٦)

نفسها فقلت كل ما سمعته ورأيت أنه كان في الحلم لا في اليقظة وفي أثناء ذلك كانت
رجلاي تذهب بي على غير قصد مني على طريق ألشونا ولما رجعت إلى نفسي رأيت
ابنة عمي غريبة على قيد رحمين مني عائدة إلى هيرج فقال ما أبصرتها ناديتها باسمها
ووثبت نحوها فنظرت إليّ باسمه وقالت مرحباً بك يا أكسيل فان كنت أتيت
لاستقبالي فلك مني مزيد الشكر

ثم نظرت على وجهي دلائل الاضطراب ولوائح الحيرة فقالت مالي اراك حائراً
مضطرباً

فاطلعتها بوحيز العبارة على وقائع المسألة واوقفنها على عزم عي وكنت اخال
انها لا توافق على رأيه غير انها بعد ان اطرفت برهة نتروى في الامر نظرت اليّ
وقالت نعم الرأي يا اكسيل ونعت الرحلة

فوثبت من محلي عند سماعي هذه الكلمات من فم محبوبتي فاردفت كلامها
قائلة نعم يا اكسيل ان هذه الرحلة جميلة وسينالك منها شرف رفيع وعز منيع
واعلم انه بحسن المرء ان يشتهر بين الخاص والعام بامر من الامور العظام فاذا
ذكرت طبقات الناس دخل في عداد الرجال والتحق بطائفة من الابطال
واذا نشبت بحسبه مخالف المتن بقي اسمه في متديات الفنون على ان المجد
لا سبيل اليه الا بالمخاطرة ولا مجال لادراك المنى بسوى الدأب والمنابرة أنسيت
قول الشاعر العربي

لا تحسب المجد تمرّاً انت آكله لا تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا
فاجبتها أهذا ما تقولين وقد كنت انتظر منك لو وجدتي مصمماً على السفر
ان تحوليني عن عزمي

قالت معاذ الله ان احول عزمك عن مشروع عظيم نبيل الغاية ولولم
يكن بوجودي معكما تثقيل عليكما لصحبكما في هذه الرحلة

قلت أنقولين الجدام انت تمزحين

قالت لا اقول الا المجد

فلما رأيت تلك الفتاة تشجعي على رحلة كنت منها في وجل علا وجهي
انحرار الحجل وفكرت في امر النساء وعلمت ان فيهن سرّاً لا يدرك فقد جمعت في
طبيعتهن كل قبض فاما ان تكون المرأة اجبن المخلوقات واما اجسرهما وكانت
غريبة مع ذلك تحبني محبة شديدة فقلت لها سننظر يا غريبة أتبعين على هذا الرأي
ام تعدلين عنه في الغد

فقالت ان رأيي غداً يا عزيزي اكسيل هو رأيي اليوم

ثم توجهنا نحو المنزل صامتين وكنت في تلك الاثناء افكر في الرحلة وما يكون من امرها ثم قلت في نفسي بيننا وبين آخر يونيو زمن طويل فعسى الايام تشفي عني من جنوني غير ان الاستاذ كان قد صرف بقية النهار منذ فارقه يشتري الادوات اللازمة للرحلة من حبال وفؤوس ومعاول وغير ذلك فلما دخلت الدار رأيته بين جماعة من العطارين مشغولاً بوضع تلك الادوات في دهليز المنزل وهو يذهب يميناً ثم يعود شمالاً فلا يستقر له قدم والغبار قد كسا رأسه وعارضيه وعلا على اهدابه وحاجبه وكانت مرثا حائرة مندهشة لانها لم تكن تدري لذلك التأهب من سبب

فحال ما وقع نظر الاستاذ علي ناداني عن بعد قائلاً اسرع يا اكسيل ودع عنك التواني فهل حضرت امتعتك وثيابك وهل تجهل ان اوراقي تحتاج الى الترتيب ابحت عن مفتاح صندوقي فاني قد اضعته وكذلك لا ادري اين وضعت نعل السفر

فاخذني الحيرة وتبهد لساني عن الكلام ولم احر جولاً ثم قلت بتردد وصوت منخفض اذن نحن على اهبة السفر قال اي وريك لا مخصص عنه ولا مناص منه واراك بدلاً من ان تصرف هذا الوقت الثمين في الاستعداد للرحيل صرفه في التنزه والتجول

قلت في اي يوم نسافر

قال بعد غدٍ صباحاً

فلما سمعت هذه الكلمات علمت ان قد قضي الامر وصعدت الي غرفتي فصرفت تلك الليلة في قلق شديد ولم يغض لي جنن حتى الصباح اذ سمعت ابنة عي تناديني بصوتها الرخيم فخرجت اليها فقالت لي اعلم يا عزيزي اكسيل اني تباحثت طويلاً مع عمك في شأن المسألة وقد رأيت منه عالماً جسوراً فاذا كرا ن دمه يسري في عروقك وقد اطلعني على افكاره وامانيه والاسباب التي بين عليها آماله



فلما دخلت الدار رأيت بين جماعة من العتالين (صفحة ٢٩)

فلم يعد عندي شك في نجاح المشروع فما لجل خدمة العلم وما اعظم الشرف الذي
سينال الاستاذ ليدنبوك ورفيقه فاذهب اذن يا اكسيل وارجع سالمًا لمطير
صيتك في الآفاق وتصع من اقران عمك فبصير لك الحق اذ ذاك في التكلم والتصرف
ويمكنك حيشذ ان

وهنا وقفت عن الكلام وامسكت عن الاتمام وقد احمر وجهها فكان
لكلامها وقع حسن في فوادي قللت شهد الله يا غريبة ان الموت هين في سبيل
رضاك

ان كان في موقي رضاك فحذا قلمي وما قتل الحب حرام
ولكني لا طاقة لي على فرائك فامرك مطاع الا بما بعد عنك واذا فرضنا ان
عمي مصيب في رأيه ولم تحرقنا النار المناجحة في قلب الارض فهل اسلم من حريق
النار المستعرة في فوادي وافل ما اخشى فقد البصر من فرط البكاء شوقاً اليك
اخشى على عيني من فرط البكاء واخاف قدما ولو بهواك
ما الخوف من فقد العيون وانما خوفي باني لا اعود اراك
فقالته مهلاً يا اكسيل ما هذه الا تصورات شعرية والشعراء اكذب من على
البسيطة لم تل بي مرة انك لو تنفست في البحر لتحول ماؤه الى بخار بسبب النار
التي في قلبك ومع ذلك لم تحترق بل بقيت والحمد لله متمتعاً بالصحة التامة وقد
كنت اتي مرة تقول

ما كنت اعلم كيف عمّ مقدماً طوفان نوح سائر الآفاق
فعلت حقاً بعد نأيك انه ما كان الا من بكاء العشاق

فان كنت صادقاً في القولين فلتبرد دموعك لظي فواذك
فاطرقت مغماً عن الجواب على اتني كنت لم ازل اعلى نفسي بامل عدول
عمي عن عزمه فدخلت مخدعه برقعة غريبة وقلت له هل عرست اذن كل العزم
على السفر

فقال وبك يا اكسيل وهل عندك رقيب في ذلك
فقلت لا ولكني لا ارى موجياً لهذه السرعة اذ اتنا في ٢٥ مايو وامامنا شهر
يونيو بطوله

قال اتظن ان السفر الى ايسلاندا سهل وما تدري انه لا يقوم من كونهما غن
الى ريكيافيك الا مركب واحد في كل شهر وذلك في اليوم الثاني والعشرين منه
فان لم نساfer في الشهر القادم ونبلي الجبل قبل دخول شهر لوليوفاني لنا معرفة
الفرصة المصودة

فلما لم أر سبيلاً الى المحاولة رجعت الى غرفتي وكانت غريبة قد تبعتني فوضعت
لثياب اللزومة لسفري في صندوق صغير وكانت في أثناء ذلك تقيم الأدلة المؤيدة
لذهبي عي وهي مع ذلك باسمة لا يخالجها اضطراب ولا يعروها انبهار كأنما نحن
على أهبة سفر الى البحيرة او الى ضفة نهر الألب

واما انا فكان يأخذني الحنق احياناً على انها لم تكن تكثرت بذلك ولما
رغنا من اعداد لوازمي نزلت الى صحن الدار فرأيت عي كما في عشية الالمس بين
جماعة من العتالين حاملاً بعضهم اسلحة وبعضهم آلات علمية واجهز كهربائية وكانت
رتنا في غابة المحيرة والاندهاش فلما نظرتني اقبلت علي وقالت لي همساً هل طراً
بارض على عقل الاستاذ

فاومأت براسي ان نعم

فقلت وهل يصحبك في رحلته

فابدت اشارة ايجابية

قالت الى اين

فاشرت بيدي الى قلب الارض

فقلت أ الى السرداب

قلت الى اعنى من ذلك

قالت اذن الى الحميم

قلت اي واطبك

وبعد ان وضع عي الادوات والآلات التي اشتراها في الصناديق المعدة لها
دخلنا قاعة المنزل فقال لي موعدنا بالرحيل صباح غد فكن على استعداد
وكانت غريبة بجانبني فنظرت اليها متنفساً الصعداء وقلت همساً
لا مرحباً بغد ولا اهلاً بي ان كان تفرق الاحبة في غد
وكان كلام الاستاذ في تلك الليلة يشف عن شدة شوقه الى الرحيل وفروغ



ورثنا دخلت العربية سارت بنا الخيل خبياً على طريق النونا (صفحة ٤٤)

صبره من الانتظار فكان لسان حاله يعارضني قائلاً

قالوا اللقاء غدا بمنعرج اللوى واطول شوق المستهام الى غد
وعند الساعة العاشرة اضطجعت على فراشي فكان نومي متقطعاً وقضيت ليلى
احلم بهوايا مخيفة فاستيقظ مذعوراً ثم انام فباتني طيف الاستاذ بانياب حداد
واظافر المناجل ويشتلني بخاله كما يشتل العقاب فريسته ثم بهوي بي الى هوبة
لا قعر لها فافيق مرعوباً وبقيت على ذلك حتى الساعة الخامسة بعد نصف الليل
فخرجت من غرفتي وتوجهت الى قاعة المائدة فوجدت عي يتناول الطعام وغربية

مجاوبه وكنت لم ازل تحت تأثير الحلم فاقشعري بدي لما رأيته ثم خالسته نظرة شرسة
وجلست بعيداً عنه وعن الطعام وبعد برهة سمعنا دوي عربية وقفت امام باب
المنزل وكان قد طلبها عني لنقلنا ونقل لوازمنا الى محطة السكة الحديدية فخرجنا
من قاعة المائدة وفي برهة قصيرة شحن عني العربية بامتعة السفر ثم التفت
اليّ وقال اين صندوقك

فقلت انه حاضروني في مكاني لا استطع حراكاً
فدفعني بيده دفعة عنيفة وقال انت به حالاً لثلاثه فوثقنا القطار
فقلت لم يبق الى النجاة من سبيل وعلت ان الله قضى عليّ بشر مينة
فصعدت الى غرفتي واحضرت صندوقي ووكلت امري الى الله وكان عني اذذاك
يسلم اذارة منزله لغريبة وبعد ان فوضها في امر بيته نفويضاً مطلقاً ودعها قبلت
وجهه ثم دنت اليّ فعاتقتني وقد اغرورقت عينها بالدموع فضممتها الى صدري
وقد خفتني العبرة ثم نفرت منها تخلصاً من عذاب الوداع وريثاً دخلت العربية
سارت بنا الخيل خيباً على طريق أثونا

الفصل الثامن

أثونا قرية بضواحي مدينة هبرج وفيها المحطة الاولى من خط السكة
الحديدية المعروفة بسكة كيال وكان وصولنا اليها في منتصف الساعة السابعة
فقلنا امتعنا الى احدى العربات وعند ابتداء الساعة الثامنة سار بنا القطار
قاصداً سواحل البلت من مملكة الدانرك

يطوي القنادل لا يرام غباره سهم الى كبد الفلاة مفوق
كالشمس افق الغرب ودعها ولم يمس الدجى حتى حياها المشرق
وكنت لم ازل كارهاً تلك الرحلة غير جازم بنجاحها الا ان النسيم اللطيف
الذي كان يلعب بشعري وانا منكبي على نافذة العربية والمناظر اليبسنة التي

كانت تنتشر وتتطوي امام عيني الهني عن المصيبة التي كنت فيها
واما عي فكان غير مكثرت بهذه المناظر لا يتغني الا سرعة الوصول واظن
انه كان يرفس العربية برجله حيناً بعد حين لكي يعمل سير القطار وبعد مسير
ثلاث ساعات وقف بنا القطار في محطة كيال القائمة على شاطئ البحر وفي
الحال تقلنا ابتعتنا الى المركب البخاري المدعو آليونورا وكان وصولنا في الساعة
العاشرة صباحاً وموعد سفر المركب في الساعة العاشرة مساءً

ولما علم عي بذلك اخذه الغضب فصار يلعن الوابورات وادارتها وبذم
الحكومة التي تغض النظر عن مثل ذلك الاهال فضحكت في سري من حدة عي
ومذهبه في الملاحه الا اني وافقتة على رأيه في الظاهر وتددت بتصرف مصلحة
الوابورات التي تضيع الوقت سدى غير مكثرتة بمصالح العموم اما الاستاذ فقص
الربان وهو مخدم غيظاً واراد ان يقنعه بوجوب السفر حالاً فظنه الربان مجنوناً
واعرض عنه غير مكثرت بكلامه فعاد وقد ازداد غيظه وبقي حتى وقت السفر
يقوم ويقعد وينظر نارة الى الشمس وطوراً الى الساعة ويلعن كل ربان
على العموم وربان الآليونورا على الخصوص

ولما ازفت ساعة الرحيل رفعت مرسة السفينة وكان قد اشتد ضغط
بخارها فسارت تشق عباب الماء وعي يجول على ظهرها وعيناه متجهتان نحو
سواحل اسلندا الغربية التي كما شاخصين اليها وكان الليل حالك
السواد فلم أر من مدينة كيال بعد ان ابتعدنا عنها ميلاً الا بعض انوار متفرقة
وفي تلك الليلة شاهدت منارة ساطعة النور في اثناء مسيرنا وذلك كل ما
اتذكره من تلك السفرة

وعند الساعة السادسة من الصباح رست بنا السفينة بالقرب من شاطئ مدينة
كورسور وفي الحال نزلنا اليها وكان شحن السفينة قليلاً فلم يمض الا ساعة من
الزمن حتى تقلبت ابتعتنا الى إحدى عربات قطار السكة الحديدية المتدة بين

تلك المدينة وعاصمة الدانمرك وكانت المسافة بين المدينتين ثلاث ساعات فقط وبعد ان سار بنا القطار ساعة اشرفنا على جون فصرخ عى هوذا السويد وكان على شمالنا بناية متسعة اشبه بمستشفى فاشار اليها احد المسافرين وقال هذا بيلارستان

فقلت في نفسي هذا هو المأوى الذي يحق لي وبعمى ان نصرح بقية ايامنا فيه ومهما كان اتساعه فهو ضيق في جانب عظم جنون الاستاذ ليدنبروك وفي الساعة العاشرة وصلنا الى كوبنهاغن وفي الحال تقلنا الامتعة على عربة الى فندق يعرف بنزل فينيكس وبعد ان صرفنا ساعة في ترتيبها وتغيير ملابسنا خرجنا من الفندق قاصدين دار الايتيكانة لان مديرها كان صديقاً لقنصل هيرج وكان عي مصحوباً بكتاب توصية له

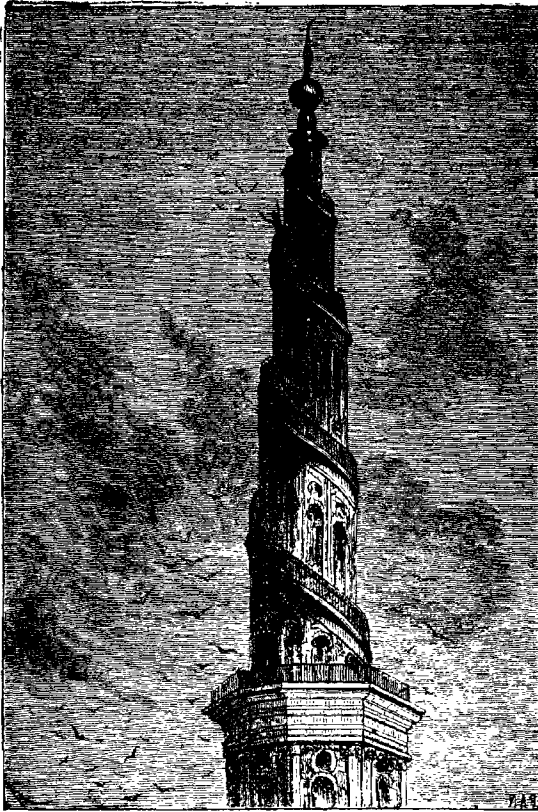
اما الايتيكانة الموءاء اليها فتعرف بالايتيكانة الشمالية وهي شهيرة تخوي على آثار ثمينه من الدورين الحجري والبرنزي نادرة الوجود وكان مديرها من العلماء المعبرين وكنت اعلم ان العلماء على وجه العموم لا يحسنون استقبال بعضهم الا ان مدير الايتيكانة استقبلنا بخلاف ما كنت اتظر فاحبره عي باننا قاصدون الرحيل الى جزيرة ايسلاندا للتسوح فيها فقام في الحال معنا الى الميناء على امل ان نجد مركباً على عزم السفر الى تلك الجزيرة فقبل لنا ان سفينة شراعية دانمركية تعرف باسم فلوكيريا ستقلع من كوبنهاغن شاخصة الى ريكيافيك قصبة ايسلاندا في اليوم الثاني من شهر يونيو فقصصناها وقابلنا ربانها الموسوي بجرن وبعد ان تحقق الاستاذ منه صحة الخبر اعتنته وضمه الى صدر بطرب وسرور فتعجب الربان من ذلك لانه لم يأت امراً يستوجب الثناء اذ ان الملاحة بين الدانمرك وايسلاندا مهته اما عي فكان يرى ذلك منه عظيماً خارقاً للعادة فلما رأى منا الربان تلك الرغبة اخذ منا اجرة اظنها ضعف الاجرة الاعتيادية ثم اخبرنا ان السفر يكون في الساعة السابعة من صباح الاثنين وبعد ذلك انصرفنا وعي يشكر لمدير

الاستيكانة سعيه المبرور وبني على نشاط الريان وهته وكان وجهه متهللاً فرحاً .
 بقي بحمد الصدفة التي اسعفت مجاجه حتى وصلنا الى لوكدة فرنساوية بالقرب
 من نقطة عسكرية عند الساحة المعروفة ببيدان كونجنس نيتورو وفي تلك النقطة
 دفعان قديان لم يوضعا الا للزينة او للتحويل فقط لانها معطلان قتنا اولنا
 اطعام في تلك اللوكدة بلذة وقابلية واعترفنا بفضل طبابخها المدعو فينسان
 ثم اخذنا نجول في اطراف المدينة وشوارعها وكان عمي يتبعني اينما سرت وهو
 غائص في بحار افكاره مشغول بها عن ابنة المدينة ومعاهدها الا انه بعد ساعة
 وقع نظره على قبة كنييسة في جزيرة اماك القائم عليها القسم الجنوبي الغربي من
 المدينة فانهم النظر فيها برهة ثم قال اتبعني وسار نحوها على عجل ولما وصلنا الى
 المعبدة اخذنا سفينة تجارية وفي اقل من خمس دقائق حللنا بالجزيرة وسرنا في
 اركة ضيقة حرجة فرأيت فيها بعض المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة يشتغلون
 باصلاح الطرق وتمييدها وكانت اثوابهم طرزاً واحداً نصفها اصفر والنصف
 الآخر رمادي اللون ورأيت حولهم جماعة من العساكر المتوطنين يحفظهم وكانوا
 اذا تمهل احد منهم في شغله او اسرع يضر بهونه بالسوط ضرباً بالباطل في ذلك
 المنظر واشمازت نفسي من اولئك العساكر بقدر توجعها على حالة هؤلاء المحبسين
 فحولت نظري عنهم وبعد برهة وصلنا الى الكنييسة المتصودة وكان بناؤها بسيطاً
 عادياً الا ان قبتها تراحم الكواكب في احيازها وتباري النجوم بهلالها وسلمها
 المخارجي يلتف عليها من اسفلها الى اعلاها على شكل حلزوني وذلك ما استدعى
 عمي الى الالتفات اليها فلما وصلنا اليها دعاني عمي الى الصعود فامتعت خوفاً
 من الدوار

فقال لا بد من ذلك لانه يجب عليك ان تتغلب على الدوار بالمادة
 فتوقفت برهة ولكن الاستاذ اخذني بيده وسار امامي لا يلتفت الي ولا يصغي لكلامي
 فتبعته على وجل وكان قلبي يخفق ورجلاي ترتجفان على اننا كنا لم نزل

في السلم الداخلي فبعد ان صعدنا نحو مائة وخمسين درجة وصلنا الى الد
 المخارجي فوقفت هناك برهة انسم الهواء البارد ونظرت الى اعلى القبة فرأيت
 باسقةً بنطح رأسها الى اعلى السحاب وسلها يزداد ضيقاً كلما ازداد ارتفاعاً وخيل
 ان لا نهاية له فوقفت مرتعاً ولم تمنعت عن التقديم فوجدت الاستاذ ووصفني بالمجرب
 ثم اخذ يدي بيده وجرني بعنف وسرعة فلم يمكنني الا للاعتماد فقبضت على يد
 باحدى يدي وعلى متكاه السلم بالآخرى وسرت وراءه ملتصقاً بعمود القبة
 مبتعداً عن طرف السلم جهد امكاني وفي تلك الاثناء حانت مني التفاتة الى الارض
 فرأيت بيني وبينها مسافة شاسعة راعيتني فاشتد بي الدوار وخيل لي ان الارض
 تميد بي ورأيت القبة تميل ذات البين وذات الشمال فوهن عزمي وطاش لي
 واقبلت رجلاً على الركبتين ادب ديبياً وعيناي مغضتان وكان الاستاذ يجرفني
 بيده وهو يسير امامي متصباً كأنه يسير في شوارع هيرج فلما بلغنا قمة القبة نزل
 يده من يدي وكنت احسب اننا لم نزل في صعود فاخذني الخوف وقبضت على
 رجله قبضة امني او غريق فجددني من اذني فانتصبت واقفاً رغماً عني فنظر الى
 باسماء وقال انظر الى ما دونك بتومة وسكون وشرح الطرف برأ وجمراً فانك
 في حاجة الى هذا التميز لانك ستسير عما قليل على سلام لا متكاه لها ودونك
 اعماق لا يسبر النظر غورها

فسكنت جاثي وثبت قدمي ونظرت الى المدينة وكان ضباب المداخن منتشراً
 فوقها كالرؤى المدود فرأيت بيوتها معربةً بالخفض لاسما التي كانت بالقرب
 من الكنيسة فاني كنت اراها غائرة جداً ثم نظرت الى السماء فرأيت فوق رأسي
 غيوماً خفيفة غير متصلة خيل لي انها ثابتة وان القبة سائرة بي وبعمى بسرعة
 الطير ثم سرحت طرفي يميناً فرأيت سهولاً شاسعة ورياضاً نضرة وجناناً بهيجة
 قد كساها الربيع حالاً مديجة بالازهار مطرزة بالانوار ونظرت شمالاً فرأيت
 البحر ازرقي صافياً واشعة الشمس تنمكس عليه ساطعة والسفن الشراعية تهلل



واقبلت زحفاً على الركبتين إدم ديباً (صفحة ٤٨)

على مياه جون السوند مع الغواء كأنها طيور بحر نشرت اجنحتها وكانت سواحل
اسوج تلوح على بعد من جهة الشرق كالغمامة السوداء وبعد ساعة نزلنا من القبة
وبينما كنت احمداً الله على خلاصي اخبرني عمي باننا سنعيد هذا التمرين في الغد
وكان ما قال وبقينا على ذلك خمسة ايام متوالية حتى نجحت في ذلك الفن
الجديد الذي كان يسميه الاستاذ فن التحلي وحيث كلف شروني

الفصل التاسع

لما جاء وقت السفر ودعنا مدير الاتيكانة وكان قد اصحبنا بكتب للكونت
ترامب حاكم ايسلاندا وللقس يكترسون النائب الاسقفى والمسيو فنسين شيخ صلح
مدينة ريكاويك قصبة الجزيرة توصية بنا فشكره عي صنيعة واثني عليه ثناء
جيلاً وقبل حلول الساعة السادسة انتقلنا الى السفينة بامتعتنا وبوصلنا تقدم
عني الى الريان وسأله عن الريح

فاجابه في ريح الأريب وليس اوفق منها لرحلتنا
سأل متى نصل الى ايسلاندا فيما تظن

قال بعد عشرة ايام ان لم تقاومنا ريح الجرباء وراء جزائر فيروي
سأل هل اتفق لك فيما مضى ان تأخر عن الوصول أكثر من عشرين يوماً
قال لا ياموسيو ليدنبوك فكن مطمئن البال

وبعد ذلك بقليل اقلعت السفينة وساعتفها الريح فسارت كالطير في السماء
او السهم في الهواء ولم تنقض ساعة حتى توارت كوبنهاغن عن اعيننا وراء
الامواج ومرت بنا السفينة بالقرب من سواحل السونور وفي المساء مررنا امام
رأس اسكاجن وهي النقطة الشمالية من بلاد الدانمرك وفي الليل تجاوزنا اسكاجراك
ثم رأس ليدنيس من اراضي مملكة نروج ودخلنا البحر الشمالي وبعد يومين مررنا
بالقرب من سواحل اسكوتسيا على قيد ميل من رأس بيترهيد ومن ثم سارت
بنا السفينة نحو جزائر فيروي مارة بين جزائر اوركاد وسيتلاند وكنا قد احدثنا
مياه الاوقيانوس الا تلتنيكي فهناك هبت ريح شمالية قوية وجرت بنا لا نشتهي
سفينتنا فعارضتنا معارضة شديدة فابلغنا جزائر فيروي الا بعد اللثيا والتي وفي
اليوم الثامن من الشهر مررنا ازاء جزيرة ميكانيس ومن ثم سارت بنا السفينة نحو
راس بورتلند في جنوبي ايسلاندا فاقبلنا عليه في اليوم الحادي عشر ولما كانت
تلك الشواطئ خطيرة المسالك لم تقترب السفينة منها بل بقيت سائرة نحو الغرب

على خط مستقيم والحيتان تسيرها من اليمين واليسار وأحياناً تقابلها من الامام
وإذنا بها قائمة قيام دفة السفينة فصرنا تأمل في أشكالها البديعة ومناظرها
المريعة وتتحقق لي ما كنت اسمعه قبلاً من ان الانسان اهتدى الى اتخاذ السفن
بأشكال الحيتان

وبعد ساعة اشرفنا على جزائر ويسمن فقرضناها ذات اليمين ثم ازوررت
بنا السفينة نحو الجهة الشمالية مارةً امام رأس ريكيانيس وهو الزاوية الغربية
لايسلاندا وبعد ثنائي واربعين ساعة وقفت بازاء مدينة ريكيافيك على بعد ثلاث
ساعات من الشاطئ محذراً من الصخور الممتدة تحت المياه عند رأس اسكاجن فاني
اليها ملاح ايسلاندي يقودها بين تلك الصخور الخطرة وبعد ثلاث ساعات رست
بنا امام المدينة في فريضة فيكسا

فخرج حيثذ الاستاذ من مخدعه وكان لا يصدق بالخلاص من سجنه لانه
فضلاً عن شدة شوقه الى الوصول فاسى في تلك الرحلة من الم الدوراشده
غير انه قبل ان يبارح السفينة اخذني على ناحية منها وأشار بيده الى جبل عالٍ
وقال بصوتٍ منخفضٍ ذاك هو اسنيفل مر عليه حين من الدهر زمن الشوبية
يقذف النيران من جوفه ثم جاءت ايام الشيوخه فامست ناره رماداً واشتعل
راسه شيئاً فرأيت جبلاً شاهقاً كساه الثلج جلةً بيضاء وله راسان مخروطيا الشكل
كانها قرنان

انافا باعناء السماء واشرفا على الجواشرف السماءك والنسر
وبعيد دخولنا ريكيافيك قابلنا الكونت ترامب حاكم الجزيرة والموسيق
فنين شيخ صلح قصبتها وسلمها عني كتب مدير الايتيكخانه الشمالية فترجبا بنا
ورفعنا مقامنا ووعدا الاستاذ بمساعدته في كل ما يحتاج اليه واما النائب الاسقي
فلم تمكن من مقابلته لانه كان غائبا عن المدينة يتجول في انحاء ابرشيتيه وفي ذاك
النهار زارنا احد اساتذة مدرسة ريكيافيك وهو شاب لطيف يدعى فريدر بكسون



رست بنا امام المدينة في فرضة فيكسا (صفحة ٥١)

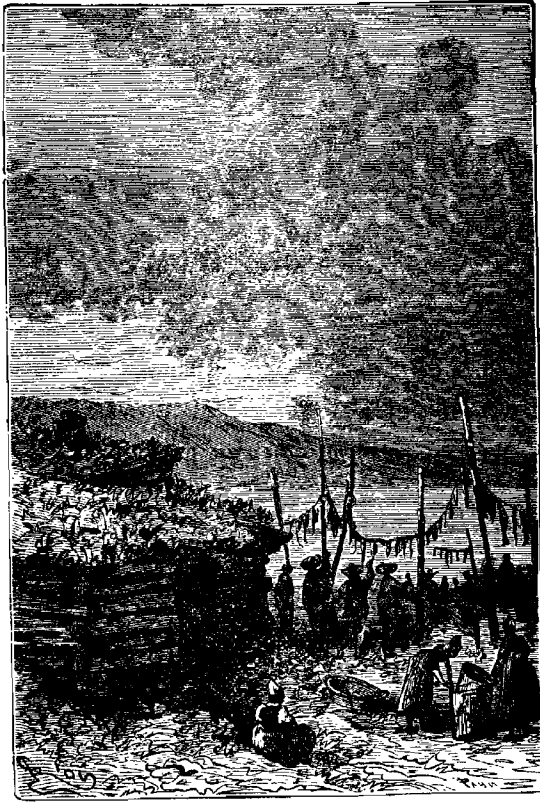
وكان لا يتكلم الا باللاتينية والاسلندية فحالما نظرته مال قلبي اليه ولم نلث
ان ارتبطنا بعري المودة الحقيقية فكان انيسي الوحيد في كل المدة التي اقضيناها
في ريكياويك وكان لفريدريكسون بيت يشتمل على ثلاث غرف فاخلى لنا
اثنين منها والح علينا بالاقامة عنده فاجبناه الى طلبه شاكرين صنيعه وققلنا
متاعنا الى منزله في ذلك اليوم نفسه

ولما خلا المكان بي وبعي نظرا لي بوجه متهلل فرحا وقال هان الامر يا اكسيل
قلت ماذا تريد بذلك

قال أريد أنه لم يبق علينا إلا النزول الى قلب الارض
قلت وهل الرجوع الى ظاهرها ليس عندك بامر ذي بال او تريد ان
تقيم في قلب الارض ابداً
قال لا يهمني الان امر الرجوع فني تم لنا الذهاب ننظر في الابواب ثم اخذ
قبضته وعصاه وقال انا ذاهب الى المكتبة على اجد بها شيئاً لسكوسيم
قلت وانا ذاهب اتجول في المدينة واتعهد معاهدها فهل لك ان تفعل
مثل ذلك يا عمه

قال لا فان الذي نتوق نفسي اليه انما هو قلب ايسلاندا لا وجهها
ثم خرجت اتجول في اسواق المدينة سائراً حيثما سافنتي قديما اماريكياويك
فهي مدينة صغيرة قائمة بين رايتين وعلى احد جانبيها كنيس تألف من المواد
البركانية ينتهي الى البحر ومن الجانب الآخر فريضة فيكسا التي تمتد من الجهة
الشمالية حتى قاعدة جبل اسنيفل ولم يكن فيها وقتئذ من السفن غير السفينة
فلكيريا التي حملتنا الى تلك الديار ولريكياويك شارعان فقط احدهما يمتد على
خط مواز للشاطئ وهو مقر التجار وارباب المحرف والصنائع والآخر واقع في الجهة
الغربية منها وفيه دار الاسقفية ومنازل بقية الاهالي الذين لا يعاطون التجارة
وهو اصغر من الشارع الاول فتجولت برهة في ذينك الشارعين فرأيت منظرها
تقبض لة الارواح وتشتت منه النفوس

لا تكاد العيون تبصر فيه قط غصناً يهفو اليه النسيم
ومنى اتجبت الى العين انسا بلدة فحلة وارض غيم
ولما وصلت الى نصف الشارع الثاني رأيت الجبانة العمومية وهي ارض
فسحة يحيط بها سور من تراب ومعظمها خال من القبور وعلى مسافة قريبة منها
سراي المحاكم وهي دار يدعى بالنسبة الى اكواخ الاهالي كما انها شبه بكوخ بيغ
جانب سراي هيج وللمدينة كنيسة واحدة قائمة بين ذاك الشارع وبحيرة صغيرة



بحيث ان سطوح المنازل هي في الواقع اخصب ارض المدينة واجودها تربة (صفحة ٥٤)

واقعة في الجهة الغربية وهي مبنية بحجار متكلسة قذفتها البراكين من افواهها
الملتببة وسطحها مسقوف بالطوب الاحمر واظن ان سقفها يتجدد مرة في كل عام
لان الرياح بالطبع تبدده في فصل الشتاء واما المدرسة الوطنية فهي مبنية
على كتيب بالقرب من الكنيسة وهي تخوي على اربعين تلميذاً ويهرس فيها
اربع لغات فضلاً عن العلوم وهي اللاتينية والانكليزية والفرنساوية
والدانمركية

وبيوت الاهالي مبنية باللبن وحيطانها قليلة الارتفاع مخفية الى الداخل

وسطوحها مكسوة بالعشب لان حرارة المنزل الداخلية تساعد على نفوهِه وقد علمت ان الاهالي يقطعون ذلك العشب ويقدمونه علفاً لمواشيهم اذ ان برية المدينة صلحاء جدباء لا يكثر فيها الا ما فذفته البراكين من الصخور النارية والمواد الكبريتية بحيث ان سطوح المنازل هي في الواقع اخصب ارض المدينة واجودها تربةً وعند رجوعي الى شارع التجار رأيت كثيرين من الاهالي يشتغلون بتقديد السمك ومعظم تجارة المدينة بالسمك القديد

اما الاهالي فالرجال منهم اقوياء البنية ولكنهم بطيئون الحركة* فهم اشبه بالاملان من سوامم واللون الأشقر عمومي فيهم وهم ابعد الناس عن الهزل والمجون فلا ترى فيهم خفة ولا تسمع لضاحكهم قهقهة فكأن قلوبهم في حزن دائم وما ذاك الا لانفرادهم عن بقية العالمين في بلاد واقعة على حدود دائرة القطب واما لباسهم فتعبعة واسعة وعباء (سترة) من صوف وسروال (بنطلون) مخطط شريط احمر ونعل ذات قبال واما النساء فنظرن مقبول وعلى وجوههن سمات الحزن وانكسار النفس والبناب منهن يتنين الشعر ذوائب ويلبسن عراقية سراء تحيكها ايديهن واما من كانت ذات بعل فتعصب الرأس بعصابة ملونة تعلقوها قطعة من نسج الكتان بهيئة ريشة نعام

وفي مساء ذلك اليوم بينما نحن على المائدة تناول الطعام دار الكلام بين الاستاذ والموسيو فريدريكسون على مواضيع علمية وكان الاستاذ يتقديني بعينه تنبيها لي الى التزام السكوت عما يتعلق برحلتنا

وفي اثناء ذلك سألة الموسيو فريدريكسون عما وجده في المكتبة من الكتب النفيسة فاجابه الاستاذ بانه لم يجد فيها كتاباً واحداً جديراً بالانثفات فاخبرنا الموسيو فريدريكسون ان المكتبة غنية تشتمل على ثمانية الاف كتاب قديمة العهد اكثرها نادر الوجود فضلاً عن الكتب الجديدة التي يزداد عددها سنة عن سنة غير ان الايسلانديين لما كانوا مائلين بالطبع الى العلم لا يجهل احد منهم القراءة

فهم يتداولونها لمطالعتها ويرون ان تلفها بين ايديهم خير من ان تقضمها الجحرفان وهي في طبقات المكتبة ثم سأل الاستاذ عن الكتب التي يروم الاطلاع عليها فاجابه الاستاذ هي مؤلفات آرن سكوسيم

فقال فريدريكسون آرن سكوسيم ذلك العالم الذي عاش في الجيل السادس عشر امام العارفين بالعلوم الطبيعية واستاذ الكيمياء بن واجسر السواح قال نعم هو بنفسه

قال فخر ايسلاندا واشهر رجال عصره

قال هو هو بعينه فأين مؤلفاته

وكان وجه الاستاذ متهللاً فرحاً عند سماعه مدح سكوسيم فاجابه فريدريكسون ان مؤلفات ذلك العالم غير موجودة

فتعجب الاستاذ وقال كيف لا توجد مؤلفات هذا العالم الشهير في ايسلاندا وطنه

فقال فريدريكسون لا يوجد منها شيء لا في ايسلاندا ولا في سواها من البلدان وسبب ذلك ان آرن سكوسيم اتهم بالكفر واضطهد من اجل ذلك وفي سنة ١٥٧٣ احرقت مؤلفاته في كوبنهاغن بيد الجلاذ

فانبسط وجه الاستاذ وقال الآن انكشف لي سر المسألة وعرفت السبب الذي حمل سكوسيم على اخفاء اكتشافه

فسأله فريدريكسون بشوق قائلاً اي سر واي اكتشاف أوقفت على شيء من آثار هذا العالم

فبدت على وجه الاستاذ علامة الارتباك وقال لا ... ولكني ... افرض ...

فقلت مخاطباً فريدريكسون دار الكلام مرة بيني وبين عي على سكوسيم وعيما من كونه لم يترك شيئاً من المؤلفات مع تضييعه من العلوم وافراده بين رجال

عصره بفنون كثيرة

فقال الأستاذ نعم نعم كنت اعجب كيف ان هذا العالم لم يترك اثرًا يذكر به فانكشف لي الآن سر المسألة وعرفت السبب الذي قضى باخفاء اكتشافاته العلمية

فاكتفى فريدريكسون بهذا الجواب واقتصر عن استقصاء الحقيقة تأدياً وبعد برهة قال للأستاذ اظن انك لا تبارح جزيرتنا قبل ان تأخذ مجموعة من معادنها

اجاب لا بد لي من ذلك ولكن قل لي هل غادر العلماء الذين سبقوني اليها بقعة لم يستوفوا البحث فيها

فقال لم يأت جزيرتنا من العلماء حتى الآن الا عدد قليل جداً وإجماعهم قاصرة على قسم منها وعندنا كثير من الجبال المتجادة والبراكين المنطفئة لم تطأه رجل العلماء حتى الآن وهنا جبل بركاني يدعى اسنيفل ذاك الذي تراه ينطح السحاب بقرنيه لا يقصده السواح الا في النادر مع انه اولى من غيره بالبحث والاستقراء فقباهل الأستاذ وقال هل هو منطفيء

قال منذ نيف وخمسمائة سنة

فاطرق الأستاذ برهة ثم قال انسي تحدثني بان ابدأ باستقراء هذا الجبل السنفل... السنفل... كيف دعوته

قال اسنيفل

اما انا فكنت اغالب الضحك وبغاليني حتى دمت عيناى واحر وجهي واهتز جسمي وكاد يستغني العجب لما رأيت عي يظهر بالجهل والسذاجة وهو يقعنس على كرسيه عجباً نفسه في اخفاء ظواهر النرج التي كانت بادية في حركاته وسكناته

ثم نظر الأستاذ الى الموسيو فريدريكسون وقال قد اعتمدت على اتباع

مشورتك وبودي السفر غداً بالنفس ان كان ذلك ممكناً
قال فريدريكسون يا حبذا لو كانت تسمح لي اشغالي بان اصحبك في هذه
الرحلة ولكن.....

فقطع الاستاذ كلامه قائلاً لا لا فاني لا اريد ان اتعب احداً على اني
لن انسى لطفك ابداً

قال فريدريكسون لا شك انك ستبقى في هذا الجبل ما تقربه عينك
ولكن على اي طريق تذهب اليه

قال الاستاذ اظن ان السفر بنجر الأقرب الطرق واسهلها
قال نعم لو كان ذلك في الامكان ولكنك لن تجد في كل المدينة قارباً
واحداً خلا السفن الميرية المخصصة لخدمة المينا

قال كيف ذلك أيجلو ثغر تجاري من قارب
قال فريدريكسون تلك هي الحقيقة فليس لك انن الا السفر براً
قال ان لم يكن في اليد حيلة فعلينا ان نبحث عن دليل يصحبنا
قال اطمئن بالاً من هذا القيل فانا آتيك غداً بدليل امين نبيه يعول
عليه في كل امر

فشكر له الاستاذ غيرته شكراً جزيلاً وكان قلبه طائفاً فرحاً لانه وقف في
ذلك اليوم على عدة امور مهمة الوقوف عليها منها قصة سكوسيم وسبب كسبه
الرقعة السرية وعدم امكان الموسيو فريدريكسون مرافقته في سفره وحصوله على
دليل موافق في وقت قريب ثم انصرف كل منا الى مضجعو



الفصل العاشر

لما كان اليوم الثاني جاء الدليل الذي وعدنا به فريدريكسون وهو رجل
طويل القامة عريض الصدر والكنتين تلوح على وجهه علام الغدو والسكينة



وهو قوي البنية جداً (صفحة ٥٩)

وهو قوي البنية جداً بعينين زرقاوين صغيرتين فيها نور الذكاء والنباهة وشعر طويل ضارب الى الحمرة مرسل على اكتافه وصنعتة العادية جمع ريش الایدر الذي هو من اعظم اسباب ثروة الجزيرة واقوى وسائل رياسها والایدر طير شبيه بالاوز يألف الاقطار الشالية يطلبون ريشه لنعومته وهم يجدهونه بالكيفية الآتية تبني انثى الایدر وكرها في اوائل الصيف في الصخور القائمة على شطوط الخجان الضيقة ثم تكسوه بريش تنزعه من بطنها فيجمع الصياد ذلك الريش اخلاصاً فتعود الانثى الى نزع غيره والصياد الى سرقة حتى اذا صار بطنها

املط جاء الذكر ونزع من ريش بطنه ما يكسوه الوكر فيعرض عنه الصياد
لانه خشن لا قيمة له فبيض الانثى بيضها فيه وترني فراخها فاذا جأت السنة
التالية عادت الى العمل وعاد الصيادون الى الاخلاص

وكان اسم دليلنا هنس ابيالك وقد رأيت منه حين محاورته مع عي رجلاً
قبل الكلام بعيداً عن المحدة ضئيفاً بالحركة جامعاً بين السكون والسكوت وهذه
الطباع بعيدة عن طباع عي بعد الضب عن الحوت الا انها رغا عن ميانة طباعها
توافقاً بسهولة فتعاهدا على ان الدليل يقدم لنا اربعة افراس لقلنا وتقل لوازمنا
الى قرية استابى التي بسفح الجبل ويبقى هو يرفقتنا ما دام الاستاذ يرى لوجوده
معنا لزوماً وذلك بمقابل ثلاثة ريات في الاسبوع يدفعها له الاستاذ آجلاً في
مساء يوم السبت ثم اوصاه عي بالتأهب للرحيل بعد يومين وقبل انصرافه
عرض عليه شيئاً من الثود فأبى قائلاً ان ذلك مخالف للشروط

ولما خلا بنا المكان قال الاستاذ ان هذا الرجل قد جمع بين التباهة وقوة
البنية فيسكون لنا منه فائدة كبرى في رحلتنا

قلت أنزع ان تصعبه الى حيث تؤمل الوصول
قال نعم الى قلب الارض

ثم اخذنا تتقيد الآلات والادوات التي اشتراها الاستاذ قبل قيامه من
هبرج فوجدناها سليمة صحيحة خالية من الشوائب والعيوب فصرفنا قسماً كبيراً
من النهار نشغل في ترتيبها وربط كل نوع منها على حدة وهي كثيرة العدد
مختلفة الانواع اقتصر على ذكر اهم منها

اولاً ترمومتر (مقياس الحرارة) ستيكراد من عمل ايجل يتقسم الى ١٥٠
درجة وهذا العدد فيما ارى اما زائد عن اللزوم وذلك اذا كانت المقصود منه
معرفة درجة حرارة الهواء لاننا قبل الوصول الى ذاك الحد من الحرارة ننضج كما
ينضج الطعام واما اقل من اللازم وذلك اذا اردنا معرفة درجة حرارة البنابيع

الحارة او غير ذلك من المواد الذائبة

ثانياً مانومتر (مقياس الضغط) قائم على الهواء المضغوط وموقع بكيفية
يتيسر بها تعيين درجات ضغط الهواء متى فاقبت على درجة الضغط على سطح
الاقويانوس وكانت هذه الآلة ضرورية لنا لانه من المعلوم ان الهواء يزداد كثافته
كلما تعمقنا في قلب الارض فالبارومتر العادي لم يكن وائياً بالغرض
ثالثاً كرونومتر (ساعة تعرف بقياس الوقت) موقع بغاية الضبط على خط
الطول المار بمخرج

رابعاً ابرة مغناطيسية

خامساً نظارة ليلية

سادساً مصباحان كهربائيان من مصابيح رومكوف وهي ساطعة النور
سهلة الثقل مأمونة الخطر

سابعاً بندينقيتان من معمل بورليمور وغدارتان من ذوات الست طلقات
وكية وافرة من البارود والقطن البارودي الذي لا يطف بالارطوبة وقوة ذاك
القطن الدافعة عند الالتهاب اشد كثيراً من قوة البارود المعروف
ثامناً سلم من حريق طوله ثلاثمائة قدم وعدة حبال طويلة ذات عمد منظمة
على ابعاد متساوية

هذا فضلاً عن الفؤوس والسكاكين والمعاول والازميل والمسافير
والاسافين والمطارق والمسامير على اختلاف انواعها والآلات الجراحية بين
منصات ومشاريط ومحسات وغير ذلك والادوية المختلفة من الكحول عطري
ومحلول خلاص الرصاص واثير واخل ونشادر وبركلورور الحديد وما اشبه
وكان معنا من اللحم القديد والبقسماط مؤونة ستة اشهر الا ان قمرنا كانت خالية
من الماء وكان يقول الاستاذ انه سيملاها من قلب الارض ولم يكثر بما قلته
عن حرارة المياه الداخلية التي تكون كافية لسقي امعانا وعن امكان عدم وجود

ماء على الاطلاق.

وفي مساء ذلك اليوم أدب لنا الكونت تراب مأدبة حضرها كثيرون من وجهاء المدينة وأعيانها وكان كلامهم باللغة الدانيركية فلم أقم شيئاً من الحديث سوى ان الأستاذ تكلم طول الوقت.

وفي اليوم الثاني اهدانا الموسيقير فريدريكسون خارطة لجزيرة ايسلاندا مصفوفة الى ... وهي اوفى واحسن من خارطة هندرسون فسرّ بها الأستاذ كثيراً واثني على الموسيقير فريدريكسون ثناء جليلاً.

ولما جاء يوم السفر ودعنا الموسيقير فريدريكسون وذاع الصديق الحميم وانطلقنا على اثر هنس وكان خبيراً بمسالك الجزيرة عالمًا بمأواذها ومجاهلها فسار بنا على اقرب الطرق واسهلها وكانت مطايانا قوية على التعب متدربة على المسير في الاراضي الحجرية الا انها قصيرة جداً فكان الأستاذ يخط الأرض بقدميه وهو متصب فوق جواده كأنه مارء من مرءة الجان.

فبعد ان سرتنا ساعتين على شاطئ البحر في اراضٍ مجدية صلعاء وصلنا الى قرية تعرف باسم جوفون فاقمنا فيها ريثما تناولنا الطعام ثم استأنفنا المسير على طريق صعبة تحمها الصخور من جانب والبحر من الجانب الآخر.

فوصلنا في مبتدأ الساعة الرابعة بعد الظهر الى قرية سوربيور التي على شاطئ خور الولفيود وهو مرفأً طبيعي محاط بصخور هائلة يبلغ علو بعضها ثلاثة الاف قدم ولاصطدام الامواج عليها هدير مستمر ودوي مستديم وعرض الخور من الجهة التي كما فيها الى الجهة الاخرى يبلغ نصف ميل وكان لا بد لنا من اجتيازه الا انه لم يكن هناك الا قارب شرعي لا قوة له على مقاومة المد والجزر فلا يمكّنه المسير الا اذا بلغ المد حده اذ يحصل فترة لا يكون فيها للمد والجزر فعل محسوس ولكن الأستاذ لم يشأ ان ينتظر الوقت المناسب فتقدم بنفسه في المياه زاعماً اجتياز الخليج على ظهره فأبى الفرس الانقياد فحنه الأستاذ



وكان الأستاذ يخط الأرض بقدميه (صفحة ٦٣)

بالمهاز فجمع به حتى كاد يلقيه الى الارض فاخذته الحدة واهب الفرس بالسوط ضرباً فازداد جوحاً ثم انسل من تحته وتركه واقفاً فوق صخرين في وسط المياه كأنه صنم رودس فاخذ الأستاذ يشتم ويلعن وقد غشى وجهه الخجل فلم يمكني ان املك نفسي عن الضحك لما رأيته على تلك الحالة ثم انتقلنا بجبلنا وادواتنا الى القارب وعند الساعة السادسة بعد الظهر بلغ المد الغاية المطلوبة فسار بنا القارب سيراً بطيئاً جداً فلم نبلغ الشاطئ الاخر الا بعد مضي ساعة ونصف وبعد ذلك بنصف ساعة وصلنا الى قرية تعرف باسم جردار

وكان وصولنا في الساعة الثامنة مساءً على أن الشمس كانت لم تزل ظاهرة في الأفق ولا يحجب فإن جزيرة أيسلاندا واقعة في منطقة الخط الخامس والستين من العرض فلا ليل فيها مدى شهري يونيو ولوليو غير أني شعرت بالبرد ولا سيما بالجموع فطرقنا باب أول منزل وصلنا إليه وهو لأحد الفلاحين فاستقبلنا الرجل بهشاشة عربية وإدخلنا قاعة الضيوف وهي أحسن قاعات المنزل إلا أن سقها قريب من الأرض جداً فكان الاستاذ إذا قام فيها لا يمشي إلا مطأطأ رأسه ولطلك القاعة نوافذ قامت فيها جلود الغنم مقام الزجاج فكان النور ينبعث منها إلى الداخل ضعيفاً وللييت باجمعه رائحة السمك القديد وحامض اللبن فبعد أن وضعنا حقائبنا في زاوية دعانا صاحب المنزل إلى المطبخ لنصطلي فبعناه إلى حجرة نعيمت من الدخان وجلسنا حول نار وقودها السرجين والغمم الحجري وعظام الأسماك المجففة وحينئذ أتى إلينا صاحب المنزل وقبل كلاً منا بوجهه مستأنفاً السلام كأنه لم يربنا من قبل ثم جاءت امرأته وفعلت كفعله تلك عادة عندهم من تلقى الضيفان ما عرفتها قبل

ومن لم يسرين البلاد وإهلها يفتنه كثير من شهود الغرائب وفي هذا المقام أقول أن المرأة كانت أما لتسعة عشر ولذا جمعنا وإياهم النار نار المطبخ وكلهم دون سن البلوغ فهم أشبه بلفيف من الملائكة بشرط أن يكون مضى عليهم مدة لم يغتسلوا في مياه الكوثر فبششنا بوجه هؤلاء الاطفال فاستأنسوا وبعد برهة صعد ثلاثة أو أربعة منهم على أكتافنا ومثلهم على ركبنا وإقام الباقون بين أرجلنا وكان القادرون منهم على الكلام يترحبون بنا كل منهم بنغمة غير نغمة الآخر وأما الاطفال فكانوا يصيحون صياح الفرح فعلمت ضجبتهم حتى لم يعد لغيرهم سبيل إلى الكلام وما زالوا على ذلك حتى جاء صاحب المنزل ودعانا إلى تناول الطعام فسكت الضوواء دفعة واحدة وفي ذاك الوقت دخل هنس وكان قد اطلق الخيل في تلك السهول المحببة علي أمل أن تجد شيئاً من العشب



والقب الفرس بالسوط ضرباً فازداد جموحاً (صفحة ٦٢)

تسد به الرق ولما دخل حي صاحب المنزل وأمرأته وقل وجهيهما ثم انعكف
 يقبل أولادهما التسعة عشر ولما فرغ من عمله هذا الذي استغرق مدة من الزمن
 جلسنا على المائدة وكان عددنا أربعة وعشرين شخصاً أما عدد الكراسي فكان
 أقل من ذلك بكثير لأن أكثر الأولاد جلس على ركبنا فاصاب الواحد منا
 اثنين على الأقل فاكلنا المرق أولاً ثم جيء بجفنة رزوم من السمن القديم والسمنك
 القديد والاسلنديون يفضلون السمن القديم على الجديد لحرارة طعمه وبعد
 ذلك جيء بطاجن يشتمل على نيف وثلاثين بيضة من بيض الدجاج فليت

بالسمن يتبعه قصعة من اللبن الرائب

وبعد الأكل ذهب الأولاد الى مخدعهم وبقينا نحن وصاحب المنزل حول الموقدة ساعة من الزمان نضوب من شدة البرد رأي المجوس في عبادة النيران ثم قمنا الى القاعة لاننا كنا في حاجة الى الراحة فجات صاحبة المنزل لتزعم احدقنا وسراويلنا بحسب العادة المألوفة عندهم فامتنعنا بلطف شاكرين لها مزيد التفاتها فانصرفت وكان قد اعد صاحب المنزل لكل منا فرشاً من قش وغطاء من صوف فقمنا جميعنا نومة هنيئة

وفي صباح اليوم الثاني ودعنا صاحب المنزل وعرض عليه عي شيئاً من النقود فأبى اخذه رغماً عن الحاحه فدفع المبلغ مخالسة الى احد اولاده وانصرفنا شاكرين لذلك الرجل كرمه

ولم نتبعد عن جردار قيد غلوة حتى دخلنا في وهدء على كثرة مباهها خالية من النبات ومساكنها متشعبة فكنا في كل برهة ثلاثي جدولاً تضطر الى الخوض فيه محتسبين على المؤونة والذخائر من البلبل

اما المناظر التي شاهدناها في ذلك اليوم فعجزت عن قبض لها النفس فان الارض التي مررنا فيها جدباء صلعاء خالية من العشب اليابس فضلاً عن الاخضر وكما نصادف حيناً بعد حين انساناً رماهم حادث البردباء البرص فهجروا العالم واهلوا تلك البرية المفردة وكان هؤلاء المساكين اذا ابصرونا عن بعد مقبلين عليهم يتوغلون بين الصخور القائمة على جوانب الطريق لكي يتجنبوا عن نظرتنا واما اذا اشرفنا على احد منهم قبل ان يبصرنا فكنت ارى رجلاً متفخ الرأس لامع البشرة امعط الوجه وكنت اشاهد من خلال اثوابه الرثة قروحاً دامية صديدية منتشرة في كل بدنه يؤثر منظرها في النفس واي تأثير

وعند المساء نزلنا في حظيرة مهجورة بعد ان تجاورنا نهرين هناك يعرفان بالألفا وإلهيتا ولعل في هاته التسمية حكمة تاريخية غير معلومة اليوم بين القوم



فكنت ارى رجلاً متبغ الرأس لامع البشرة امعط الوجه (صفحة ٦٦)

فقضينا في تلك الحظيرة ليلة شديدة القرم
وفي اليوم الثاني لم نصادف في طريقنا غير ما صادفناه في ذلك اليوم وكان
مبيتنا في قرية كروزوليت .

وفي يوم ١٩ يونيو قمنا من تلك القرية صباحاً وما ابتعدنا عنها ميلاً حتى
دخلنا ارضاً كستها البراكين المجاورة ايام هيجانها مواد بركانية وقد تجمدت تلك
السوائل على شكلها الاصلي فهي اشبه شي بالامواج وبعضها ملتف على نفسه كالحبال
وفي ذلك اليوم صادفنا على طريقنا عدة بنايع حارة ولما كان الاستاذ لا يطلب

الاسرعة الوصول الى فوهة اسنفل لم يلتفت الى تلك المواد بل بقي سائراً الى
الامام لا يلوي عنافاً ولم نزل نجد السير حتى وصلنا الى قرية بدر القائمة على
شاطيء البحر فقضينا ليلنا فيها وكان نزولنا في بيت من اولاد عم دليلا هنس
فاكرمنا صاحب المنزل غاية الاكرام وكان بودي الاقامة عنده يوماً او يومين
لاني كنت في اشد الاحتياج الى الراحة من نصب المسير وتعب الركوب واجتياز
الانوار والانجاد فاشترت على الاستاذ بذلك ولكنه لم يلتفت الى كلامي

وفي صباح اليوم الثاني قمنا من بدر فاصدين قرية استاني وكان بيننا وبينها
مسافة اربع ساعات فدخلناها عند منتصف النهار ووقفت بنا الخيل من تلقاء
نفسها امام دار القس



الفصل الحادي عشر

استاني قرية تشغل على نحو من ثلاثين بيتاً وهي قائمة بسفح جبل اسنفل
على آكمة تألفت من المواد البركانية وبجانبها فريضة صغيرة يحيط بها سور طبيعي
من البازلت غريب الشكل عجيب التركيب

البازلت صخر اسمر اللون ناري الاصل وهو يتكون احياناً على اشكال منظمة
تنظماً هندسياً تقضي بالعجب فقد قرأت عن عجائب بابل وسمعت وصف غرائب
ابنية اليونان ولكنها ليست بشيء في جانب ما شاهدته ذلك اليوم في استاني فان
الطبيعة قد اقامت على شاطئ البحر سلسلة من العمد البازلتية علوها ثلاثون
قدماً وعددها لا يكاد يحصى وهي في غاية الضبط والتناسب وضعاً وشكلاً ولها
سقف ممتد من اولها الى اخرها في غاية الاحكام والاتقان وكلها قطعة واحدة
اما بيوت القرية فبنائها بسيط وجدرانها قصيرة كبيوت غيرها من
قرى الفلاحين وبيت القس لا يختلف عن غيره بشيء فلما وقفت بنا الخيل في
عرصة الدار رأيت رجلاً يعمل فرساً وقد شمر عن ساعديه حتى بان سواد ابطيه



وهي في غاية البسط وانتاسب وضعاً وشكلاً (صفحة ٦٨)

وتمنطق بمنطقة من جلد تدلت على حجرة فيها الدليل بالسلام وكان ذلك الرجل
الفس بنفسه فبعد أن ناجى الدليل برهة ادخل اصابعه الوسطى والسبابة من كلتي
يديه في فيه وصفر صفرة قوية فبرزت في الحال امرأة جاحضة العينين قبيحة
المنظر مهزولة الجسم وهي اطول ما رأيت من النساء فخنقت من أن تقبلنا قبله
الترحاب ولكنهما لم نفعل والحمد لله بل قطبت حاجبيهما لما بصرت بنا وعيسك
بوجه تستعبد الجح منهُ وتنفر من بشاعته السعالى

ثم ادخلتنا المنزل كارهةً وبقي الفس يباشر عمله

اما قاعة الضيوق فأردأ قاعات المنزل فهي قدرة منتهى ليس فيها شيء من
الاثاث سوى حصير تقادم عهده ومقعدة من خشب اظنها من بقايا سفينة نوح
فعلت ان بيت القس ليس بيت ضيافة وريثا فرغ الكاهن من انعال الفرس
شرع في تصليح قفل لبعض الاهالي ثم اقلب نجارا ثم حدانا ثم صيادا ولم أره
ساعة واحدة كاهنا

نعم ان الشغل العالي غير محرم على القسس لاسيما اذا كانوا في حاجة الى
السعي في طلب الرزق ولكن معاطاة بعض الحرف تستلزم غالبا الاتصاف بصفة
اربابها فالييطرة مثلا تستلزم زجر الخيل في كل آن زجرا عتيقا فاذا اعتاد المرء
ذلك صارت فيه الشراسة ملكة وقد ذهب بعضهم الى ان الزجر لا يجدي نفعا
الا اذا كان مصحوبا بلعنة وقد ثبت لي في تلك الليلة اذ اجتمعنا بالقس ان
الامر انتهى به الى تلك الحال

وكان في عزم الاستاذ ان يقيم بضعة ايام في استاني لاجل الراحة من عناء
السفر ولكنه لما علم بما هو عليه ذلك القس من قبح الطباع وسوء الاخلاق صم
على ان يعاجله بالفراق فاعوز الى هنس بالنأهب للسفر في صباح يوم ٢٢ يونيو
اي بعد وصولنا بيومين فاستأجر الدليل ثلاثة رجال من اهالي القرية لتنتقل
على ظهرها الامتعة الى ضهر الجبل لان الطريق غير صالحة لمسير الخيل عليها
وفي نفس ذلك اليوم اي يوم وصولنا الى استاني انذر الاستاذ هنسا بانة
عازم على استقصاء البركان الى اقصى حدوده الداخلية فحنى الدليل راسه بمعنى
انه مستعد لذلك اما انا فادركني الخوف والوجل وعادتني الحال التي كنت بها
في مبتداء الامر بعد ما كان شغلني عنها السفر منذ ثخوصنا من هبرج فاخذت
اهكر في الاخطار التي نكون عرضة لها اذا دخلنا في جوف الارض فخطر بيالي
لمر لم يحل في خلدي من قبل زادني قلقا واضطرابا ذلك اني تذكرت انه مر على
بركان اسنفل في العصر الخالية حين من الدهر هادئا مستكنا حتى جعل في عداد

البراكين المنطفئة ثم عاد في سنة ١٢١٩ الى القذف والهيجان فاي شيء ثبت لنا الآن ان ناره انطفأت خفية واي بلاء نلاقه او مكروه وقع فيه اذا كانت ناره كاسنة تحت الرماد واجمها حامل من العوامل الطبيعية بيها نحن متوغلون في قلب الارض سائرون في مجاريها

وكنت اعلم ان الاستاذ لا يحول عن عزمه ولو حالت دون عاينه طوائف الانس والجن لاسما بعد ان صار عند قاعدة جبل اسنفل على اني اتيت اليه في صباح اليوم الثاني والقيت عليه المسألة بصفة فرض بسيط بعيد الاحتمال فاجابني قائلاً ان هذه المسألة جديرة بالالتفات وقد ترويت فيها البارحة طويلاً اذ لا ينبغي للعاقل ان يتورط في امر قبل التبصر في عقابه والتدبر في منتهاه

وكان الاستاذ يتكلم بحمد فقلت لعله ترك العناد واتبع طريق الرشاد ثم استطرد الكلام قائلاً نعم انه مضى على هذا البركان ستة اجيال ولسانه منجم ولكن من الممكن ان ينطلق يوماً ما غير ان لذلك دلائل معروفة ومظاهر معينة تنذرت قرب الهيجان فقد استقصيت الاخبار من بعض الاهالي وبجنت في الارض وراقبت المظاهر الجيولوجية فلم ار شيئاً من تلك الدلائل فعلمت انه لا خوف علينا مما نخشى

فلما سمعت منه ذلك الكلام وقفت حائراً فقال ان كان عندك ريب في كلامي فاتبعني ثم خرجنا من القرية وسرنا صعوداً حتى بلغنا رابية اشرفنا منها على سهول شاسعة ترصعت بالصخور النارية من بازلت وصوان وتراشيت وغير ذلك من المواد البركانية كانها برد امطرته عليها السماء لو عصابة من حبيب يستها الصهباء وقد شمع جبينها بالماء ورأيت عن يميني وشمالتي عدة بتابع حارة يتصاعد منها بخار ابيض كثيف فاشار اليها الاستاذ وقال رأيت هذا الدخان يا اكسيل



تصاعد منها بخار ايض كئيف (صفحة ٧١)

قلت نعم وكفى بـ "دليلاً" على أن خوفنا في مثله
 قال لا بل هو الدليل القاطع على أن خوفنا في غير مثله
 فاخذني العجب من كلامه وقلت كيف تستنتج هذه النتيجة مع أنه لا شيء
 يبيّن عن وجود النيران أكثر من تصاعد الدخان
 حقق الأمر بالدليل وفكر فدخان من غير نار محال
 فقال هذه أقوال تركز اليأس الرعابيد لا تليق بمثلك من الصناديد
 ولقد حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء أما تعلم أنه من الحق للبيان الثابت

بالمشاهدة في كل زمان ان مثل هذا الدخان اذا اقترب وقت هيجان البركان
يزداد كثافة من دققة الى اخرى حتى اذا ابتداء القذف ينقطع كلياً وذلك لان
البخار ينبعث اذ ذاك من مجرى البركان بدلاً من ان يتخلل قشرة الكرة الارضية
وفضلاً عن ذلك اذا زلت ساعة الهيجان انقطع المطر وسكنت الريح وثقل الهواء
والحال اننا لا نرى شيئاً من هذه الدلائل فاذن يمكننا ان نحكم بأنه لا خوف من
هيجان قريب

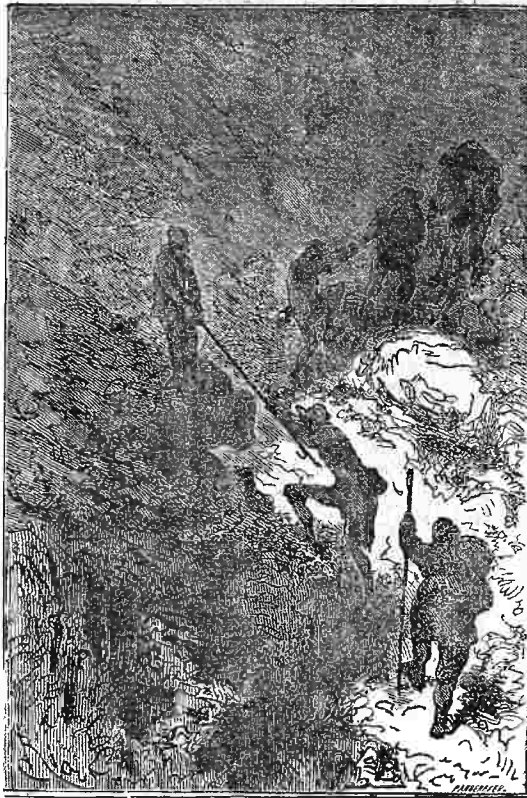
فعميزت عن الجواب ورجعت الى القرية حزيناً كثيراً آتياً من السلامة
وكت قد عللت نفسي بامل فارغ قضيت تلك الليلة في قلق واضطراب تروعي
الاحلام وتفرغي الخيالات وكت انا غفوت رأيت نفسي متقدماً من فوهة
البركان الى اقصى كواكب النظام الشمسي تارة بصورة صخر ناري وطوراً بصورة
سائل ملتهب واذا استيقظت لا ازال اري لسان اللهب مندبلاً نصب عيني
ولما جاء اليوم الثاني خرجنا مشاة طالين رأس الجبل وكان القس وامرأته
يتظرانا في فناء المنزل فلما اقبلنا نودعها قدما لنا قائمة المصاريف التي تكبداها
بسببنا وهي تشتمل على قيمة الهواء الفاسد الذي تنشقاه في قاعة الضيوف فضلاً
عن قيمة ما لحق بالحصير والمتعة من التلف بسبب جلوسنا عليها فتقدما عى
المبلغ بدون ان يبدي اعتراضاً وانطلقنا على اثرهنس والاشخاص الثلاثة المحاملين
لادواتنا وقد تأبط كل منا قرية ممثلة ماء وتقلد عصا ملبسة حديدآ وما
ابعدنا عن القرية قيد فرسخ حتى دخلنا منجماً من الفم الحجري تخلف عن الغياض
القديمة وهو يشغل بقعة طويلة عريضة وسمكه في بعض المحلات يبلغ السبعين
قدماً وفيه من الفم ما يقوم باحتياج الجزيرة جيلاً كاملاً على انه لم يزل يكرأ
ومن ثم انتهينا الى طريق حجرة فسرنا عليها الواحد وراء الآخر بحيث كان
بمعثر علينا المحادثة فاخذت افكر في تاريخ الجزيرة الجيولوجي وفعل البراكين
فيها وتذكرت ما ذهب اليه اكثر مشاهير العلماء من ان جزيرة ايسلاندا حديثة

العهد أي أنها برزت من تحت المياه من مدة قريبة وأرتأى بعضهم أنها لم تزل ترتفع شيئاً فشيئاً حتى الآن بحركة غير محسوسة فان صدق قولهم فهي ناشئة عن فعل النيران الداخلية وإن صح ذلك فقد ثبت فساد مذهب هفري ديفي وكذبت رقعة سكونسيم وأضح خطاه الاستاذ

أما اكتشافها فكان في سنة ١٦٠ وهي واقعة بين ١٣٦٤ و ١٦٤٣ من العرض الشمالي و ١٢٣١ و ٢٤١٧ من الطول الغربي وقد وافق اسمها مسماها وطابق لفظها معناها لان ايسلاندا معناها ارض الجليد ومساحتها ٣٠٥٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٧٠٠٠٠ نفس وهي ارض بركانية يشغل القسم الأكبر من سطحها سلسلة رسوبات كلسية بالاغونية مرتفعة يتخللها تراشيت وفي جوانبها كثير من البارزات والبارزات أقدم تلك التراكيب ويلبه البالاغونيت ثم السوائل البركانية المتجمدة وينطوي تحتها الطبقات التي تكونت بفعل البراكين الحديثة وبعض جبالها مكلل أبداً بالثلج كميل اسنفل وفي داخلها بركة كبيرة مغطاة بمواد بركانية والفعل البركاني ظاهر في بقعة عريضة منها ممتدة من رأس ريكناس في الجنوب الغربي الى كرفلا في الشمال وفيها من المعادن النحاس والحديد والرصاص والفضة والكبريت والفلدسبار والكورتز والحلكيدوني والبنفش والزبرجد والدهنج والخبث الساقى والأوبال وغير ذلك

فبعد ان راجعت جميع ذلك في فكري ودققت النظر في تربة الارض التي كما نسبر عليها اقتنعت كل الافتناع بصحة رأي اولئك العلماء وايقنت ان قلب الجزيرة لم يزل ملتصقاً وان كل المواد التي فيه سائلة فاطمان بالي نوعاً من الاطمئنان وعلمت ان الاستاذ سيكره على الرجوع بخفي حين اذا توغل بضعة اميال في جوف الارض اذ تبلغ درجة الحرارة مبلغاً لا نسمع له بالتقدم هذا اذا كان من فوهة البركان طريق الى قلب الارض

وبعد ان سرنا ثلاث ساعات في صعود مستمر وصلنا الى قاعدة الجبل



فاخذنا تسلق الصخور البازخة وتصور الجنادل الشامخة (صفحة ٧٥)

الحقيقية فاقمنا هناك ريثا تناولنا الطعام ثم استأنفنا المسير بهمة ونشاط وكانت طريقنا هذه اوعر من طريقنا الاول فاخذنا تسلق الصخور البازخة وتصور الجنادل الشامخة مستعينين بالعصي التي بايدينا وكان الايسلنديون الذين صحبونا يسرون امامنا بسهوة غريبة مع انهم حاملون من الاثقال احمالا ومن الاحمال اثقالا وكذلك الاستاذ مع انه غير معتاد على المسير في الاراضي الوعرة وكان سائراً بالقرب مني لا يغفل عني طرفه عين ولولاه اسقطت مرة او مرتين في هوايا بعيدة القعر

ولم نزل .تسهم غوارب الصخور محاذرين من سقوطها بنا الى ان وصلنا
بعد مسير ساعة الى منطقة الجليد المنتشر على القسم الاعلى من الجبل فسهل علينا
المسير لان الجليد تجمد على الحجارة فصيرها كالدرج المشد وعند الساعة
السابعة وصلنا الى قاعدة المخروط القائم على رأس الجبل

وكان قد اعياني التعب واضناني النصب حتى لم بعد لي قدرة على نقل
رجلي الا بشقة عظيمة ولما رأى الاستاذ مني ذلك اشار الى هنس بالوقوف فابى
الدليل الا المسير فسأله الاستاذ عن السبب فاشار بيده الى السهول الممتدة في
اسفل الجبل وقال (اعصار) فرأيت عجاوبة سوداء تألفت من الرمل الاسود
ودقيق الحصى وقد اتصبت كالعمود طرقتها الاسفل في الارض والآخر في السماء
وهي تدور على نفسها بسرعة تدهش البصر مرتفعة نحو الجبل وامثال تلك العاصفة
كثيرة في ايسلاندا اذا هبت الريح من الجبال المتجلدة فلما رأها قومنا الايسلانديون
اضطربوا خوفاً لانها كانت مقبلة علينا بسرعة غريبة فقصصنا الجهة المخالفة من
رأس الجبل وقد رجعت اليّ قواي فاخذنا نعدو عدوً غير مباين بما دوننا من
الهوايا ولا مكترئين بما فوقنا من الصخور المتدلية علينا وهي على شرف السقوط
وكان الاعصار مقتفياً اثرنا حاجباً عين الشمس فابتعدنا عن محل الخطر قيد
غلوته حتى انطبق على الجبل بقوة الصاعقة فكان لانطباقه دوي كقص الرعد
المواصل وثار الغبار في السماء حتى خيم على الارض فاقطع الصخور الهائلة
ورفعها في الجو ثم رمى بها الارض فتدحرجت الى سفح الجبل بقرعة تصم الاذان
وفي تلك الساعة عرفت عظم الخطر الذي نجونا منه لاننا لولا نباهه هنس
لانطبق الاعصار علينا ومزق اجسامنا كل مزق وتركنا هباءً منثوراً

وكان لم يزل بيننا وبين رأس القمة علو ١٥٠٠ قدم الا ان الطريق صعبة
جداً فكنا لا نرتفع قدماً الا بعد ان نسير عدة خطوات يميناً او شمالاً فلم نصل
الى اعلى الجبل الا عند نصف الليل وكانت الشمس اذ ذاك في الافق ترسل



ونار الغبار في السماء حتى خيم على الأرض (صفحة ٧٦)

اشعة ضعيفة لا حرارة فيها فوقفت هناك برهةً أتأملها ثم لحقت باصحابي الى
الوكر الذي اخناروه للمبيت فتناولنا الطعام الذي حضره لنا الدليل وما فرغت
من الاكل الا وانا اتمابل من النعاس فقمنا الى فراشي اتهادى في مشيتي كالنشوان
وانطرحت كالقنبل حتى الصباح



الفصل الثاني عشر

ما قضيت في العريلة حلا لعيني فيها مواصلة الكرى وراق يجني معانقة

الغص مثل الليلة القائمة مع اني لم افترش غير صخر من الصوان ولم اتوسد سوى رزمة من الحبال ولكن التعب كان قد اهلك قواي فوجدت للنوم لذة لم اعرفها من قبل وما استيقظت من نومي الا وقد اقبل البحر بكواكبه يتهادى بين مواكبه من طل يتعالى وهو بارد ويخفف وهو جامد ونسيم يؤلم بوخزه الجلود ويخلل مسام الجسد فيبث فيه سم الجليد ولما فتحت عيني رأيت نفسي نشيطاً فاتصبت على قدمي وقمت اسرح الطرف في المناظر التي كانت منبسطة امامي وكنت اذ ذاك على قمة اسنيفل الجنوبية وهي تشرف على القسم الاكبر من الجزيرة فرأيت اوديتها كالآبار وبحيراتها كالدرام وانهرها كالجدول وجداولها كالافاعي وجبالها المكلفة بالثلج كالامواج الملاطمة ورأيت الاوقيانوس بكل عظته ممتداً في الجهة الغربية وآخره مختلط بالسماء اختلاط الخمر بالماء او العين بالضياء
فكأن السماء بحر محيط وكأن البحر المحيط سماء

وكانت اشعة الشمس ساطعة تنكسر على رؤوس الجبال المتجلدة فتري العين الواثنا باهرة تزري بقوس السحاب فاخذني الدهشة من تلك المناظر العظيمة وبنيت انا على ذلك دنا مني الاستاذ وقال مشيراً بيده الى الغرب اي شيء هذا الذي تراه يا اكسيل

قلت سحابة بيضاء منتشرة على سطح البحر
قال اعد نظراً ما هي سحابة وانما هي جزيرة غرينلانده وهي لا تبعد عنا اكثر من تسعين ميلاً وكثيراً ما تأتي منها الى ايسلاندا الدباب فرادي وزرافات تسير بها قطع من الجليد سير السفن تزجها الرياح
ثم نظر الاستاذ الى هنس وسأله عن اسم القمة التي نحن عليها فقال هي قمة اسكرتريس فتبسم الاستاذ تبسم العجب ثم قال هلنس هيا بنا الى القوهة
اما قوهة اسنيفل فهي على شكل مخروط منقلب وهي اشبه بقع او خرطوم فيل وقطرها من اعلاها يبلغ الميل تقريباً وعمقها نحو النقي قدم وقطرها من اسفلها

خمسائة ولما وقفت على حائتها انتكرت في الايام التي كانت غاصة فيها بالنار واللييب فارتعبت فرائصي واضطربت جميع اعضائي على ان هناسا ر امانا بدون خوف ولا تردد فتبعته مع بقية القوم وكنا نسير على مهل محاذرين من العثار لان الطريق منحدره انحداراً خفيفاً وكان بعض الحجارة قد حرج من تحت ارجلنا فيسبح له صدى غريب يستمر زمناً ومن الفوهة قسم متجلد فكلنا لا نسير عليه الا بغاية الاحتراس وفي المفاوز الخطرة كنا نربط بعضنا بجبل طويل حتى اذا عثرت رجل احدنا يتمكن الباقون من اتشاله على ان تلك الطريقة كانت من جهة اخرى شديدة الخطر لانه من الممكن ان يترتب على سقوط الواحد سقوط الجميع

وعند منتصف النهار وصلنا الى اسفل التمع سالمين ولم يستطع منا الا رزمة حبال افلتت من يد احد الايسلانديين فسبقتنا الى حيث كنا قاصدين متبعة اقرب الطرق

وفي اسفل التمع ثلاث فوهات يبلغ قطر الواحدة مائة قدم تقريباً ومنها كانت تندفق المواد البركانية في ايام الهيجان فتأمل الاستاذ مواقعها برهة ثم ترخ طرباً واحذ بجهاز من امام الواحدة الى امام الاخرى كالليث في وثباته وثباته وهو يهمهم ويجمعهم وكان هنس ورفقاؤه الايسلانديون جالسين على صخري ينظرون اليه كمن داخله الريب في سلامة عقله وبعد بضع دقائق صرخ الاستاذ صرخة دوت لها الهوية فظننت انه سقط في احدى الفوهات فالتفت اليه مرعوباً فراهجه وافقاً امام صخر من السوان وعلام الدهشة ظاهرة على وجهه فهرولت نحوه فاشار بيده الى كتابة رسمت على الصخر وقال انظروا يا اكسيل وقل لي ان كنت لم تزل في رهب من صحة الامر فنظرت الى الكتابة واذا هي اسم آرن سكوسيم فراجعني الخوف من ان تكون الرواية صادقة ثم رجعت حزينا الى المحل الذي كنت فيه واعتمدت رأسي بيدي واخذت انتكر في امر تلك الرحلة وما لاقيت



فخطرت الى الكتابة واذا هي اسم ارن سكتوسيم (صفحة ٧٩)

بسيها من الانعاب وما عسى الاقيه فبقيت مدة طويلة تائها في قفار الافكار
ضالاً في غياهب الخيالات ولما رجعت الى نفسي لم أر حولي الا هنساً والاستاذ
وكان الايسلنديون الثلاثة قد عادوا الى قريتهم
اما هنس فكان راقداً بجانب صخر متوسداً جندياً من السوائل المتجمدة واما
الاستاذ فكان يدور في ارض القمع كأنه نمر في فقس ولم يكن لي همة ولا قوة على
اتباعه فاضطجعت حيثما كنت موثراً الاقتداء بهنس ولم يطب لعيني في تلك
الليلة منام اذ كان منقطعاً خبير هنيئاً وكان يخيل لي تارة اني اسمع دويماً مربعاً

وطوراً ان الارض ترتجف من تحتي ارتجافاً خفيفاً
ولما اصبح الصبح استيقظت من نومي فرأيت السماء مغيرة الوجه والغيوم
منتشرة فوق الجبل كالسرادق الممدود والافق حاجب عين الشمس بغيته وكان
الاستاذ مطباً وجهه وظواهر الكدر بادية عليه لانه كان يخشى من ان يستمر
الطقس على تلك الحالة حتى دخول شهر لوليوف يضطر الى تأجيل رحلته الى
سنة اخرى اذ ان معرفة القوهة المؤدية الى قلب الارض موقوفة على وقوع ظل
اسكرتريس عليها وذلك لا يتيسر ما لم تبرز الشمس من وراء الغيوم فكان حكم
تلك القمة حكم الزولة لا فائدة منها الا اذا كانت الشمس ظاهرة في السماء فسررت
لذلك الاتفاق الذي لم آكن انتظره واما الاستاذ فاقطع عن الاكل والشرب
والكلام وبقي من الصبح حتى المساء ممدقاً نظره بالسماء وكان وجهه يتقبض مرة
ويتبسط اخرى بحسب تكاثف الغيوم وانقشاعها فكانته مرآة تتلألأ عليها الغيوم
او آلة يعرف بها مقدار تراكمها على ان النهار انقضى ولم تظهر الشمس دقيقة
واحدة

وفي اليوم التالي وهو السادس والعشرون من شهر يونيو امطرت السماء
والثلج من الصباح حتى المساء فامتلى هنس بيتنا من الصخور البركانية على نقطة
مرتفعة لا يصيبها السيل واستمرت الغيوم حاجبة عين الشمس في اليوم الثاني ايضاً
فبلغ الغيظ من الاستاذ مبلغاً عظيماً لانه رأى مساءه في خطر الحبوط بعد ان
قاسى ما قاسى من التعب وبذل ما بذل من القود حتى بلغ القوهة المؤدية
الى قلب الارض فكان اشبه براكب سفينة قاوم العواصف وصادم الرياح ونجا
من اشد المخاطر ولما دخل المرفأ اعتانته المنية واطلعت له البحار اما انا فبت تلك
الليلة في سرور عظيم وكنت اتضرع الى الله ان يقي الطقس على تلك الحال
يومين اثنين فقط حتى اذا انقضى شهر يونيو والشمس محبوبة بالغيوم يفعل بعد
ذلك ما يشاء فيحبس المطر عن ايسلاندا الدهر ان اراد وبحرقها بوهج الشمس اذا

شاء ولكن ابت المقادير الا معاندي وما جاء اليوم الثلاثون من الشهر الا والسماء
رائحة صافية فبرزت الغزالة في الافق ساطعة الانوار تمزق بسهام اشعتها اديم
الضباب وتنادي عي بلسان حالها

ليبك ليك هذي طلعتي برزت وزا محياي منه الضؤ يزهر
فراقب الظل واصنع ما اردت ولا يضع هباء عليك السير والسفر
وطب اذا انت احسنت الغراس في يطيب في الخافقين الحب والفر
فجيها لسان خالي

اذا سترت بكم السحب وجهك عن عيوننا بعض ايام فما الضرر
وانت شرقية والشأن عندكم ان الملاح ذوات الحسن تستر
ولما بلغت الشمس غاية ارتفاعها ارسلت حبلا الى قعر الفوهة فجاء كل
صخر بظله وكان ظل اسكرتريس شاعلاً المحل الاعظم من ارضها فتهايل وجه
الاستاذ فرحاً واخذته خفة الطرب فصار يجيز حول الفوهات ويرقص حتى
خفت عليه من السقوط واما انا فكنت بعكس ذلك حزين النفس متبعض
الصدر فوقفت مطرقاً وقد استولى على قلبي الخوف والوجل وعاودني البأس
بعد الامل

بذا قضت الايام ما بين اهلها مصائب قوم عند قوم فوائد
وما زال ظل ائمة يدور مع الشمس كيفما دارت الى ان اتصف النهار
فتوقع على طرف الفوهة الوسطى واذ ذاك صرخ الاستاذ قائلاً ها هي الطريق
المؤدية الى قلب الارض ثم نظر الى هنس وقال هيا بنا وشاربده الى الجاوية
فاضطربت جميع اعضائي مرة واحدة عند سماعي تلك الكلمات واما هنس فكان
هادئاً ساكن البال كأن السفر الى قلب الارض من الامور العادية عنده فتصب
على قدميه عند سماعه كلام الاستاذ وتقدم نحو الفوهة واخذ يستعد للتزول بدون
ان ييدي اعتراضاً او يسأل سؤالا وكان لم يزل سفي وسعي الامتناع عن المسير

ولكني لم افعل بل لم افه بينت شفة لاسيا اذ رأيت اقدام هنس مع انه اولى مني
بالامتناع

قلت ان قطر الفوهة يبلغ مائة قدم وكنت لم انظر بعد الى جوفها فتقدمت
اليها وانحنيت فوق صخر تدلى على حافتها فتبين لي ان جدرانها الداخلية تكاد
تكون عمودية الا ان فيها صخوراً بارزة تساعد على النزول انا كان الانسان
ممسكاً بيده حبلاً مربوطاً باحد الصخور التي على طرف الفوهة غير اننا لو فعلنا
ذلك لتعذر علينا حل عقدة الحبل انا انتهينا الى اخره ولكن الاستاذ لم يكن
من يجلبون بشعرة ويعثرون بالنوى فانه بعد ان تبصر في الامر بهمة وتروى
فيه لحظة عمد الى حبل طوله اربعائة قدم وغظه كاهبهم اليد وجعل وسطه
على صخر مرتفع الرأس مشرف على الهوة وارخى طرفيه احدها عن يمين الصخر
والاخر عن شماله بحيث صار في امكاننا اذا تدلينا الى عمق مائتي قدم قابضين
على طرفي الحبل معاً ان نجبره من احد طرفيه ثم نعيد العمل بهذه الطريقة الى
ما لا نهاية

وبعد ان فرغنا من تركيب الحبل بالكيفية التي ذكرناها قسمنا الآلات
والادوات التي يخشى عليها من الكسر الى ثلاثة اقسام جعلنا كل قسم منها رزمة
واحدة ثم شدناها الى ظهورنا فخص الاستاذ بالآلات اللطيفة مع شيء من
الزاد واخذت انا شيئاً من الاسلحة وقسماً آخر من الزاد واما بقية الادوات والزاد
فكانت لهنس ثم عمد الاستاذ الى الملابس والحبال والسلام وجعلها رزمة واحدة
والقاهها من الفوهة بدون تردد ثم انحنى فوق الهوة يراقب سقوطها الى ان غابت
عن بصره فوقف وعلام الرضى تلوح على وجهه وبعد ذلك نظر الينا وقال
هيا بنا نحن الان

الفصل الثالث عشر

مضى اوان المشاق والمناعب وجاء وقت الاخطار والمصاعب مضى علينا منذ قيامنا من هيرج خمسة وثلاثون يوماً قضيتها بين لعل وعسى تنازعني عوامل الخوف والوجل ودواعي الاطمئنان والامل الى ان وقفنا على حافة الفوهة المؤدية الى قلب الارض فعلت ان قد قضى الامر ونفذ المقدور فسلمت نفسي للاستاذ ووكلت امري لله

اما هنس فاعتلى الصخر المشرف على الفوهة بيجان ثابت وجمع طرفي الجبل بين يديه وتدلّى امامنا ثم تبعه الاستاذ ولما جاء دوري ارسلت الى خيال ابنة عمي قبلة الدواع وتدلّيت وراء الاستاذ وكان نزولنا بغاية التأني والاحتراص فما كنا نسمع الا صدى وقع الحجارة التي كانت تنفتق من الصخور من تحت ارجلنا وتساقط الى عالم الظلمات وكان هنس يجس الصخور برجليه قبل ان تستقر قدمه عليها فيحذرنا ما كان منها غير مثنين وبعد نصف ساعة وقفنا على صخر بارز في حائط البئر وكنا قد اتينا على اخر الجبل فاخذ هنس احد طرفيه بيده وتمكك تنكّا فافلت طرفه الآخر من الصخر فسقط علينا وهو يكس كل ما صادفه في اثناء سقوطه من فتات الحجارة ودقائق الحصى ثم ثبناه نصفين حول الصخر الذي كنا عليه كما فعلنا في المرة الاولى وتدلّينا ثانية حتى اتينا على اخر الجبل وبعد ان سرنا بهذه الكيفية ثلاث ساعات كاملات وقفنا برهة لترتاح وقضى الاجسامنا حقاً لا تعبث بوجوده مظلمات الفلاح

روح التي رأس ماله فانما ضاعت فلا رج بعد يتظر
وكان قعر الهوة لا يزال محجوباً وراء الظلام ليس لمراي الانظار لاصاحه
من مرام فقال لي الاستاذ كلما تعمقنا في الارض ازداد ثقة بالتخاج فان وضع
هذه الاراضي البركانية وتركيبها يومئذان مذهب ديفي ويدحضان مذهب الفائلين
بالحمارة الداخلية فالترربة التي نحن عليها الان هي التربة الاصلية التي حصل



وكان نزولنا بغاية التأني والاحتراس (صفحة ٨٤)

فيها التهاب المعادن بانحادها بالهواء والماء

اما انا فكان لي في توقع الاخطار في نزولنا ما يكفي لاشتغالي عن مراقبة
انواع الاراضي التي نجاوزها فلم انظر اليها نظرة واحدة بعين الجيولوجي بل لم
ادر اعمدية هي ام نباتية ام حيوانية ولذلك بقيت صامتاً فحسب الاستاذ سكوفي
دليلاً على اقتناعي

وبعد نصف ساعة استأنفنا المسير وكما اذا اعيانا التعب تقف بضع دقائق
طلباً للراحة ثم نعود الى التدي ولم نزل على ذلك حتي الساعة الحادية عشرة

مساءً فسمعت هنسًا يقول انتهى فامسكت عن النزول وقلت لهم

قال الأستاذ وصلنا الى قعر البئر العمودية

قلت أليس منها طريق ما

قال بلى فاني ارى دليلًا من الجهة اليمنى وسنستقصيه غدًا اما الآن فعلينا

ان نهتم أولاً بالاكل ثم بالنوم

وكان الظلام غير حالك فتدليت حتى استقرت قدمي ثم قفح هنس جعبة الزاد فاكلنا حتى اكتفينا واخذ كل منا مضجعة تنسداً بوسادة اعدّها لنفسه من فئات الصخور البركانية وكما قد تدلينا في ذلك اليوم بواسطة الحبل اربع عشرة مرة فعلمت ان عمق البئر ٢٨٠٠ قدم تقريباً لان طول الحبل مثلياً مائتاً قدم كما سبق غير بعيد

ولما جأت الساعة الثامنة من الصباح استيقظت من نومي ونظرت الى اعلى الفوهة فرأيت دائرتها بيضيه الشكل وذلك لما في الجدران من الاعوجاج وكان ضوء النهار يدخل منها فيقع على جدرانها اللامعة ثم ينعكس على سطوح الصخور الصوانية والسوائل البركانية المنجمدة فيرسل اشعته البنا كالشرر في حالك الدجى على ان ذلك النور كان كافياً لمعرفة الاشياء المجاورة لنا وحالما ابصر في الأستاذ واقفاً تقدم نحوي وقال بوجه ياش ما قولك يا اكسيل هل قضيت عرك في هيرج ليلة هادئة مثل هذه فابن نحن من ذوي العربات وصياح التجار وضجة الملاحين

قلت نعم نحن في راحة من كل ذلك في قعر هذه البئر ولكن السكون ذاته الذي يحيط بنا هو مخيف في حد نفسه وله تأثير في القلوب

قال ويحك يا اكسيل الم بأن لك ان تعرك هذه الاقاويل فان من لازمه

حب الحياة فلما يبرح من ضائر الخمول او يحظى بلوغ المأمول

حب السلامة يثني عزم طامحة عن المهالي ويغري المرء بالكنيل

فان جمعت اليه فاتخذ نقاً في الارض اوسلماً في الجو فاعتزل
فتبسمت قائلاً واي نفق اعق ما نحن فيه حتى انخذله واي فسج اوسع من
ظاهر الارض حتى اتبسده

قال دع عنك هذه التصورات يا اكسيل فان كنت تحدث الان بمنزل
هذا الكلام حال كوننا لم تبطن من الارض شبراً فما بالك اذا توغلنا في
احشائها

قلت ماذا تعني بقواك لم تبطن من الارض شبراً
قال اعني بذلك اننا الآن على مساواة سطح الجزيرة فان هذه الانبوية
المعدية التي تنعني الى بركن اسنفل يساوي طرفها الاسفل سطح الاوقيانوس
اويكاد

قلت هل انت على يقين من ذلك
قال نعم وما هو البارومتر واقف فيه الزئبق على الدرجة التاسعة والعشرين
وذلك هو معدل ثقل الهواء على سطح البحر وكلما تعمقنا في جوف الارض يزداد
ثقله بزيادة الضغط عليه وبما قليل لا يعود البارومتر كافياً لتحديد درجته
فتستعوض عنه بالمانومتر

قلت ولكن اذا استمر ثقل الهواء على الازدياد باستمرارنا على التوغل في
جوف الارض أفلا يكون استنشاقه مضرًا بنا

قال لا لان نزولنا بطيء فتعتاد رئاستنا على استنشاقه بالتدريج ولأن نشكو
كثرة بلواه خبيرلنا من ان نشكو قلته فحالتنا افضل من حالة راكبي الرياح
الذين يثقل عنهم الهواء كلما ارتفعوا في الجو بعكس ما نلاقه نحن

ثم اخذنا نبحث على رزمة الحبال التي اقيناها من اعلى القومة قبل نزولنا
فرأيناها عالقة بصخر على علو مائة قدم تقريباً فوق رؤوسنا ففي الحال نزع هنس
حذاءه واخذ جسور جدار البحر بخفة ومهارة نهمز عنها القطار وما مضت لحظة

حتى وصل اليها واقامها الى الارض وبعد رجوعه جلسنا تناول الطعام فاوصانا
الاستاذ بان ناكل كنوز الواجب للقيام بالمشاق التي تنتظرنا ولما فرغنا من الاكل
اخذ من جيبه دفترًا سماه بدفتر الملاحظات وحرر عليه النتائج الاتية بعد ان
نحقق من صحتها بواسطة آلاته المتنوعة

يوم الاثنين اول لوليو

كرونومتر في ١٧ س ٨ صباحًا

بارومتر شعره ٢ قيراط ٢٩

ترمومتر درجة ٦

وجهة شرق الجنوب الشرقي

وكان القصد بالوجهة وجهة الدهليز المظلم وقد عينتها الابرة المغنطيسية
وبعد ذلك نظر اليّ الاستاذ طربًا وقال الان ابتدأت رحلتنا الحقيقية في
جوف الارض

ثم اخذ مداح روميكوف بيد وكان معلقًا برقبته وفتح الحجر الكهربائي
باليد الاخرى فسطع نوره قوتًا في الدهليز وسطًا بكنائمه الخافية على جيوش
الظلام النجاشية وبدد تلك الكنائس احزاب الغياهب وكان هنس حاملًا
المصباح الآخر ففعل كفعله وهذه المصابيح فائدة جليلة اذ يمكن ابرور بها في
وسط الغازات القابلة للاشتعال بدون ان يخشى منها ضرر ثم سرنا في الدهليز
حاملًا كل منا الرزمة التي تعينت له وكان هنس يتقدمنا وهو يدحرج
رزمة الحبال امامه وقبل ان ننوارى فوهة البئر عن نظري تزدت من سماه
ايسلاندا بنظرة كانت نظرة الوداع وقد قدر علي ان لا اراها بعدها

اما الدهليز فبطن بقشرة سمكة من السوائل المتجمدة وهي شديدة اللعاب
فكان النور الكهربائي يتعكس عليها فيزداد سطوعًا واراضه مخدرة على خمس
طربعين درجة تقريبًا الا ان فيها قطعًا شاخصة واخرى منخفضة مما يسهل

المسير عليها قليلاً فهي أشبه بدرج تقادم عهده فقرضته أتياب المحدثان ولعبت به أيدي الزمان وعلى جانبي الدهليز اعمدة متدلية من سقفه بعضها متصل بالأرض والبعض الآخر ينتهي على علو يضع أقدام أما السقف فرصع بصخور من بلور الكورنز غير الشفاف المعروف بدب الملح وعلى هذا البلور كريات من الزجاج الصافي فكانت إذا وقعت عليها أشعة مصابيحنا تنير حالاً بنور ساطع يهر البصر ويغشي النظر فكاننا نلتهب التهاباً والناظر إليها يحسبها ثريات زين بها جن الهاوية مسكنهم أكراماً لنا واحفلاً بقدومنا

فلما ابصرت تلك المناظر اخذني العجب فقلت للاستاذ لله ما أجل هذه المناظر وما ابداعها الا ترى كيف ان هذه السوائل المتجمدة تدرج من اللون الاحمر القاني الى الاصفر الفاقع

فما زهر الرياض اذا تبدى بالهيج قط من تلك المرئي
ولا قوس السحاب اذا تجلى ولا الافار في كبد السماء
وكيف لا تندعش من هذه الكريات البلورية المنيرة فوق رؤوسنا كالبدور في منازلها والشموس في بروجها

فتبسم الاستاذ وقال الحمد لله اذراقت هذه المناظر في عينيك على انها ليست بشئ في جانب ما ستره من العجائب انا وصلنا الى مركز الأرض وكانت طريقنا متجهة الى الجنوب الشرقي بغاية الضبط لا تغرف يمنة ولا يسرة اما الحرارة فلم ترتفع الا قليلاً جداً وبعد ان سرنا ساعتين نظرت الى الترمومتر فראيت ان الحرارة لم تبلغ الا الدرجة العاشرة فاخذني العجب من ذلك ثم قلت لعل الطريق التي سلكناها كانت اقلية اكثر مما ظننتها وكان الاستاذ يسر زوايا الانحراف والانحدار في اثناء مسيره ويعلق نتيجة عمله على دفتر للملاحظات السابق الذكر بحيث يتوصل متى شاء الى معرفة العمق الذي وصلنا اليه بغاية الضبط والدقيق

ولما جأت الساعة الثامنة بعد الظهر أمر الأستاذ بالوقوف وكذا إذ ذاك في محل أشبه بفقارة فعلقنا مضامينا على الجدران وجلسنا بالقرب منها وفي ذاك الوقت شعرت بنسيم لطيف يمر علينا فحجيت من ذلك ولم أعلم ما هو المحرك للهواء في ذاك المحل على أني لم أطل البحث في أمره لاني كنت في شدة من السغب وحاجة الى الاستراحة من التعب ثم أخرج هنس شيئا من الزاد ومدته على صخر من السوائل المتجمدة فاكلنا بقابلية لا مزيد عليها وكان معنا من الزاد ما يكفينا لمدة طويلة الا ان الماء الذي اذخرناه نفذ أكثره ولم يكن باقيا معنا الا مونة خمسة ايام وكان الأستاذ يؤمل ان يملا القرب من البتايح التي في قلب الارض فينبهته الى ذلك لانتنا منذ دخولنا في جوف الارض لحد ذاك الوقت لم نجد للماء اثرًا

فقال الأستاذ هل في عدم وجود الماء ما يقضي بالعجب قلت بل ما يقضي بالعطب

قال اطمن بالآ فاننا سنجد من الماء فوق ما نشتهي

قلت متى يكون ذلك

قال متى انتهينا من هذه القشرة المتخلقة عن السوائل البركانية ألا ترى كيف ان هذه القنات طليت بها فكانت كالملاط لا ينفذ منها الماء

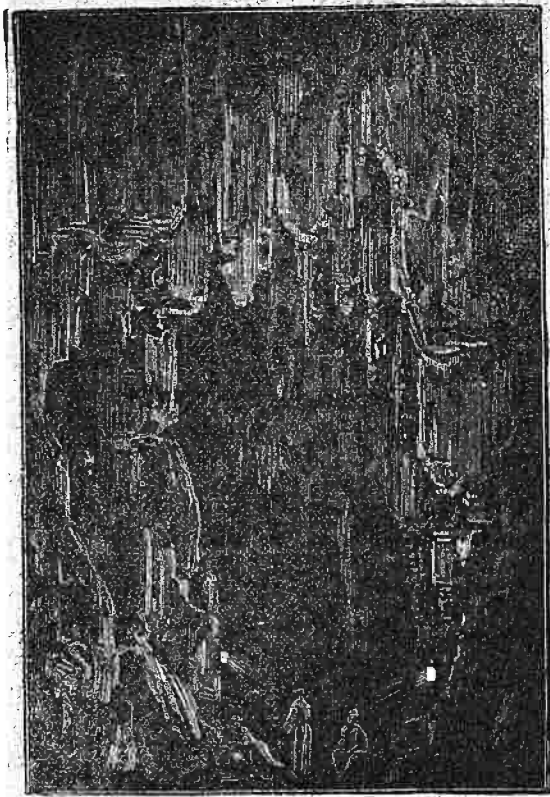
قلت اجل ولكن من الخجل ان هذه القشرة تنتهي الى عمق بعيد ونحن لم نزل فيها ارى على عمق الف قدم تحت سطح البحر او اكثر من ذلك بقليل قال ماذا حلك على هذا الظن

قلت لو كنا على اكثر من هذا العمق لكانت درجة الحرارة فوق ما هي الان

قال ذلك لو صح مذهبك ولكن اي درجة بلغ رزيق الترمومتر

قلت هو على الدرجة الخامسة عشرة وكان على السادسة قبل دخولنا في

الدهليز فالزيادة ليست الاتسع درجات



فعلقتنا مضاجعتنا على الجدران وجلسنا (صفة ٩٠)

قال وماذا تستنتج من ذلك
قلت ثبت بالتجربة ان الحرارة تزيد في جوف الارض درجة تحت كل
سبعين قدماً وقد يختلف هذا العدد باختلاف التربة من حيث صلاحيتها
لتوصيل الحرارة فقد تبين بالامتحان ان الحرارة في مدينة باكوست من مدن
سيبيريا تزداد درجة لكل ٢٦ قدماً واما اذا كان الحفر في تربة نيسية بجوار
البراكين المنطفئة فلا تزداد درجة الاربائة وخمس وعشرين قدماً فلتتخذ اذا هذا
المعدل الاخير قياساً از انه يصدق اكثر من غيره على الارض التي نحن فيها

قال افعل وقل في ما هو الحق الذي وصلنا اليه على زعمك
 فاخذت رقعة ورقمت عليها العدد ٩ وهو عدد درجات الحرارة التي زادت
 منذ دخولنا في الدهليز وضربتها في العدد ١٢٥ فكان المحاصل ١١٢٥ قدما
 واذا ذاك قرأها على سمع الاستاذ
 فقال اصبت في الضرب ولكن هيئات ان يصدق قولك
 قلت كيف ذلك
 قال نحن الآن على عتق عشرة الاف قدم تحت سطح البحر
 قلت اذلك ممكن

قال ان صح ان مجموع اثنين واثنين اربعة فحسابي صادق لا ريب فيه
 وكان حساب الاستاذ صادقا حقيقة فالحق الذي وصلنا اليه في ذلك اليوم
 يزيد ستة الاف قدم على ابعاد الاعماق التي توصل اليها الانسان من قبل كما جم
 ريتزال في ولاية تيرول ومناجم وتبرج في ولاية بوهيميا وكانت الحرارة
 مع ذلك في الدرجة الخامسة عشرة بدلا من ان تكون في الحادية والثلاثين فداخلي
 الربب منذ ذاك الوقت في صحة مذهب القائلين بالحرارة الداخلية



الفصل الرابع عشر

لما جاء اليوم الثاني من شهر لوليو استأنفنا المسير وكانت طريقنا لم نزل
 هي منه من حيث الوجهة والانحدار والتركيب وعند الظهر انتهينا من القنات
 التي كنا فيها الى فسحة رحبة يفرع منها طريقان احدهما الى الشرق والاخرى
 الى الغرب فوقف هنس ريثا استعلم من الاستاذ عن ايها منبع فاشار الاستاذ بيده
 الى الطريق الشرقية بدون تردد كأنه على معرفة تامة بها وذلك لكيلا
 يظهر على نفسه الربب امامي وامام الدليل على ان التردد لم يكن مفيد شيئا اذ
 ان كلتي الطريقين على شكل واحد وكلاهما ضيقة وليس من اثر او كثافة او

رسم يميز أحدهما عن الأخرى فلم يكن لنا أولى من الاتكال على التقدير وترك
التعلق بجمال التدابير فسرنا على الطريق الشرقية وهي كالتقاء الأصلية مطلية بالسوائل
البركانية المتجمدة إلا أنها اضيق منها جداً حتى أننا في بعض الأحيان كنا ندب
على الأرض ديباً لقرب سفنها وكان أكثر مسيرنا تحت سلاسل من القناطر
الطبيعية أو بين صفوف من العد المختلفة الأشكال كأننا في هيكل عظيم يتته
الجبابرة الأول معاصرو الموتى والكركدن القديم وغيرها من الحيوانات الهائلة
التي لم يبق منها إلا الآثار

وبعد أن سرنا على تلك الطريق ميلاً أو أكثر أخذنا نحدارها بنحيف شيئاً
فشيئاً حتى صارت أفقية بجنّة وكانت الحرارة لم تنزل على درجتها الأولى لم تتغير
إلا تغيراً خفيفاً لا يعبأ به ولما جأت الساعة السادسة بعد الظهر انمر الاستاذ
هناً بالقاء عصا التسيار كعادته عندما ينهار النهار على أن النهار والليل عدنا
سيان فما دامت مصابيحنا معنا فنحن في نهار دائم وإن المت بها عوارض التلف
امسينا في ليل لا صباح لئولما تناولنا الطعام التفت كل منا بعناء واضطجعنا للنمام
آمنين من الوحوش الكاسرة والقبائل المتوحشة التي يخشى شرها على سطح
الأرض وكذلك كنا لا نخاف البرد إذ أن الهواء في قلب الأرض ساكن مستمر
على درجة واحدة من الحرارة ليلاً ونهاراً

وفي صباح اليوم الثالث من الشهر عدنا إلى المسير بهمة وعزم إلا أن الطريق
صعب سلوكها وعثراتها جعلها إذ بعد أن كانت أفقية صارت ترتفع بالتدرج
حتى صار المسير عليها منعباً ولما جأت الساعة العاشرة إلا وقد ائتماني التعب
فتأخرت عن الاستاذ بضع خطوات فنظر إلى وقال بفروغ صبر مالك لا تتقدم
قلت لقد أخذ مني التعب مأخذه وإدرك التعب غايته حتى كبت

أعضائي ووهنت قواي ولم يعد لي طاقة على المسير

قال أهذا ما تقول بعد مسير ثلاث ساعات على طريق سهلة مخدرة كهذه



وكان أكثر مسيرنا تحت سلاسل من القناطر الطبيعية (صفحة ٩٢)

'قلت مهلاً أنت تقول منعدرة ولكني أرى أنها صاعدة وإذا استمرت على ذلك فلا يبعد أن نعود إلى سطح الأرض
قال لا بد من المسير ولأن تنتهي بك هذه الطريق إلى سطح الأرض
أحب إليك من أن تنتهي إلى قلبها ثم أعرض عني وإشاراً إلى هنس بالمسير فعلت
أنه عارف بتغير الطريق ولكن غيظه من ذلك وعناده حملاه على المكابرة فكأنما
رأى الاعتراف بالخطأ زلة وحسب التردد مذلة على حد قول الشاعر
إذا اخترت من بين المذاهب مذهباً فإياك أن تعاض عنه بديلاً

وما عشت لا ترضَ التردد انه يعود به المرء العزيز ذليلاً
ولما لم يكن لي عن متابعته مندوحة سرت على حسب الامكان على اثر
هنس وكانت الطريق تزداد صعوبةً بازدياد ارتفاعها

ولما صار وقت الظهر اخذ النور المتكسر على الجدران يضعف انعكاسه
بالترديج فعلت اننا انتهينا من القشرة المتخلقة عن السوائل المتجمدة وتفرست
في الصخور التي حولنا فعلت انها من الصخور النارية وهي عديمة الحياة اي لا
اثر فيها للحيوان والنبات على اننا لم نتقدم الا قليلاً حتى دخلنا في الصخور
المائية وهذه الصخور تكونت من حبات الصخور النارية وفتاتها بحك المياه وغيرها
لها وجرف الماء حكاكها الى حيث رسبت وتجمرت منضدة طبقة فوق طبقة حتى
بلغ سمكها اميالاً ولذلك يقال لها المنضدة كما يقال للنارية غير المنضدة فبينت نوع
تلك الصخور وانما هي من الصخور التي تعرف باللورنشية وهي الرتبة الاولى من
الصخور القديمة الحية وما لبثنا ان دخلنا صخور الرتبة الثانية منها وهي الكبرية
فوجدت فيها اثار نبات بحري وحيوانات دنيئة الرتبة كالمرجان والأسفنج والحيوانات
الرخوة الصدفية وذوات القشرة وثقوب ديدان بحرية فاستدعيت اللغات الاستاذ
اليها لكي اثبت لهُ اننا كلما توغلنا في تلك الطريق ابتعدنا عن قلب الارض
ولكن الاستاذ ابي الا المكابرة لشدة غيظه وعناده فلما اريته الاثار التي ذكرتها
والترتبة الطباشيرية المتكونة من مصداف الحيوانات والمرجان وبقايا حيوانات
اخرى قال وعلى اي شي يدل هذا

قلت على اننا بعد ان كنا في الصخور النارية صرنا في تربة الدور
الذي اجدها فيه ظهور الحيوان والنبات على الارض وهذا يثبت ان طريقنا
صاعدة لا منحدرة

قال أظن ذلك

قلت لم يعد محل للرب فانظر بنفسك الى هذه الهياكل المرسومة على الصخور

ونأملها ..

فلم يكتمث بكلامي بل بقي سائراً الى الامام لا يلتفت يمينا ولا شمالاً ولا
اظهره الا اقتنع بصحة قولي ولكنه ابي الالفهم اما من قيل العناد فقط واما
لاجل استقصاء الطريق حتى آخرها

ثم بعد ان تقدمنا نحو ميل وانا اراقب تغيرات الصخور وآثار الدفائن التي
عليها رأيت انواعاً اخرى من الحيوانات التي لم تظهر الا في الدور الثالث للصخور
القديمة الحياة كشنق البحر والتوتيا و صليب البحر فعلت اننا في الصخور السيلورية
وذلك الدور كثر فيه انواع الاصداف والابواق والمرجان وحيوانات اخرى
من الحيوانات الشبيهة بالنبات وفي اخره ظهرت الاسماك وهي ادنى ذوات
الفتحات رتبةً واما نباتاته فاعشاب بحرية من ادنى النبات رتبة وجراثيم نباتات
اعلى منها كالحطاب فاحذت بوقاً محفوظاً على حاله الاصلية وارجيه للاستاذ
فقال هذا البوق من نوع التريلوبيت اي المثلث النصوص وقد انقرض
الآن من عالم الحياة

قلت ألم نزل مرتين في كوننا تجاوزنا الصخور النارية وصرنا في الصخور
المنضدة

قال من المحتمل ان اكون اخطأت في اتباع الطريق الشرقية ولكني لا
اقتنع بغلطى الا اذا بلغنا آخرها
قلت لولا ان ما اذخرناه من الماء على وشك النفود لما كنت اعارضك
فيما تنفل

قال ان كان ماؤنا قليلاً فستتصر في الشرب على القدر اللازم لحفظ الحياة
وكيف كان الامر لا بد لي من استقصاء هذه الطريق

فقلت انفسى لم يبق لي الا الرضى بالقضا وضرب الصفع عن التفكير فيما مضى
ما قد قضى بانفسى فاصطبري له . ولك الامان من الذي لم يهدر

ونبغي ان المقدر كان حتماً عليك صبرت ارام تصبري
ولم يكن معنا من الماء الا مؤونة ثلاثة ايام فقط فلما جاء وقت العشا
سكب الاستاذ لكل منا مقدار عشرة دراهم او اقل وفي اليوم الثاني عدنا الى
المسهر تحت سائلة من القناطر لا نهاية لها وكانت الطريق لم تزل اقفية وهي
محفوفة على الجانبين بصخور من الرخام والطباشير وعلى اكثر ذلك الرخام آثار
حيوانات دينية الرتبة الا انها اعلى رتبة من الحيوانات التي رأينا دفائننا في
اليوم السابق فكأنما كانت تلك الطريق تاريخ الحياة الحيوانية منذ ظهورها
فكنا كلما تقدمنا فيها خطوة نشاهد آثار حلقة من حلقات تلك السلسلة التي
اولها الاسفنج والمرجان واخرها الانسان

وفي اليوم التالي الذي هو اليوم الخامس من الشهر دخلنا بعد مسير ميل
واحد في الصخور الديفونية وهي الرتبة الرابعة من الصخور القديمة الحياة وفي
ذلك الدور تكاثرت انواع الالبواق والاصداف والمرجان عما قبله واختلفت
عنها في التركيب فالحيوانات القشرية المشابهة للسرطين أبدلت بمجوانات كبيرة
الحجم هائلة المنظر يختلف طولها بين اربع اقدام وست ورأيت من آثار الاسماك
انواعاً عديدة بعضها مغطى بصفائح عظيمة والبعض الاخر بمحارشف صلبة جداً
ولبعضها حلك كبير عظمي في رأسها لا اظنه الا آلة للهاجة والقتال وللبعض
الآخر رؤوس كالتروس او مدروع عظيمة محبة تنقي بها سر الاول

ومازلنا سير بين الصخور الطباشيرية والرخامية وانا اراقب دفائن حيوانات
ذلك الدور حتى المساء فتغيرت هيئة التربة تغيراً يسيماً فبعد ان كانت تكسر
عليها اشعة مصابيحنا بنور ساطع صارت قائمة اللون فاقدت من الحائط ولمسه
بيدي فاسودت فعلت اننا في منجم من الفحم الحجري وكنا قد انتهينا من الصخور
الديفونية الى الصخور الكربونية وهي صخور الرتبة الخامسة وهو الدور الذي تعاضلت
فيه الانهار واتسعت مصابيحها وكثرت طوفانها فحجرات التربة وكثرت الرطوبة واعتدل

الماء فكثير النبات وأخصب حتى صارت اعشابه كالاشجار العظيمة في زماننا وكست سطح الارض فصارت غياضاً متسعة تكوّن منها الفحم الحجري وفي ذلك الدور تكاثرت الزحافات والاصداف والاسماك وتعاظمت جنبها وكثر هيجان البراكين وإتقلاب البحار وخسوف الارض وشخصها

وكان قد جاء المساء وحان وقت العشاء فاكلنا ولكن قليلاً مخافة ان يشتد بنا أوار العطش وما معنا من الماء لا يبرد غلة ظمآن ثم لعب النوم باجفائنا فائقها وبرؤوسنا فيلها فاضطجعنا للرقاد على فراش شديد السواد كانا في حداد قضينا ليلنا في وسط ذلك المنجم وفي اليوم الثاني أي السادس من الشهر استأنفنا السير قيل الساعة السادسة من الصباح وكنا جميعنا ملتزمين الصمت اما الاستاذ فلغبطه من بقاء الطريق اقية واما انا فلكدري من عناده وخوفي من نفوذ الماء واما هنس فلكون السكوت من طبيعته وكانت الحرارة باقية على الدرجة التي كانت عليها قبل خروجنا من مجرى السوائل البركانية واما طريقنا فكانت سهلة غير متعبة الا اني كنت متضايقاً بعض المضايقة من رائحة بي كربونات الهيدروجين المنبعثة من انجم الحجري ولو كانت مصابيحنا من المصابيح العادية لامتد الغاز المنتشر في ذلك المنجم واحداث تفرقاً هائلاً كما يحدث احياناً في المناجم التي يستخرج الفحم منها وكانت انضمت بقايانا الى دفائن الحيوانات التي عاشت قبل الانسان بلايين من السنين بحيث لو دخل احد ذلك المنجم بعدنا ورأى اثارنا لاتخذها دليلاً على ان الانسان وجد على الارض في الدور الكربوني

وقرب المصر تبين لي ان لون الفحم اخلف عما قبل فانه بعد ان كان اسود حالكاً براقاً صار اسمر كالحما فتأملته عن قرب واذا هولم نزل في حاة اللكيت الظاهر فيه كل بناء الخشب فاخذت فلذهمة بيدي وتفرست في جوبصلاتها فانتفع لي انها من شجر المصنوبر فعلت انا دخلاً في صفوف الرية



فعلت انا في منجم من الفحم الحجري (صفحة ٢٧)

السادسة من الصخور القديمة الحية وهي المعروفة بالبرمية وذلك الدور هو آخر
ادوار الصخور القديمة الحية

وبينا انا غائص في بحار الافكار الجيولوجية انا امل في كيفية تحليل الفحم
الحجري بفعل الطبيعة وان تعجب من عظم اتساع ذلك المنجم الذي لم تنظره عين
الانسان من قبل وقف الاستاذ وهنس عن المسير فانتبهت لوقوفها واذا نحن
في آخر القناة وبعد البحث تحقق الاستاذ ان طريقنا مسدودة لا منفذ لها فقال
وقد علا وجهه بعض الخجل الان طاب لي الرجوع فقد ايقنت اني لست على

الطريق التي تتبعها ستكون فليس لنا الا ان نرجع على اعدائنا وبعد ثلاثة ايام
 نكون في مجمع الطرق فتتبع الغربية منها وهي توصلنا الى قلب الارض
 قلت هذا اذا بقي قنطرة على الدبر او مسكة من الحياة
 قال وما تخاف وماذا عسى نخشى

قلت غدا لا يبقى عندنا من الماء لا قليل ولا كثير
 فنظر الي شزرأ وقال . أو ما يبقى عندك ايضاً شيء من الشجاعة
 فلم اجسر على المجاورة وكان قد جاء وقت العشاء فتناولنا الطعام بنفس
 متقبضة وصدر ضيق ثم اضطجع الاستاذ وهنس فنسيت انعامها بالنوم وإما انا فلم
 يغمض لي جفن حتى الصباح



الفصل الخامس عشر

لا ارى لزوماً للاسهاب في الكلام على الاتعاب التي فاسينهاها في رجوعنا
 بل اقول بالاختصار اننا كنا نصل سرى الليل بسير النهار خوفاً من ان
 تدركنا المنية قبل وصولنا الى الطريق الغربية حيث علمنا الامال بوجود الماء
 على ان زيادة التعب زادت عطشنا وكان ماؤنا قد نفذ في آخر اليوم الاول فامتنعت
 عن الاكل واستولى عليّ اليأس وانحطت قواي فصرت اجر نفسي بكل عناء وانا
 آيس من الحياة وكان الاستاذ يشجيني بالكلام ويجهد نفسه في احياء بعض
 الامل في فؤادي وكان هو نفسه في ضيق عظيم من شدة العطش والتعب
 الذي انهك قواه الا انه كان يتجلد مظهرآ من الضعف قوة واما هنس فكان
 يسير لمانسا صامتاً كما دته لا يعرف للشكوى مذاقاً ولا يدري للألم طعماً
 استوت عنده الامور وامسى عنده السهل والسعاب سواء

وما زلنا نغالب العطش والتعب حتى وصلنا في صباح اليوم التاسع من
 الشهر الى ملتقى الطرق وكنت على آخر رفق فسقطت على الارض كالتفيل وقد

طاب الموت في عيني فخلصاً من المذاب الذي كنت فيه اما الاستاذ فبعد ان تناول شيئاً من الطعام مع هنس تقدم الي واخذني بين ذراعيه والى علي نظرة ملائمة شقة وحنوا وكنت اعلم انه منزّه عن التملق فعرفت انه لم يظهر ما اظهر من الشقة الا بعد ان طلع فواده محبة فادر كني هزة حركت اليه جوارحي فاخذت يديه يدي المرتجعتين ونظرت اليه وانا غير قادر على الكلام فاغرورت عيناه بالدموع ثم اخذ السقاء عن جنبه وادناه بعد فك وكائه الي في وقال اشرب وكان قد حفظ تلك الجرعة من الماء لمثل هذه الساعة فشرتها بلذة لا يقوم القلم بمق وصفها فاتعش فوادي ورجعت الي قواي فوقعت على يدي الاستاذ اقبلها شاكراً لانه صنيعة لاننا كنا كلانا في حالة واحدة من العطش الا انه اقوى مني على الصبر واقدر على التجلد فبدلاً من ان يبرد غليل ظاه يملك الجرعة جاد علي بها فكأنما جاد علي بروحه

وكان قد انطلق لساني فقلت للاستاذ لم بعد لنا الان الا الرجوع على اعتابنا سريعاً لعلنا نبلغ فوهة البركان وفيما بقية رمق فحول الاستاذ وجهه عني بينما كنت احاطبه وصار يتحاشى ان يقع نظره على نظري فكررت عليه الكلام بالحاح فاطرق برهة ثم نظر الي وقال كنت آمل ان الجرعة التي استيتك اياها تحيي فيك النخوة والشجاعة فما رأيك الا ارددت ضعفاً وبأساً

فحجيت من كلامه لاني ما كنت اظن انه يمانع في الرجوع بعد ان صار هو نفسه على شرف الهلاك من شدة العطش وقلت له ألم تزل مصماً على التقدم في جوف الارض بعد ان صرنا على الحالة التي نحن عليها قال عمرك الله يا اكسيل ماذا تقصد بهذا الكلام أتريد ان اعتدل عن هذه الرحلة بعد ان صرت على يقين تام بنجاحها

قلت حياتنا رهن اشارتك فان كان لا بد لك من التقدم فاعلم ما تريد ولكن اعلم انك انت الذي قضيت علينا بالموت



فشرتها بلذة لا يفوم القلم بنق وصفها (صفحة ١٠١)

قال معاذ الله ان استصحبك كارهاً فعد مع هنس ودعني وشأني فاني قد
 آليت أعلى نفسي ان لا اعود من هذه الرحلة ما لم أتمها
 فنجيت من قوة عزيمته رشدة صبره على الشدائد ووقفت حائراً متردداً بين
 الرجوع الذي كانت تدفعني اليه احكام الطبيعة قانون التشبث بالحياة وبين
 البقاء معه الذي كانت تقتضيه واجبات المروءة والولاء الا ان الرجوع كان
 عندي ارجح الكفتين واغوى الاحتمالين
 اما هنس فكان واقفاً ينظر الينا بسكونه المعتاد ويسمع محاورتنا بسكينة

اليهود غير مكترث بما يؤول اليه الامر مستعداً للاقبال والاحكام بحسب اشارة
 الاستاذ فكانه ليس يدي شأن في المسألة او كان حياته ليست عنده بشي عفتدست
 اليه واخذت يده بيدي فرككي 'فعل فاشرت له الى فوهة البركان قائلاً هذه
 هي الطريق لا طريق الاهيه فاشار الى عمي قائلاً هوذا صاحب الامر فاخذتني
 المحدة وقلت له وبمك أعلى حياتك هو صاحب الامر يا مغفل ام انت تجهل
 ابي حالة نحر فيها من الخطر الا تعلم انه لا مناص لنا من الموت ان واقعه على
 غبه الا ترى ان العناد قد اعى بصيرته فهو لا يعقل ماذا يفعل فاعلم انك اذا
 جاريته ترتكب انما فظيماً وحيواً كبيراً اذ تكون انت الجاني على نفسك وعلينا
 فيها بما نرجع به رغماً عنه

الله في ارواحنا ياهنسُ ولى الرجاء ونولى اليأسُ

فعد بنا فقد ازيل اللبسُ وان نفص ياهنس منا النفسُ

لا طلعت من بعد ذاك شمسُ

ثم جذبه بيدي فبقى ساكناً ساكناً ~~كله~~ صخر اصم

واذ ذاك تقدم نحوي الاستاذ قال دع عنك هذه المحدة يا اكسيل واصغ
 لكلامي فانك لن تتال شيئاً من هذا الرجل الامين فلت مجاني نحوه مصفياً
 فقال اعلم يا هداك الله انه ليس من مانع يحول الان دون بغيتنا الا الماء
 فان كالم نر منه نقطة واحدة في الطريق الشرقية بين المواد البركانية والصخور
 الكلسية وطبقات الفحم الحجري فليس في ذلك ما يقطع باننا لا نصادف منه بقدر
 ما نشتهي في الطريق الغربية

فاورأت براسي بمعنى اني غير موئل ذلك فاستطرد الكلام قائلاً اعلم انني
 بينما كنت انت منطرحاً هنا على الارض فاقد الشعور توغلت قليلاً في هذه
 الطريق استكشف تربتها واستطلع تكوينها فرايتها تتخلل الصخور الاصابة
 وهي شديدة الانحدار فاذا اتبعناها لا نسير الا بضع ساعات حتى نبلغ منطقة

الصخور الخفية حيث لا يد من وحوذ بتايغ غزيرة فان طبيعة تلك الصخور تستلزم وجود الماء وفلي دليلي على ذلك

ثم اردف كلامه قائلاً اذكر ان خريستوف كولومب لما كان يبحث على العالم الجديد وطلب رجاله الرجوع الى بلادهم لشدة الضيق الذي كانوا فيه والامراض التي استولت عليهم سالم مهلة ثلاثة ايام فاجابوه الى طلبه وفي خلاها اكتشف قارة اميركا اما انا مكشف هذه الارض الجديدة فلا اسالك الا يوماً واحداً فاذا انقضى ولم نجد ما نبتغي اعود معك الى حيث تشاء

* فلما رأيت عمي تقابل شدي برخاء ويلتقي زعزعي برخاء ويعاملني باللين الذي لم يكن في طبيعته رق لة قلبي رغما عن الحدة التي كانت مستولية عليّ قلت لة لك ما طلبت واني اسأل الله ان يحقق املك

ثم تقدمنا الى الطريق الغربية يتقدمنا هنس بمسب عادته ولم نتعد مائة خطوة حتى دنا الاستاذ من حائط السرداب وقال هنا تبديء التربة الاصلية فدنوت منه وانعت النظر في الصخور فتأكدت صحة قوله وكنا اذ ذاك في طبقة صخور الشبست اولى الطبقات الثلاث المركبة منها التربة الاصلية وهي منضدة ركاماً على ركام تلالاً بين الاخضر والازرق كعناق الحمام بتخللها خيوط من النحاس والمنغنيس والذهب والبلاطين وكنا ندوس بارجلنا تلك المعادن ونطأها بنعالنا اذ هي على ارتفاع قيمتها العزبية التي قدرها لها الانسان تسهيلاً للبادلة التجارية عديمة القيمة عندنا اذ ذاك وجرعة من الماء كانت خيراً لنا منها وما اصدق من قال

والنهر كالنهر ملقى في اناكه والعود في ارضه نوع من المحطب

والله در من يقول

* احب لقله الظان يوماً مسيل الماء من سيل النصار
ولبعد قليل انتهينا من صخور الشبست الى طبقة التيس المناسبة بتناسب

صفائحها وانظامها الهندسي ثم الى الميكانيست الذي يدهش البصر بتناسع بياضه
ولم نزل نسير حتى الساعة السادسة بين تلك الصخور المبلورة كأننا نسير
في قلب ماسة مجوفة أو كأننا في قصور الجنة الا انه نضب كونها ثم تغيرت
هيئة الصخور تغيراً بديعاً وضعف انعكاس النور عليها وكنا قد دخلنا منطقة
الصخور المحببة اصلب الصخور واقواها

ولما حانت الساعة الثامنة من المساء اعياني التعب واشتد في العطش ولكنني
لم اظهر شيئاً على نفسي اسفاقاً على الاستاذ من ان يضطر الى الوقوف فيستولي
عليه اليأس لاقضاء المهلة التي طلبها بدون ان يجد شيئاً من الماء غير اني بعد
ان تجلدت ساعة غلب عليّ التعب والأين حتى لم اعد قادراً على ثقل رجلي
كأننا ادركني حين الحين فصرخت صرخة وسقطت على الارض فاقد القوى
فأنتني نحوي الاستاذ ووقف يتألمي برهة وعلانم الحزن ظاهرة على وجهه ثم
قال بصوت الآيس قطع الرجاء وفي ذلك الوقت غبت عن الهدى ولما عاد اليّ
رشدني رأيت عمي والدليل مضطجعين على قيد رمح مني ملتقاً كل منهما بعباء فلم
ادرهما في بقعة ام في منام اما انا

فكان التمس عن عيني بعيداً وكان مجافياً للنوم جفني
وكيف ينام من يرى شخص الموت قادماً اليه ما يملأ بين عينيه وقد صدق
عمي از قال قطع الرجاء لاني في الحالة التي كنت فيها من الضعف لم أكن
قادراً لا على التقدم في قلب الارض ولا على الرجوع الى سطحها
وكان فوقنا من القشرة الارضية سمك ثلاثة اميال فخيّل لي انها متعاملة
على نحري بكلكتها مرتكزة على صدري بكل ثقلها وكنت اجهد نفسي لكي اقلب
من جنب الى اخر فلا استطيع حراكاً وبينما انا في تلك الشدة قام هنس من
منجعه واخذ المصباح بيده وسار في الدليل حتى توارى عن عيني فاضطربت
وجلاً لذهابه وحسبت انه تركنا فاصداً الرجوع الي سطح الارض وكان الاستاذ



كاننا نسير في قلب ماسية مخوفة (صفحة ١٠٥)

لم يزل راقداً فاردت ان اوقظه ولكن لساني العجم عن الكلام فصرت انادي
ولا اسمع لصراخي صوتاً فكنت بمن ينادي في حلم غير اني بعد برهة تعقلت الامر
فمجلت لسؤ ظني في ذلك الرجل الذي لم ير منه حتى ذلك الوقت الا الامانة
والولاء ثم فطنت الى انه توجه نحو قلب الارض فلم يبق عندي محل للريب في
امره اذ لو كان قاصداً الرجوع لذهب الى الورا وليس الى الامام

الفصل السادس عشر

بعد ذهاب هنس اخذت افكر فيما عسى ان يكون السبب الذي حمله على الانسلاخ تحت حجب الدجى فترجع عندي بعد الاخذ والردائه مع هدير يربوع من الماء في ذلك الليل الهادي فذهب يستقصيه

وبعد ان مضى على ذهابه ساعة قضيتها بين عالمي اليأس والامل سطع نور مصباحه في اقصى الدهليز فرائده مقبلاً على عجل فتوسمت في ذلك خيراً وما زال نظري يرافقه حتى وصل الى الاستاذ وايقظه فقال له عي خيراً ياهنس فهل من شيء حدث

قال نعم ما سمعت هديره

فلما سمعت تلك البشرى زالت في الحال اوجاعي وانطلق لساني قائلاً

ياهنس بشرت بخير دان وعدت باليمن وبالامان

احييت في نفوسنا الاماني شكراً لمسعاك مدى الزمان

بالقلب ياهنس وباللسان

ثم وثبت نحو الدليل واخذت يديه بيدي وجعلت اشكر له سعيه واجتهاده وكان الاجدر بي ان اطلب عفوه جائئاً على ركبتي لاساق الظن به بينما كان يسعي في سبيل اتقادي من الهلاك ولكن انجلى معني من ذلك

ثم سأله الاستاذ ايان يوجد الماء فاشار بيده الى اسفل الدهليز فانطلقنا في الحال على اثره ونحن لا نصدق بالنجاة وبعد ان سرنا ميلاً سمعت دويّاً بعيداً في قلب الصخور التي تغلظها الطريق ثم اخذ ذلك الدوي يزداد بالندرج بتقدمنا حتى صار كهدير البحر الزاخر فقال الاستاذ نعم هذا صوت نهر غزير يجري في قلب هذه الصخور القائمة حولنا ثم اخذنا نجد السير وقد احبى الامل قلوبنا رجاء ان نثر على مصبه او نهتدي الى منبعين منه فنبتع الصدى ونكون قد وجدنا على الصوت هدى

اما النهر فبعد ان كان يجري فوق رؤسنا تحول الى يسارنا وقرب منا
مجره حتى لم يعد بيننا وبينه الا حاجز من الغرايت سمكه قدمان او ثلاث
فصرت امرّ يدي على الحائط حيناً بعد حين على امل ان اصادف صخرًا راسيًا
فارطب بنداه لساني ولكني لم اجد للماء عيناً ولا اثرًا

ثم سرنا ميلاً آخر بدون ان نصادف الماء فعلمت ان الدليل لم يتجاوز في اثناء
غييبته المحل الذي وصلنا اليه بل قفل راجعاً حالماً بتحقيق ان الدوي الذي سمعته
هو هدير ماء وبعد برهة تبين لنا ان الطريق اخذت تتبعد شيئاً فشيئاً عن
مجرى النهر فرجعنا على اعقابنا الى ان وصلنا الى المحل الاقرب من صوته واذ
ذاك دنا هنس من الحائط ووضع اذنه على الصخر واخذ يبحث عن النقطة التي
يسمع منها هدير الماء اقوى مما يسمع من غيرها ولم يكن كحل عقال حتى اهتدى
اليها وهي في الحائط الايسر على علو ثلاث اقدام من الارض

وكنت في اثناء ذلك اراقب عمله غير عالم بما يقصد ولكني لم البث ان
فطنت الى مراده وذلك لما رأيته عمد الى المعول فايقنت ببلوغ الامال ثم ضفك
بنحت الصخر نحتاً بضرب خفيف متواصل حذراً من ان يتكسر فتتطبق علينا
صخور الدهليز بما فوقها من طبقات القشرة الارضية فتسحقنا سحقاً او ينفتح في الحائط
فوهة كبيرة فيتحول النهر الى الدهليز فنضطر الى الشرب فوق ما نشتهي على انه
كان يخيل لي اذ ذاك لشدة ما بي من الظاء اني قادر على شرب ماء النهر
باجمعها مما كان غزيراً

ولم يمض ساعة من الزمن حتى بلغ عمق الثقب قدمان واتساعه بضع
اصابع وكان صوت الماء يزداد قوة بالتدرج على اثر الضرب وبينما نحن على
ذلك واذا بصوت كصغير الخلقين البخارية خرج من الصخر وانجيس الماء
على اثره بشدة فوقع على الحائط الامين وكاد يلقي هنساً على الارض بقوة اندفاعه
فصقت قائلاً



والبحس الماء على اثره بشدة (صفحة ١٠٨)

يعيش هنس ويرقي أوج السعود ويبقي
ولا يزال دوماً يسعى لخير ويلقى

وفي الحال مددت راحتيَّ لآخذها من الماء ما ابرد به غليل الظاء
ولكنني اضطررت الى ارجاعها صفرًا لان الماء كان في درجة الغليان وبعد دقيقة
تبع السرداب من البخار وجرى الماء جدولاً يتعرج بين الصخور منساباً انسياب
الافعى فاخذنا منه شيئاً وشرعنا نبرده بتفريغه من ركوة لشكوة وريثاً صارت
حرارته في الدرجة الخمسين اخذنا نعب عباً كالحمال حتى اكتفينا فاعتشت

أرواحنا بعد أن كانت تهيئنا لشرح صدورنا بعد ما استسكنت أن تترقى من
الحرج فصرنا نخرج ونفعلك ثم قدمنا لهنس فروض الشكر وتوافقنا على تسمية ذلك
المجدول باسمه فدعي منذ ذاك الوقت بمجدول هنس

وبعد ذلك جلسنا تناول الطعام وكنت قد اعطعت عنه منذ ثلاثة أيام
فاكلت بمقابله بل بشراهة عظيمة ولما اكتفينا قلت للاستاذ يجب علينا الآن
أن سد الفوهة التي فتحناها لكي يكون لنا مخزن من الماء نعود إليه وقت الحاجة
فقال لا أرى لذلك لزوماً لاني اظن أن هذا الينبوع دائم لا يتقطع

قلت دعنا نفعل ذلك احتياطاً فما المحاذير بخاسر وليس في الاحتراز من
باس

ثم ملأنا القرب جميعها وشرح هنس يحاول سد الفوهة ولكنه لم يتمكن من
ذلك لقوة اندفاع الماء فلم يزل إلا احراق اصابعه

فقلت للاستاذ يظهر من شدة الضغط الذي على الماء أن سطحه عال جداً
قال لا شك في ذلك فإن كان منبعه على مساواة سطح الأرض فيكون علوه
اثنين وثلاثين ألف قدم وقوة ضغطه تعادل قوة ضغط ألف جلد
ثم قال دعنا من هذا فقد خطر ببالى امر حري بالالتفات
قلت هات

قال أرى أن سد الفوهة هو عين الغلط لاننا اذا نفد الماء من قربنا ولم
نجد ينبوعاً آخر غملاً بها منه لا يمكننا الرجوع الى هنا لاننا نكون إذ ذاك على بعد
عشرة أيام من هذا المحل فالاولى أن تترك المجدول جارياً امامنا فالتنا نهتدي به
الى طريقنا ونستقي منه وقت الحاجة

قلت بارك الله فيك يا عمه ونعم الرأي رأيك فوالله ان كان هذا المجدول
مؤنباً لنا في رحلتنا فلا بد من نجاتها

فتبسم الاستاذ فرحاً لما رأي قد نبتت عن قلبي اليأس ووقفت بالفتح



فيونسنا بهديره ويطربنا بجزيره (صفحة ١١٣)

وقال هكذا احب ان اراك
ثم تأبطت قربي استعداداً للسير فقال مهلاً يا اكسيل ماذا تفعل فان
النهار لم يطلع بعد ونحن في حاجة الى النوم
وكت قد نسيت الوقت فنظرت الى الكرونومتر وعلمت اننا في الساعة
الثالثة بعد نصف الليل فاضطجعنا للرقاد منشرحي الصدر مرتاحي البال
ولما استيقظت من نومي في اليوم الثاني عجيت في بادئ الامر من زوال
عطشي لاني كنت قد ألفت الظاء في الايام الاخيرة كما يألف السم السمسم غير

اني لم البث ان انتهت لخبر الماء فتذكرت ان ايام الشدة انقضت فانتصبت على قدمي بنشاط وجعلت انتقل فوق الصخور التي تتخلل مجرى الجدول وانا منشراح الصدر منبسط الوجه وكنت ارى نفسي خفيف الجسم قوي العزم علي الهبة فلودعاني الاستاذ اذ ذاك الى الرجوع على اعتابنا لعارضته اشد المعارضة وافرشت جعبة البراهين في سبيل افنائه بوجوب اتمام الرحلة على انه لم يحوجني الى ذلك بل ريثما تناولنا الطعام امرهنسًا بالتقدم وسار على اثره فتبعتهما والسرور ملء فوادي

اما الطريق التي سلكتها في ذلك اليوم واليوم التالي فتكاد تكون افقية الا انها كثيرة الاعوجاج والانحراف ومرجعها الى الجهة الجنوبية الشرقية وكان عمي لا يزال يراقب انحدار السطوح وانحرافها ويعاين نتيجة حسابه على الدقة المخصص بذلك وكان جدول هنس يصحبنا فيونسنا بهديره ويطربنا بخبره فيقبل لي اني اسمع صوت مناجاة الارواح التي تأهل المياه

كان خبر الماء يجري على الحصى وقد نشر المثل البهم جناحه وخيم فوق الارض والارض بلفح مناجاة ارواح أهلن صفاحه ولما جاء المساء مساء اليوم العاشر من شهر لوليو راجع الاستاذ حسابه فتبين له اننا على عمق خمسة وثلاثين الف قدم تحت سطح البحر وعلى بعد اربعين ميلاً من ريكيابوك الى الجنوب الشرقي

وفي صباح اليوم الحادي عشر من الشهر اخذت الطريق تزداد انحداراً شيئاً فشيئاً حتى كادت تصبح عمودية فصرنا تارة تدرج الى الامام ونحن نتوكأ على عصينا وطوراً تندى بواسطة الحبل بالكيفية التي ألفناها وكنت قد تعودت التدلي فيما مضى فلم اصادف في ذلك اليوم صعوبة لا سيما ان التسم الاكبر من الطريق على شكل لولب فكنا نسير عليها بسهولة كأننا نسير على درج بمتة الجبارة الاوائل بالمخادل وما جاء اخر النهار الا ونحن على عمق عشرة اميال تحت سطح

البحر

ولم نزل طريقنا على الدرجة نفسها من الانحدار او ما يقاربها حتى اليوم الخامس عشر من الشهر فاخذ انحدارها يقل حتى صارت بين الاقبة والعمودية ولما جلسنا للغداء في وقت الغداة اخبرني الاستاذ اننا صرنا على بعد خمسين ميلاً من ريكيأويك فقلت له ان صح حسابك فلم نعد تحت جزيرة ايسلاندا

قال انظن اننا الان تحت الاوقيانوس

قلت ستتحقق من ذلك ثم اتيت بالخارطة واخذت قياس الخمسين ميلاً بالبيكار وقست تلك المسافة من ريكيأويك الى الجنوب الشرقي فأتضح لي اننا تجاوزنا راس، بورتلند وصرنا تحت مياه الاوقيانوس

ولما اخبرت الاستاذ بذلك اهتز طرباً وقال اذن نحن الان تحت البحر تسير فوق رؤوسنا السفن وتصادم الامواج وتلاعب الاسماك

اما انا فاخذني القلق لما تبقت اني اتجول تحت مياه الاوقيانوس على انه في الحقيقة لا فرق بين وجودي تحت الجبال او تحت المياه ازا كان الدهليز متيناً اما اذا خسف سطحه تحت الثقل فالموت واحد سواء كان سحماً او غرقاً ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الاسباب والموت واحد

ثم تذكرت ان في مدينة نيوكاستيل مناجم من الفحم الحجري تمتد تحت البحر الى مسافة بعيدة والناس مع ذلك تدخلها بلا خوف وتستخرج الفحم منها فسكن جاشي واطمان بالي

وفي مساء اليوم التاسع عشر من الشهر وصلنا الى مغارة فسحة وكان ذلك اليوم يوم سبت فقد استاذ هنساً ثلاثة ريلات بحسب الشروط المبينة بينهما ونواعدنا على ان نقضي نهار الاحد في ذلك المحل لاننا كنا في اشد الحاجة الى الراحة



وطورًا تندلى بواسطة الحبل بالكيفية التي التناها (صفحة ١١٢)

الفصل السابع عشر

من لم يزل يذكر عهد المدرسة وما يلحق الصبيان من الفرح عندما يفتحهم رئيسها يوم اجازة غير معتادة يمكنه ان يتصور مقدار ما المي من السرور وقت ما سمعت بشرى الاستاذ بالانقطاع عن المسير في اليوم التالي فتمت في تلك الليلة جزلاً منشرح الصدر لاني كنت في اشد الحاجة الى الراحة اذ اننا منذ دخولنا في جوف الارض لم نتقطع يوماً واحداً عن المسير ولما جاء الصباح اخذت اقمجول في المغارة التي كنا فيها وهي فسيحة الجوانب عالية السقف مسطحة الارض وفي

وسطها جدول هنس يستل استلال الافعوان وقد بردت مياهه لبعده المسافة
بين منبعه والمغارة

ثم اخذت اتفكر في كيفية تكوين السرداب الذي سرنا فيه كل المدة
الماضية فقلت من المعلوم ان الارض كانت ملتهبة فلما بردت قشرتها لكثرة ما
اشعت من الحرارة انكمش جسمها واخذ في الصغر حججها فتباعدت اجزاؤها من
جهة وتقاربت من جهة اخرى فحدث فيها شقوق عديدة صارت تنبعث منها
المواد البركانية التي كانت تقذفها الحرارة الداخلية وما الدهليز الذي نحن فيه
الا واحد منها على اني عجيت كيف ان السوائل البركانية لم تترك اثراً على
جدران القسم الاسفل منه كما فعلت في القسم الاعلى وبينما انا في وادي التفكير
اجوب واجول وارسل رائد التأمل بين عرضه والطول دعاني الاستاذ لتناول
الطعام وما فرغنا من الأكل حتى اخرج دفتر الملاحظات اليومية من جيبه وقال
يجب عليّ الان ان اعين النقطة التي نحن فيها بغاية الضبط والدقة لكي يمكنني
بعد رجوعي ان ا رسم خارطة الطريق التي سلكناها والحتمها بالكتاب الذي
ساحرره في شرح رحلتنا هذه

قلت سيكون هذا الكتاب جليل الفائدة ولكن هل تكون تلك الخارطة
على جانب كافٍ من الصحة

قال نعم فاني قد اخذت قياس كل انحدار وكل انحراف في الطريق منذ
خطونا فيها الخطوة الاولى وانا واثق بصحة تلك القياسات
ثم نظر الى الابرة المغنطيسية وبعد ان حرر بعض ارقام بوجه السرعة قال
نحن الان على بعد واحد وثلاثين فرسخاً من قاعدة جبل اسنيفل الى الجنوب
الشرقي وعلى عمق ستة فراسخ من سطح البحر

فقلت وقد اخذني العجب أعلى عمق ستة فراسخ نحن الان

قال نعم

قلت ستة فراسخ ثمانية عشر ميلاً هاشمياً
قال ثمانية عشر ميلاً هاشمياً وإن شئت قل خمسة وثلاثين كيلومتراً أو
مائة وخمسة آلاف قدم

فبقيت شاخصاً الى الأستاذ ولوايح الدهشة ظاهرة على وجهي
فقال مالك

قلت انن قد تجاوزنا اقصى الحدود المقررة للقشرة الارضية
قلت هذا ما لا ريب فيه
قلت وكان من الواجب بناءً على مذهب القائلين بالتهاب قلب الارض
ان تكون الحرارة هنا على درجة الف وخمسمائة
قال كذا لولا ان ذلك المذهب فاسد
قلت وإن تكون هذه الصخور التي حولنا ذائبة
قال ها قد رايت رأي العين فساد هذا المذهب وكيف ان الحوادث جآت
بحسب العادة مكذبة أقوال العلماء

وكم زاعم ان الحقائق خفيت لديه ويأبى الدهر تصديق زعمه
فيجب ان الحق لم يعد رايه ويرجع عنه بعد حين برغمه
قلت لم يعد لي سبيل الى المناضلة والانكار ولكي لا ازال متعجباً مما ارى
قال من يعشيراً ما لم يكن في الحساب فكم درجات الحرارة الآن
فانظرت الى الترمومتر وقلت سبع وعشرون

قال ليس الفرق بين الحقيقة وأقوال العلماء الا ١٤٧٣ درجة فقد اتضح
لك اذن يا اكسيل ان مذهب تدريج الحرارة فاسد وان هنري ديفي لم يغلط في
حكمه وإن لم اركب متن الشطط بموافقتي لرأيه فبإذاتحبيب
قلت قطعت جبهة قول كل خطيب

وكنيت في الحقيقة متعجباً غاية العجب مما رأيته لاني كنت ابعد الناس عن

الاعتقاد بصحة مذهب ديني وبعد ان فكرت في الامر بهمة قلت في نفسي لم لا
يجوز ان تكون التربة التي نحن فيها ليست كغيرها وما المانع من ان تكون لها
احوال خصوصية من حيثية التركيب بحيث لا تنفذ منها الحرارة على اني لم ابد
ذلك الفكر خوفاً من ان يعده الاستاذ من قبيل المكابرة والمقاومة في الحق الواضح
ثم قلت له اني معتقد كل الاعتقاد بصدق حسابك فاسمع لي ان ابني
عليه حكماً يهتأ النظر في امره

قال قل ما يدالك

قلت ان نصف قطر الارض في المنطقة التي نحن فيها منطقة ايسلاندا
يلغ نيماً وسبعة ملايين قدم

قال سبعة ملايين وستة وثلاثين ألفاً وبضع مئات

قلت قل سبعة الاف كيلومتر

قال ابني

قلت من اصل السبعة الاف كيلومتر تجاوزنا خمسة وثلاثين

قال نعم

قلت بعد ان سرنا مائة وستة وثمانين كيلومتراً اقلياً

قال نعم

قلت وذلك في مدى عشرين يوماً

قال ابني

قلت فالمسافة التي قطعناها ليست الاجزاء من مائتي جزء من نصف

قطر الارض فاذا استمررنا على المسير بهذه الكيفية لا نبلغ مركز الارض الا بعد

اربعة الاف يوم اي احدى عشرة سنة تقريباً

فاطرق الاستاذ واحجم عن الجواب

فاردفت كلامي قائلاً وهناك ملحوظ اخر جدير بالانفات وهو اننا اذا كنا لا

تعمق فرصتاً الا بعد ان نسير مسافة خمسة فراسخ افقياً فسخرج من دائرة الكرة
الارضية قبل ان تبلغ مركزها بزمان طويل
فاخدم الاستاذ غيظاً وقال بمجدة شديدة ما هذه القياسات الكاذبة
والاستنتاجات الفاسدة والسفسطة العمياء والمجاجة الشنعاء او ما انت الذي كنت
قست الطريق التي نحن فيها بالطريق الشرقية وطلبت الرجوع الى ظاهر الارض
فاثبت ان كذبتك العيان وليس بعده برهان
قلت بلى

قال ومن اين علمت اننا لا نصل قريباً الى طريق عمودية تنتهي الى مركز
الارض على خط مستقيم على انه قد سلك هذه الطريق رجل قبلي وانتهى منها الى
قلب الارض وانا سائر على اثره فلا بد لي من ان افوز بالنجاح كما فاز هو من قبلي
قلت ذلك ما ارجوه غير انه يجوز لي
فقطع كلامي قائلاً لا يجوز لك الا السكوت متى اردت ان تأني بمنزل
هذا الهذيان

فعلمت ان عني على وشك الظهور بمظهره المعهود ووقفت منه على حذر
ثم بعد ان سكنت برهةً نظر اليّ وقال على اي درجة ترى المانومتر
قلت على درجة عالية جداً
قال ألم تر كيف اننا نعودنا بالتدرج استنشاق الهواء الكثيف وانا اناشدك
الله يا اكسيل هل تجد نفسك تشكو من هذا الهواء ضرراً
قلت لا اللهم سوى بعض الالم في الاذنين
قال ذلك لا يعبأ به وبممكنك ازالة هذا الالم بسرعة التنفس بحيث لا ينحصر
الهواء في صدرك طويلاً

وكنت قد آليت على نفسي ان لا اعارض الاستاذ في شيء فقلت اجل
واني لو اجد لذة في الاقامة في وسط هذا الهواء الكثيف ألا ترى باي قوة يتنل

فيه الصوت

قال بلى واظن ان الرجل الاصم اذا اقام هنا زمناً يسيراً يعاوده السمع
فقلت في نفسي بل اظن ان الرجل الصحيح يصيبه الصمم بعد مدة ثم قلت
بصوت عالٍ لا بد ان هذه الكثافة لا تزال تزداد شيئاً فشيئاً كلما اقتربنا من
مركز الارض

قال نعم ولكن ثقل الاجسام يخف بالندرج ايضاً فانك لا تجهل ان
الثقل ليس الا نتيجة فعل الجاذبية في الاجسام وذلك الفعل يبلغ اشد قوته على
سطح الارض ويتلاشى تماماً في مركزها حيث لا ثقل للاجسام البتة
قلت نعم كما انه لا ثقل لها في المنطقة المحيطة بين الارض والتمرف هناك الكوكبان
بتنازعان الجسم فيبطل فعل الواحد فعل الآخر وفي قلب الارض تتنازع الجسم
اشعة الجاذبية المنتشرة حوله واذا كانت كلها متساوية من كل الجهات فتتوازن
القوى ويقال اذ ذاك ان الجسم في حالة توازن

فقال ايه

قلت أفما يصير الهواء بقوام الماء اذا استمرت كثافته على الازدياد شيئاً فشيئاً
قال بدون شك وذلك تحت ضغط سبعمائة جلد وعشرة اجلاد
قلت وماذا يكون منه وراء ذلك

قال تستمر كثافته على الازدياد بالندرج
قلت وكيف تتمكن اذ ذاك من التقدم
قال نملاً جيوبنا حصي لتثقل اجسامنا
قلت لله درك يا عماء فانت فكاك المشاكل وعندك اكل سوال جواب
وكأننا عناك من قال

سله عما شئت فيما شئت ونعجب بعد ذا ما يساق
ووقفت عند هذا الحد من البحث لانني خشيت من ان انتهى الى وجود

مانع بحول دون الوصول الى مركز الارض فتعاود الاستاذ المحدة
على انه من الامور المقررة ان الهواء اذا بلغ ضغطه بضعة الوف من الاجلاد
ينجمد فيصير كالصخر فعلى فرض اننا نجد وسيلة لاجيازته وهو بقوام الماء بدون
ان تنزق رئاتنا من ثقله فهل من سبيل الى التقدم بعد ان يصير بقوام الجليد
غير انني لم ابين للاستاذ هذا الاعتراض ولو فعلت لجوابني بان سكوسيم سار
قبله ونجح الخ مع انه من المعلوم ان البارومتر والمانومتر لم يكونا معروفين في
الجبل السادس عشر فكيف تحقق سكوسيم من وصوله الى قلب الارض
ثم صرفنا بقية النهار في المباحثة والمداولة وكنت اوافق الاستاذ على جميع
ارائه واغبط هنساً على راحة فكره لانه لم يكن يكثر بما نحن في صدده ولا يعيب
فكره وقلبه في البحث عن العلل والتاثير بل كان يسير في البال كيف ساقته المقادير



الفصل الثامن عشر

بعد قيامنا من المغارة التي كنا فيها اخذت طريقنا نزداد انحداراً شيئاً فشيئاً
حتى صارت اقرب الى العمودية منها الى الافقية فصرنا نتعق في الغالب مسافة
فرسخ او اكثر في اليوم اما الزربة فلم تختلف بشي عما كانت عليه في الايام الاخيرة
ولذلك اصبح السير في تلك الطريق مملاً فلا مناظر تلهو بها العيون ولا حوادث
تساق اليها الاحاديث والحديث نوثجون

اذا طال الطريق عليك يوماً وضقت به ولم تنطق المسيرا
فشد من الحديث له جياداً . تكاد من الفروحة ان تطيرا
وكنا نسير في كل يوم اثنتي عشرة ساعة لا يتكلم الواحد منا في اثنتائها الا
بضع كلمات تدفع اليها الضرورة

فكأننا خرس بدون اشارة وعلى الاحق جوامد تتحرك
ولم نزل على ذلك اياماً عديدة بدون ان يحصل لنا فيها شيء يستحق

الذكر حتى اليوم السابع من شهر اغسطس يوم نحس مستمر لا ازال حتى الان
اضطرب لذكره اضطراباً وارتعش لهوله ارتعاشاً

كان ذلك اليوم يوم خميس وكنا قد بلغنا من العمق اثنين وعشرين
فرسخاً اي انه كان فوق رؤوسنا من الصخور والمدن والجار ما يبلغ سمكه مائة
ونيفاً وثلاثين كيلومتراً وكانت طريقنا في ذلك اليوم قليلة الانحدار فبينما انا
سائر في المقدمة ويدي مصباح من مصابيح رومكورف مرّ ذكر ابنة عمي في
خاطري فتأججت في فؤادي نيران الاشواق اليها ونيت ساعة افكر فيها وفيما
عمى ان يحل بها انا طالت غيبتنا عنها ولما انتهيت لنفسي لم اسمع اءاحي حساً
ولا جرساً فالتفت الى الوراء فلم اجدتها فقلت لعمي اسرعت في المسير على غير
اניהاء حتى تواريت عن نظرها او عرض لها امرأقتها عن المسير فالتفت راجعاً
على عقبي لاثنتين خبرتها ولكني سرت نحيواً من نصف ساعة بدون ان اصادمها
فوقفت مرتاباً في امري ثم اخذت اناديها باعلى صوتي فلم اسمع سوى رجع الصدى
وعقبه سكوت مخيف

ففي تلك الساعة داخل نفسي القلق وخامر قلبي الوجع واقتنعر بدني
لوحدة في جوف الارض ثم اخذت اسكن جاشي فقلت بصوت عال مهلاً
يا اكسيل فليس في الامر ما يوجب القلق فانت على الطريق التي عليها صاحبك
ولا خوف عليك من ان تضل اذ لا طريق سواها فانا استمررت على المسير
تلقى بها بدون شك لانك متأكد انك كنت سائراً امامها فهدأ روعي بعد
ذلك ثم سرت نصف ساعة ووقفت منصتاً على اسمع نداء او حسيماً والهول على
ذلك العمق يغلق الصوت بقوة غريبة لشدة كثافته فلم اسمع شيئاً على الاطلاق
مع ان المسافة التي قطعتها اياماً منذ انتهيت لنفسي تزيد على المسافة التي قطعتها
ذهاباً منذ وقع نظري على صاحبي آخر مرة فراجعتني اذ ذاك المخوف واشدد
خفقان قلبي حتى صرّت اسمع ضرباته المهدركة باذني وكنت لا اريد ان اتنعم

باني تهت عن الطريق فقلت لربما ان عني وهنسا لما افتقداني ولم يجداني رجعا
 على عقبي كما فعلت انا ظنا منها اني متأخر ورائها وان كان الامر كذلك
 فسادركما عن قريب قلت ذلك وانا غير موقن بصحة ظني على اني اخذت اعدو
 عدواً غير مبالٍ بالصخور المنذرية التي كنت اسير عليها ولا شاعر بتعب المسير
 وفي اثناء ذلك تذكرت جدول هنس زاعما اني سائر وايه غير ملتفت الى انقطاع
 خريه اليه فحمدت الله الذي اهل الاستاذ ان يطلقه على طريقنا وإطمان بالي
 لعلمي اني اذا سائرته لا بد ان اهتدي الى محل وجود رفيقي ثم تنبهت الى اني
 غير سامع صوت خريه فوقفت مضطربا ونظرت الى الارض فلم ار للماء
 من اثر فطارت اذ ذاك نفسي شعاعا وانخاع فوادي وجلا وارتابعا وبقيت بهره
 تخبط في رأسي الافكار اخباط الامواج في البحار فلا اقدر على جمع شتاتها ولما
 هدا اضطراي بعض الهدى تعقلت الامر فعلمت اني بينما كنت سائرا امام صاحبي
 غارقا في اجور افكاري دخلت شفا بفرع من الدهليز ولم انتبه لانقطاع خريه
 الماء وبقي الجدول سائرا مع صاحبي على الفرع الاخر الذي لا بد ان تكون
 ارضه اشد انحدارا من هذا

ففي تلك الساعة ارهفني النزع وغمرني الحزج وادركني الوله والهلوع
 وغرفت في بحرين من الافكار والدموع وايقنت اني هالك لا محالة واستولى علي
 اليأس وما ادراك ما اليأس هو عامل لا يقوم القلم بحق وصفه ولا تساعد اللغات
 البشرية على التعبير عن تأثيره في النفوس فلا يدركه الانسان الا اذا وقع فيه عامل
 يخفى النفس خفيا ويسحق القلب سحقا يضيق فسيح الارض في عين الانسان
 ويبدل بالسواد سائر الالوان وكفاه وصفا ان الموت لولاه ما كان مبرا

ألا لا حبذا ساعات يأس تشيب بياس روعتها الحبينا

وما يرجو ابن آدم من حياة اذا ما اليأس كان له قريبا

ثم اردت ان افكر فبين تركت على سطح الارض فلم يمكيني جمع افكاري



ذكرت الله فانتصبت جانباً على ركني (صفحة ١٢٤)

المضعضة فرخيال ابنة عمي ورسم بيته ومدينة هبرج امام عيني مرور الاشباح
في الحلم ثم مرت في ذهني حوادث السفر والمناظر انتي شاهدناها منذ خروجنا من
هبرج حتى دخولنا في جوف الارض فرأيت مدينة كوبنهاغن وقبة كنيسها
وريكياويك والموسيو فريدر يكسون وقس استاني وجبل اسنفل والاعصار
ثم رجعت الى نفسي وتاملت الوحدة التي انا فيها والمينة التي قضى علي بها
والروح عزيزة فانطرحت على الارض واخذت ابكي بكاء الاطفال وقد عظم
الامر في عيني ثم صحت من فواد جريج قائلاً لك الله يا عمي على ما فعلت

تلك هي البيلة الموحدة التي لفظتها شفائي جثا على الاستعاذ ورحمة به
لاني كما كنت اطم انه هو السبب في كل هذه البلاءا كنت معتقدا انه سيفاسي
من فندي امر العذاب

وبعد ان بقيت ساعة اخذت دموتا سخينة ذكرت الله فالتصبت جاثيا على
ركبي وتضرعت اليه تعالى بنفس حزينة وقلب منسحق مستغيثا بلطفه متمسكا
باهدا برحمة العبيدة راجيا من كرمه ان يرفقي بعين الرأفة وما فرغت من
الصلاة حتى سكن جاني بعض السكون فنظرت الى حالي بئس وهو بال
واخذت اتبصر في الامر علي اجد مخرجا من تلك المودة الموبلة التي كنت فيها
وكان معي من المزل مؤونة ثلاثة ايام ومن الماء مل قربتي فقلت في نفسي انا
اهتديت الى جدول هنيئ فلي بعض الامل بالا اجتماع يرفقي بل ربما امكنتي
الرجوع الى سطح الارض فاتعش فوادي املأ بالتعب وعجيت كيف اني لم
افطن الى هذا الامر قبل ذلك الوقت ثم اخذت اجد السير صعودا لاني قلت
في نفسي ان الطريق التي انا عليها تنتهي بدون شك الى الدهل الذي يجري
عليه الجدول فخرج من حيث دخلت وصرت في اثناء رجوعي افرس في
صخور الجدران على امل ان اذكر منها شيئا ما رأيت في اثناء ذهائي غير اني لم
ار علامة او سمة خصوصية يعول عليها وكذلك لم اجد على الارض اثر القدمي
لانها كلها من الصخور الحبية فلا تؤثر فيها النعل

فبعد ان سرت ثموا من نصف ساعة انتهيت الى صخر عظيم
فانم في وجه السرداب فلما تحققت ان لا منفذ منه اضلعت امل في الاخير وعادني
الفتور وكان قد اعاني التعب واثرت في الانفعالات النفسانية تأثرا شديدا
فستطبت على الارض كن اصيب بصاعقة ولطم النفس سقط الصباح من يدي
على صخر هشرب فاخذل الجهاز الكهربائي واخذ نوره يخف شيئا فشيئا وجوش
الظلام تقرب مني بالتدريج راسمة على الجدران خيالات متقلة اشكالا متنوعة

وبعد دقيقة كانت عندي كدقيقة النزاع اشرق النور مرة اخرى كما يصير
الميت، فيبل أن يسلم الروح ثم انطفأ تماماً وبقيت وحيداً تحت جنح الظلام المحالك
تقلبني الافكار شرقاً ومغرباً على اني لم انتقل من مكانها
كما يذهب الظل البين ويسرة وذو الظل في شواه ما زال باقيا



الفصل التاسع عشر

مهما اشتد الظلام على ظاهرا الارض فلا يتقطع النور بلمرة بل يبقى منه
بعض اشعة خفيفة ضعيفة تتسلط بالظلماء اختلاط الخمر بالماء فتستأنس بها
العين بل ربما تنتهي بالالفة الى مشاهدة الاشياء وتمييزها

اما في جوف الارض فالظلام صرف لا تألفه العين ابداً ولذلك لما احاطت
بي كنانته السود من كل جانب ضاقت في وجهي المذاهب اذا صبحت كالاعشى
سواء علي افتمت عيني ام اغتمضتها وللظلام هبة ووفار فضاع عقلي وطاش لي
واخذني الرعب فصرخت من صميم فؤادي صرخة هائلة وقمت امشي بقدم الاختب
ويدي ممدودتان امامي لاتقاء الصغور ارفع احداها واخفض الاخرى كمن يطلب
السباحة في الهواء ثم خبل لي ان طوائف الجن سائرة في طلي والمردة معترضة في
طريقي والمخوف يصور للانسان اغرب الغرائب ويقرب له المستحيلات كما قيل

من ذا يلوم المرء في روعة فالروع ذهاب بعقل الرجال

كم مستحيل رده جائزاً وجائز عاده كالحال

فاشتد خفقان قلبي واضطراب اعصابي واخذت اعدو على غير هدي
خابطاً في ارض الدهليز خط عشواء وانا اصرخ من شدة الخوف واليأس
صراخ من طار صوابه او كثر عذابه ولم ازل بين سقوط وقيام وهبوط
واصطدام وقد هممت وجهي وتفرق جسي حتى كلت قواي ووهن عزى فستطبت
على الارض فانقد الشعور غائباً عن الهدى

ولما أفقت من غشيتي بعد مدة من الزمن لا أعلم مقدارها وجدت نفسي
مضرجاً بدمي وقد انحطت قواي بسبب التزيف الذي أصابني ثم أخذت أحرك
أعضائي الواحد بعد الآخر فتبينت أنها سليمة من الكسر فحمدت الله على ذلك
كمن لم يزل موملاً في الحياة وما ذاك إلا لأن الضعف الذي كنت فيه ضرب
على ذهني حجاباً فلم أذكر في بادئ الأمر أني هالك على أي حال

وربما رجعت إلى قواي العقلية حزنت على بقاءني في قيد الحياة وتمنيت لو
أنني قضيت شبي في أثناء غشيتي وكفيت عذاب النزاع الذي يتظرني

وفي ذاك الوقت شعرت بألم الرضوض التي يجسمي فحيرت نفسي بكل
عناء حتى الحائط وإنكأ عليه وقد عاودني الضعف وانحطاط القوى حتى
كدت أفقد الشعور ثانية وبينما أنا على تلك الحالة وإذا بصوت شديد كقص
الرعد قد طرق آذاني فجلست منصتاً وبقيت برهة أسمع دويه يتناقص شيئاً فشيئاً
حتى انقطع بالكلية فعجبت من ذلك الحادث وأخذت أفكر في أمره فترجح
عندي أنه ناشئ عن سقوط طبقة من الصخور المجاورة أو عن تفرقع مسبب
من اشتعال غاز من الغازات السريعة الالتهاب ثم بقيت نحواً من ربع ساعة
معضياً أسمع الصوت ثانية فلم أسمع شيئاً وإذا كاسدت ظهري إلى الحائط
فجأت أذني على سطحه اتفاقاً فخيل لي أني أسمع كلاماً خفياً غير مفهوم لبعده الصوت
فارتعشت شديداً ثم خفت من أن يكون ذلك رجح صدق أمني أو وهماً ناتجاً
عن ضعف قواي فامسكت عن التنفس ونهبت أفكاري وبقيت برهة منصتاً
فتحقق لي أني أسمع على بعد كلاماً همساً غير أني لشدة ضعفي لم أفهم شيئاً من ذلك
الكلام وحيث أني انتقلت إلى محل غير الذي كنت فيه فإزداد الصوت وضوحاً
وسمعت بأذني كلمة (واحسرتها) ملفوظة بصوت يهت الأكباد ويذيب المحجاد
فاغرورقت إذ ذاك عيناى بالدموع وعرتني هزة الملعوع ولم يعد عندي شك
في أن ذلك الصوت صوت عني فقلت في نفسي إذا كنت أسمع صوته من هذا

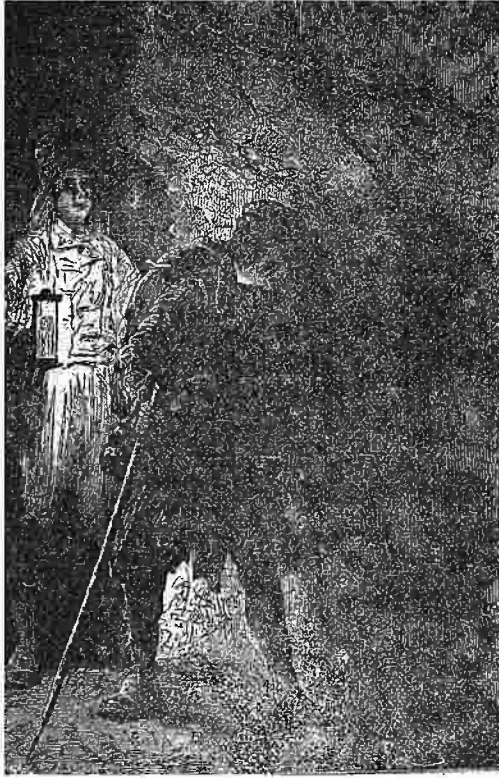
الحل فلا بد ان صوتي يصل اليه كذلك حيث هو في الحال ادنيت في من
الحائط وناديت به باعلى صوتي ثم صبرت دقيقة فلم اسمع جواباً فقلت لعل الصوت
الذي كنت سمعته آت من نفس السرداب الذي انا فيه لا من وراء الجدار
اذ ان الصوت لا ينفذ منه مهما كان شديداً وعلمت ان عمي على بعد شاسع مني
وان وصول صوته الى ذاك البعد ناشيء عن كيفية تكوين السرداب وقابلية
الصخر المكون هو منه لنقل الصوت فتذكرت في الوقت نفسه ان هذا الحادث
الغريب يشاهد في دهليز كنيسة ماري بطرس بلنדרه ولا سيما في مغائر جزيرة
صقلية العجيبة وفي اثناء ذلك قرع آذاني الصوت الذي كنت سمعته اولاً وفهمت
هذه الكلمات (واحسرتاه عليك يا اكسيل اين انت يا اكسيل) ثم تلاها دوي
شديد شبيه بالصوت الذي سمعته في بادئ الامر فجعلت في على مساواة سطح
الحائط ووجهت الصوت الى اسفل الدهليز وصرخت من كل قوتي قائلاً
يا عماء ليدنبروك

ثم وقفت منصتاً وقلبي يخفق سريعاً لاني كنت اعلم ان الصوت لا يصل
الى عمي الا اذا كان باقياً في الحل الذي اتاني منه صوته وبعد دقيقة خلتها
دهراً طرقت سمعي هذه الكلمات
أهذا انت يا اكسيل

قلت نعم نعم

قال اين انت يا بني

قلت تائه في حالك الظلام



اهدائات يا اكسيل (صفحة ١٢٧)

قال واين مصباحك

.

قلت انطفأ

.

قال والمجدول

.

قلت اخفى

قال تشجع ولا تيأس

قلت اهلهني قليلاً حتى يسكن روعي فقد قدت القوى وانق مكانك
ثم اسفر على مخاطبتي

قال لا تنعب نفسك في المجاورة واسمع ما اقول اننا مجئنا عنك في الدهليز
صعوداً ونزولاً لم تنف لك على اثر وقد بكبك يا ولدي بدموع سخينة وآليت
على نفسي ان لا ابرح من هذه الارض قبل ان اقف على حقيقة خبرك ولما
ترجع عندي اخبراً نك لم تزل ملازماً مجرى الجداول فقد سابرته مع هنس حتى
مصبه ونحن نطلق عبارات بارية حياً بعد حين لعلك تسمها فتتهدي بصوتها
الينا اما الان وقد علمنا بمحل وجردك فقد زال الخوف والحمد لله وعما قليل
اجتمع بك واضحك الى صدري ولا اعود افارقك خطوة واحدة

ثم قال نحن الان في مغارة فسيحة جداً تنهي اليها كل الدهاليز المجاورة
بل اظن ان كل الشقوق التي تنزل الفشة الارضية تنفرع منها ولست اعلم في
اي واحد منها انت الان وان اخذت ابحت عنك فيها جميعاً فلربما لا اهتدي
اليك الا بعد ايام فهل عندك من الزاد والماء مؤونة كافية

قلت خاوي الوطاب خالي الجراب لا زاد ولا ماء ولا جعبة ولا سقاء
لاني وانا سائر في الشق الذي انا فيه يتاجيني الاسى وانا جيه وشكرو ما شكته
قوم موسى من التيه ثنرت رجلاي باحد الصخور فسقطت على الارض فاقد
الشعور واذ ذاك تمزق السقاء وسال الماء على الحصاء وتقطعت الجعبة أربا
وتفرق الزاد ايدي هبا ومنذ تهت عن الطريق حتى الان لا اكلت ولا شربت

قال اذن لا بد من حضورك انت الينا قم وامش على قدر امكانك ولا
تجزع فنحن في انتظارك
ولا شك من وقع الحوادث جازعاً فمن غالب الاهوال لا بد يغلب

قلت أيمالك ان تخبرني عن المسافة التي بيني وبينك

قال ذلك امر سهل معرفته ساناديك باسمك وبيدي الكرونومتر فتجاوبني
حالاً يصلك الصوت فالوقت الذي يمضي بين ندائي وجوابك يدلنا على المسافة
التي بيني وبينك

قلت افعل . ثم الصقت اذني بالمحائط وامسكت عن التنفس وبعد برهة
سمعت لفظة (اكسيل) فراجعت الكلمة حالاً وانتظرت الجواب من الاستاذ
وبعد دقيقة قال مضى بين الكلمتين اربعون ثانية فالمسافة التي بيننا
يقطعها الصوت اذن في عشرين ثانية واذا كان الصوت يسير مسافة الف قدم
وعشرين قدماً في الثانية فالمسافة التي بيننا عشرون ألفاً واربعائة قدم
قلت أبصدي هذا القياس على الهواء الكثيف الذي نحن فيه

قال نعم فان كثافة الهواء تزيد الصوت قوة لا سرعة

قلت ها انا ذا سائر يا عماه فاستودعك الله لاني اذا اجتمعت عن هذا المحل
فلا يعود في امكاننا ان نتكالم ولربما لا اجد سبيلاً الى الوصول اليك

قال لا تخف فان طريقك ستوصلك الينا اذ لو كان بيننا حاجز لما كان

الصوت يصل مني اليك

فتمت وقد احبى الامل قواي حتى نسيت اوجاعي وتذكرت قول من قال
وقد يجمع الله الشئتين بعدما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا
ثم حدث الله اذ سافني الى تلك النقطة التي ربما كانت وحدها في الكيفية
المناسبة لتوصل الصوت على ذلك البعد الشاسع فلو تجاوزتها او وقفت دونها
لخفي امري على عي وبقيت في مكاني حتى تدركني المنية

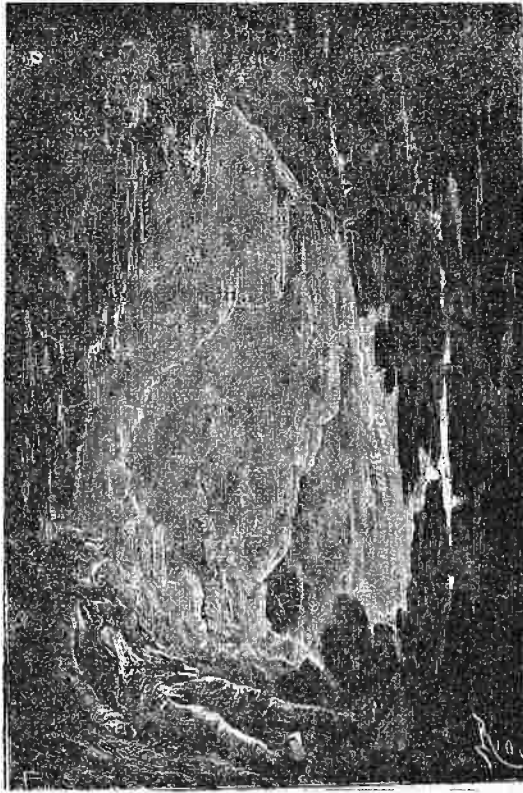
منى كان في دور الحياة بقية تيسرت الاسباب وانفج الضيق
وبعد ان سرت قليلاً صارت طريقي شديدة الانحدار ولم البث ان رأيت
الارض تسير بي وصرت انزل منحيلاً لا اتمالك نفسي وبعد قليل سقطت من
عمل عال سقطت عمودية واخذت اندحرج بين الصخور التي سقطت معي
كواحد منها واخيراً وقعت على ام رأسي وغبت عن الصواب



الفصل العشرون

لا بد للساج من ان يرى ما لم يكن يخاطر في فكره
لما عاودني الشعور وجدت نفسي في كهف به قليل من النور مضطجعا على
وسادة من اعبية السفر وعي جالس بالقرب مني يرقب على وجهي دلائل الحياة
فعند اول حركة ابديتها اخذيدي بيده وحالما فتحت عيني صرخ بفرح شديد
فائلاً حي حي نحمدك يا رب

فقلت بصوت ضعيف لم يتجاوز حد الانين
حي ولكن الوفاة قريبة والموت غاية ما اروم واطلب
من كان صفو حياته متكدراً مثلي فعنها ليس فيها يرغب
فضمني اذ ناك الى صدره وعيناه مغرورتان بالدموع وقال



لما عاودني الشعور وجدت نفسي في كهف (صفحة ١٢١)

لا تأمن من وقع الصروف فكل ما يلقاه من يبغى النجاح محبٌ
 واصبر بني ولا تضق ذرعاً فما تنفى المذاعب عن سوى من تعبُ
 وقد نجوت من المكارة فلا تكره الحياة ولا تنط من روح الله قال ذلك
 بصوت يشف عن محبة وحنو عظيمين ولولا شدة الانفعالات والعوامل التي
 اثرت فيه لما اظهر شيئاً من تلك العواطف التي يكتمها فؤاده تحت ظواهر الشراسة
 وفي ذاك الوقت حضر هنس وقرأ علينا السلام بوجه متهايل فرحاً
 فرددته عليه ببشاشة ثم قلت للاستاذ اخبرني في اي محل نحن الان

فقال مهلاً يا ولدي لانك في حاجة الى الراحة فتم الان ولا تشغل افكارك بشيء واذا جاء الغدا خبرتك بما تريد

قلت قل لي على الاقل في أي يوم نحن وفي أي ساعة

قال نحن الان في الساعة الحادية عشرة من مساء اليوم الحادي عشر من شهر اغسطس ولست اسمع لك بان تسألني عن شيء قبل اليوم الثاني عشر من الشهر الجاري

وفي الحقيقة كنت شديد الضعف منخط القوى لما كابدته في زمن التيه من ملازمة السهر ومساورة الفكر ووحشة الظلمة ورضوض الضجور وطول المشي وقد حل لي التعب واخطى عليّ الآن اطباقاً فاغمض اجفاني بالرغم عني فتمت وفكري الاخير ان مدة وحدتي كانت اربعة ايام كاملة

ولما استيقظت من نومي في اليوم الثاني رأيت نفسي مرتاحاً فلبست على فراشي ثم انعمت النظر في الكهف الذي كنت فيه فوجدته بديع الجبال مزداناً بالاعد الطبيعية وارضه مكسوة برمل دقيق لماع ولم يكن فيه لا مشاعل ولا مصايح وهو مع ذلك منار بنور خفيف اشبه بالسحر في الليلة القمراء فبعيت من ذلك الامر وبعد تدقيق النظرين لي ان ذلك النور آت من الخارج وهو على باب الكهف اشد منه في بقية جوانبه وفي الوقت نفسه سمعت صوتاً من الخارج كهزيز الريح وهدير خفيفاً مستمراً اشبه بصوت اندفاق الامواج على الرمال فحسبت نفسي في بادئ الامر اني في حلم ثم خشيت من ان يكون ذلك رؤيا وهمية ناتجة عن اصابة الدماغ حين سقوطي واخذت اغالط نفسي واكذب حسي استبعاداً للوجود مثل هاته الظواهر في باطن الارض غير اني كنت ارى ما ارى جلياً واسمع ما اسمع صريحاً فلم اجد للمغالطة سبيلاً ولا للتكذيب مجالاً وليس يصح في الاذهان شيء اذا احتاج الهار الى دليل

وقلت في نفسي ان النور الذي اراه ليس الا نور النهار والاصوات التي

اسمها ليست الا هزير الريح وهدير البحر فاما ان دماغي مصاب واما ان عي عاد
الى ظاهر الارض

وبينا انا افكر في الامر وقد اخذتني المحيرة دخل علي الاستاذ بوجه باشر
وقال صباح الخير يا اكسيل ارهن على انك اصبحت نشيطاً معافياً
فقلت اما الجسم فكما تقول

قال لم يكن عندي شك في ذلك لانك نمت طول الليل نوماً هنيئاً وقد
سهرت عليك انا وهنس بالناوبة ورأينا تقدمك الى الصحة رأي العين
قلت في الواقع ارى نفسي قوياً نشيطاً وان شئت على ذلك برهاناً ثمر
بالطعام لتمتاز الصحة عن السقام

فنبس الاستاذ وقل لا بأس من ذلك يا اكسيل فقد فارتك المحمي
وبرئت جروحك والفضل في ذلك لهنس الذي عاجها بمرهم فعال لا يعرف
سر تركيبه الا الايسلنديون

ثم اتاني بشيء من الطعام فالتهمة التهاماً غير مكترث بنصائحه ومواعظه
وبعد ذلك استعملت منه عما حصل لي بعد سقوطي وكيف اهتدى الى المحل
الذي سقطت فيه فاخبرني ان الدهليز الذي جئت منه ينتهي الى المغارة بالحدار
شديد جداً وان سقوطي كان مع صخر كبير ساربي انسياً كأنه عربة بلا
عجل او سفينة بلا مبحر حتى انتهى الى المحل الذي كان فيه عي والدليل فاستمر
هناك فحملاني صريعاً مضرجاً بالدماء ثم استطرد الكلام قائلاً ان نجائك من
تلك السقطة يا اكسيل لمن اعجب العجائب فاناشدك الله ان لا عدت تفارقي
خطوة واحدة مخافة ان تنقطع عني ثانية فلا نجتمع الا اذا شابت الغربان وآب
القارطان

فهيبت من كلامه لاني كنت رجحت في نفسي اننا انتهينا من تلك الرحلة
وعدنا الى ظاهر الارض واستبعدت اصابة دماغي وخلل حواسي ولكن من

كلام عي قوي عندي الاحمال البعيد وضعف الظرف الراجح بل حكمت اخيراً
باني جننت وإن جميع ما انصوره انما هو محض اوهام ثم قلت انا كان الامر
كذلك فجزمي بمنون نفسي وهم ايضاً ومكنت برهة على تلك الحال اردد عجلي بين
الصحة والاخلال ولما رأى عي علائم الاندهاش علي وجهي قال ما بالك يا اكسيل
قلت اصدقني أكل اعصابي سليمة

قال نعم وبمكنت ان تفقدها بنفسك
قلت ورأسي

قال ورأسك لم يزل قائماً في محله بين كنتيك وهو الان في غنى عن
الرفائد التي عصبته بها لان جروحه خفيفة وقد برئت تماماً
قلت انا خائف من ان يكون الدماغ مختلاً

قال ما نا بجهلك على هذا الظن
قلت ألسنا الان على وجه الارض

قال نحن الان في جوفها على عتي اربعة وعشرين فرسخاً من سطح البحر
قلت خوفي اذن في محله لاني ارى نور النهار بعيني واسمع هدير البحر وهزير
لرجم ياذني

فضحك الاستاذ حتى كاد يستلقي على فناءه ثم قال ان كانت هذه اعراض
لمنون فكلنا مجانين

فاطمان خاطري عند سماعي هاته الجملة وابتنت بالمعلول وان لم افهم الطلعة
قلت اخبرني انن ما هي اسباب هذه الظواهر

قال لا يمكنني ان اخبرك عن شيء ولكنك ستري بنفسك ما رأيت انما
ترك من اسبابه بقدر ما ادركت على اني اذكرك بما قلته لك قبلاً من ان
لم لم يزل في مهد الطفولية

فتحرك في المبل عند سماعي كلام الاستاذ الى الوقوف على حقيقة الامر فاتصبت

على قدمي وجمعت بالخروج قبض على نزاعي قائلاً ما أنا تفعل يا أكسيل الا
تري في اي حالة انت من الضعف فاقم في مكانك ولا تعرض نفسك للريح
قلت اي ربح هذا الصوت هزير ربح حقيقية

قال نعم وهي شديدة فلا تعرض نفسك لها لنلا تلحق بك الاذي
قلت وجيانتك يا عماء لم يعد بي شيء من الألم وقد رجعت الى قواي فلا
تخش عليّ بأساً

قال صبراً يا ولدي فاني اخشى عليك من النكاس فتضطر الى الإقامة
هنا اياماً ولربما لا تبقى الريح مناسبة لرحلتنا

قلت واي دخل للريح في رحلتنا
قال لو كانت سفينتنا بخارية لما كان سفرنا يتوقف على مناسبة الريح
ولكنها شرعية ولذلك لا يمكن ركوب البحر الا اذا كانت الريح مناسبة لها فاصبر
اذن يا أكسيل الى الفدحى يتم شفاك

فاستغرمت هذا الكلام غاية الاستغراب لان اسم السفينة في باطن الارض اغرب
من اسم الخيل على ظهر البحر ولم استطع الصبر عن الخروج رغبة في الوقوف على
ما في خارج المغارة فاكثرت الاطحاح على الاسناد لانه يادن لي بالخروج ولا
يضطرني لعموقه بمخالفة امره فعلم ان اكراهي على الإقامة مع ما انا عليه من
قلة الصبر يضربني اكثر من تعريضى للهواء فسمع لي اذ ذاك بالخروج
منحفظاً من البرد فلبست ثيابي على عجل وخرجت ملتقاً بعباء من الاعبية التي
كنت رافداً عليها



النصل الحادي والعشرون

ومن يعتد ملازمة الدياحي يره النور اول ما يراه
من طول قلب طرفي في الظلام وتعوده على مصاحبة الغياهب صار لا



وفي وسطها بحر لحي عظيم (صفحة ١٢٧)

يقوى على تحمل الضوء ولذلك لما خرجت من الكهف وابصرت عيناى النور
المنشر خارجه انكرتاه فغمضتها دقيقة ولما امكنتي فتحها رأيت نفسي في مغارة لا
كالغائر جوانبها متوالية وراء الافق وفي وسطها بحر لحي عظيم يمتد من باب
الكهف الى حيث لا يعلم الا الله وشاطئه مؤلف من رمل دقيق ذهبي
اللون مرصع بالاصداف والابواق الصغيرة التي عاشت فيها اقدم الحيوانات
الارضية

كانها سحب وقت الاصيل بدت او انجم طلعت في اوسط الشفق

يخالها الطرف تخيلاً بصافته - أو الحجرة لولا صبغة الزرق
والمغارة مستنيرة بظواهر كهربائية يفوق نورها نور القمر ليلة تمه بهجة وصفاء
وحسناً وازدهاء إلا أنه أقل من نور الشمس سطوعاً وليس فيه شيء من الحرارة
فهو أشبه شيء بنور الشفق القطبي أما سقفها فمحجوب بالغيوم الكثيفة المتلبدة في
سماها على علو خمسة أميال أو أكثر وما بلغ الغيم فيها هذا الارتفاع المنكر على
سطح الأرض إلا لشد كثافة هوائها

فلما شاهدت تلك المناظر الباهرة ووقفت على تلك المظاهر الظاهرة اخذني
العجب ووقفت مندهشاً مذهولاً أنظر تارة إلى النور وطوراً إلى الماء ومرة إلى
الافق وأخرى إلى السماء وكانت الريح تمر على سطح المياه فتثير عنها بعض الزبد
وتنثره على وجهي

أما الأستاذ فكان واقفاً بجانبني ينظر إليّ باسم نظرة الفائز الظافر وبعد برهة
قال لي ذهب بعض الانكليز إلى أن الأرض جوفاء والهواء في جوفها منبر بسبب
شدة الضغط وفي داخلها كوكبان يدوران حول مركزها كما يدور القمر حول
سطحها وهما بلوتون اله المجيم في زعم اليونان وزوجه بروزرين ولكون هذا
المذهب مبنيّاً على الخرافات اليونانية أحله القوم محلها غير أنه قد اتضح لك الآن
يا أكسيل أن صاحبه قد أصاب من بعض الوجوه كما اتضح لك فساد مذهب
القائلين بالحرارة المركزية فساداً تاماً من كل الوجوه وقد تكون بعض القضايا
الخرافية أقرب إلى الحقيقة من القواعد العلمية

قلت والله يا عماء أني حائر الفكر زاهل العقل مندهش البصر فكأنني في
حلم ولولا أنك شريك في ما أرى لكنت عيني تكديماً

قال لا تكذب عينيك ولا أذنك فإن كل ما تراه وتسمعه حقيقي واقع
فعلاً فالبحر الذي أمامك هو بحر ليدنبوك دعوته باسمي ولا أخاف المنازعة
والأرض التي نحن فيها هي القارة الجديدة التي تسدست بها القارات الخمس

ولربما كانت اكبرها جميعاً

قلت احسنت في سميتها قارة فانها تكبر والله ان يطلق عليها اسم مغارة
قال اي ورك يا اكسيل فان اعظم مغارة على سطح الارض هي مغارة
الموثر في ولاية كنتوكي من الولايات الامركانية المتحدة التي يبلغ علو سفنها خمسمائة
قدم وطولها نحو خمسة وعشرين ميلاً وفي وسطها بحيرة لم يسر غورها حتى الان
ولكن مها عظم خطرها فبون بعيد ما بينها وبين التي نحن فيها وشتان بين
بحيرتها والبحر العظيم المتد امام اعيننا

قلت وانى لمغارة الموثر هذا الدور الباهر وهذه الغيوم السائرة فوق رؤوسنا
التي ما تجزأت واحدة منها الا وامض البرق من بين اجزائها فوالله انى لو اجد
في نفسي حاسات لا اقدر على التعبير عنها

فما لكن جاش الكلام بصدري فتمتم عنه از اي عن تمامه
باكثر مني لكسة وفهاة واعجز عن تصريحه ببراهمه
فكأنني انتقلت الى كوكب غير الارض كزحل او المشتري فانكرت طبيعي
الارضية ظواهره المدهشة

قال لا عجب يا اكسيل ان لم تجد كلاماً يعبر عن حاساتك فان اللغات
الارضية انما تشتمل على ما يحتاج اليه اهل ظاهر الارض من الكلام للتعبير
عن افكارهم والوجدانيات المنتزعة مما يقع تحت انظارهم والعالم الجديد الذي نحن
فيه يحدث في الانسان وجدانيات جديدة فهو يحتاج الى لغة جديدة

ثم اخذت افكر في كيفية تكوين تلك المغارة العميقة فلم اجد لها علة الا
برود القشرة الارضية بعد ان كانت ملتصقة غير ان الشقوق العديدة التي
تنفرع منها الى سطح الارض تدفع الظن الى ان المواد البركانية كانت تنفذ
منها في الادوار الاولى اما بسبب الحرارة الداخلية على المذهب المشهور واما بسبب
اتحاد الهواء والماء فيها ببعض المعادن على مذهب ديني والاستاذ فتشرها

البراكين على وجه الأرض حيث تكونت جبالاً وإكائاً وجزائر فانتسعت مساحتها
بقدر ما فقدت من تربتها

وبعد أن بقيت ساعة أناًمل في غرائب الطبيعة وعجائبها قال لي الأستاذ
كيف ترى صحتك يا أكسيل

قلت غابة في الجردة ولولا أنك ذكرتني بسؤالك هذا لاني كنت طرح الفراش
في هذا الصباح لما تذكرت ذلك من نفسي

ألهي التعجب إنساني وإنساني ما كان قرّح أعاني وإعاني
والبحث هاج شعبي للعلا فانا من بعد ضعف شجائي رهن أشجائي
قال هذه نتيجة تأثير المناظر الغربية التي رأيته على غير موعد وفعل تغيير
المواء فهل لك في التجول ساعة على هذا الشاطئ
قلت لا شيء أحب إليّ من ذلك

ثم أخذنا نتمشى الهويناء على رمال لم تطأها من قبل رجل رجل ولم يرها
إنسان إنسان وكان البحر عن يميننا تتلاطم فيه الأمواج والريح تأتي من مائه
الحلبليلة والسائم تنهأدى نحونا فتهدينا الصحة وهي علية وعن شمالنا صخور هائلة
متراكمة فوق بعضها كأنها أطلال قلعة عظيمة أو رسوم أبراج قديمة تنحدر منها
جداول المياه شلالات مزبدة كأنها جبال من لؤلؤ أو عمد من لجين ولبعضها
هدير مخيف يصم الآذان وللبعض الآخر خرير لطيف كغم الشجي الرهقان ومن
جلتها رفيقنا الأمين جدول هنس وهو يجري إلى مصبه على سطح قليل الانحدار
غير متردد في مسيره ولا منحار فكانه وجد على تلك الحال منذ تكون العالم
فلما أبصرته حييته بالسلام ورشفت من مائه البارد ملأ راحتي ونادجه

ما عشت أوليك الشاء ألم تكن ياماه روعي في المسير وراحي
لفراقك التهب الفواد فما أنا احسو لاطشه فأملأ راحتي
وبعد أن سرنا قيد ميل أشرفنا على غيضة كثيرة الأشجار وأجارها كثيفة

الانصان وهي على شكل مظلات مستديرة الهياكل استدارة هندسية كأنما خُطت
بالبكار غير ان الانصانها نابعة لا تميل مع الريح فكأنها ارز مخمير فالسرعة في المسير
نحوها وانما انصكر فيها عسى ان تكون اذ لم اذكر نوعاً يشبهها منظر آيين المائي الف
نوع المعروفة من انحاء النباتات

على اني لما اقدمت منها وجدت نفسي امام غضة من الفطر الايض
فانتقلت من الحيرة الى الفهم الشديد لان الفطر وهو ضرب من الكماء لا يبلغ
علوه على سطح الارض الا بضع اصابع وهو هناك اشجار عظيمة لا ينقص ارتفاع
اقصها عن ثلاثين قدماً كطول محيط قبتها وقد يتجاوز اعلاها الاربعين وهي
مخينة فوق الارض لا يتغذ منها النور

فبعد ان وقفنا برهة امام تلك الغضة العجيبة تأمل في عظمتها دخلنا
ارضها واخذنا نحول بين اشجارها الا ان الظلام المحالك والبرد القارس المنتشرين
نحت قباها منعانا من التوغل فيها فقلنا راجعين الى شاطئ البحر
ثم سرنا ميلاً اخر فوجدنا آجماً عديدة من النباتات الارضية الصغيرة كالفحلب
والسرخس والليكوپدون والسيجلاريا وهي كثيرة الاقنان ضخمة المجذوع باسقة
الانصان يزيد علو بعضها على المائة قدم واوراقها عديدة اللون

وبينما نحن نجوس خلال تلك الاجام وتحوّل بين اشجارها العظام قال
لي الاستاذ اعلم يا أكسيل ان التربة التي نحن عليها الان هي في الحالة التي
كان عليها سطح الارض في الدور الكروني وهذا النبات الذي ينبت اليوم
في حدائقنا صغيراً خبيراً كان في ذلك الدور شجراً عظيماً كما تراه امامك الا انه
لم يكن عدم اللون اذ لم يكن محبوساً عن نور الشمس فتأمل في هذا الانحطاط
العظيم واعلم انه لم يبق لاحد قبلك من علماء النبات ان يرى ما تراه بعينيك
وتلمسه بيدك الا اثاراً قليلة في مناجم الفحم الحجري
قلت اجل ولكن كيف نفو النباتات في هذه التربة النارية وهو لا يعيش الا



وجدت نسي امام غيضة من الفطر الايض (صفحة ١٤١)

في الاراضي الرسوبية

قال ومن اين علمت ان هذه التربة ليست من الاراضي الرسوبية
قلت أرض رسوبية على هذا الحق
قال أتجهل ان القشرة الارضية عتب ان خمد لهيبها وبرد اديمها بقيت
زمنًا طويلاً بين شحوص وخسوف ترتفع مرة وتمط اخرى كما تغلي القدر على النار
فهذه التربة التي نحن عليها بعد ان كانت على سطح الارض غارت الى حيث
هي الان وانطبقت الارض من فوقها كما ترى

قلت صدقت يا عماه ومن المعلوم ان الفحم الحجري تكون في جوف الارض
 من الغياض والاجام التي غارت فيها بهذه الكيفية
 قال منها ما غار في الارض بهذه الكيفية ايام غليانها ومنها ما جرفه الماء
 الى الوهاد ثم غطاه السيل بالتراب والصخور والنتيجة واحدة في الحالين
 ثم رأيت على الارض عظاماً منشورة ذات اليمين وذات الشمال
 تحدثنا عن العصر الحوالي وتبيننا بتاريخ الدهور
 وتنطق بالحقائق وهي صلد وتُشعر وهي فاقدة الشعور
 فهولات نموها وامعنت النظر فيها فاذا هي بقايا حيوانات هائلة من التي
 عاشت على سطح الارض قبل الطوفان كالمستودن والدينوتريوم والميغانيروم
 ننبهت الاستاذ اليها فقال من المستحيل ان تكون هذه العظام آتية من سمع
 الارض فلا بد ان اصحابها عاشت هنا على شاطئ هذا البحر وقضت حياتها
 راتعة في ظل هذه الاشجار

ثم رأيت هياكل كاملة من تلك الحيوانات فقلت وهذه الهياكل المحفوظة
 على تركيبها الطبيعي برهان على ذلك ولكن ان صح قولنا فمن المحتمل ان يكون
 بعض هذه الحيوانات حياً حتى الان يجول في ظل هذه الغياض المظلمة او وراء
 هذه الصخور الهائلة

غرائب الكون ترى لا انتهاء لها وما لها قط ان فكرت احصاء
 فقل لمن يدعي ادراك جامتها حفظت شيئاً وغابت عنك اشياء
 ولما مر بفتري احتمال وجود حيوانات من هذا القبيل اقشعر بدني خوفاً
 واخذت اتطلع الى الجهات الاربع ولكني لم اَر شيئاً من الكائنات الحية على الاطلاق
 فاطمان بالي

وكان قد اتر في الجوع وانكسر التعب فقلنا راجعين الى الكهف الذي
 اتخذناه لنا مأوى وفتت تلك الليلة منشراح الصدر مسروراً ولا عجب فان

الدليل المظلم البصري الذي قضينا فيه الأيام الماضية كان قد ضيق صدري
فانساع نطاق البصر في المغارة التي انتهينا إليها اوجد في نفس ذلك الارتياح

الفصل الثاني: والبشرون

لم نتم مصالحة يد المكروى اخفاني في صباح اليوم الثاني الا وقد وثبت من
فرائي نشيطاً مبعثاً وخزجت من الكهف انز الطرف برأى البحر وكان النسيم
لطيفاً يمر على سطح المياه فلبس ظواهرها سابغات البروج فشاقني هدو البحر
الى الاغتسال ففعلت ثم رجعت الى الكهف طربك مسروراً وتناولت الطعام بلذة
غريبة وقابلة عجيبة وكان لدى هنس من اللؤلؤ والوقود بقدر ما يشتهي فتمكن
من تنويع ما كلفنا في ذلك اليوم وكنا قد عشنا كل المدة الماضية على البقساط
واللحم القديد وبعد الأكل تناولنا القهوة فوجدت لها لذة لم اعهد لها فيها من قبل
ثم نظر الي الاساذ وقال ازفت ساعة المذقم بنا نراقب فعله في بحر
ليدبروك

قلت كيف ذلك أبلغ تأثير الشمس والحر المحل الذي نحن فيه
قال ولانا لا يبلغه ألبست كل الاجسام باجمعها خاضعة لحكم المجازية
فسترى عما قليل كيف ان مياه هذا البحر الداخلي ترفع بفعل تلك القوة ورغاعن
شدة ضغط الهواء عليها كما ترفع مياه الاوقيانوس فقمت وانا اقول
آتي كل يوم حادث باكتشافه بهيج ولوع للعبلا وغوام
عجيب لمن يلقى العجائب هذو اذا هجع النوام جعيف بنام
ثم قصدنا شاطئ البحر ولم تستقر اقدامنا على الزمان حتى اخذت مياهه في
الارتفاع فاخذتني الدهشة وكدت اطير عجباً وصرخت قائلاً ما قد ابتداء المد يا عماء
قال نعم ويظهر من آثار الريد المرسومة على هذه الصخور ان المياه ترفع
عادة نحو غير اقدام



فشافني هدو البحر الى الاغتسال ففعلت (صفحة ١٤٤)

قلت في الواقع هذا امر عجيب

قال لا بل طبيعي بحت

قلت قل ما شئت يا عماه فاني ارى هذا الامر عجيباً حتى اني لا أكاد
اصدق عيني فبالله هل خطر ببال عاقل وجود اوقيانوس حقيقي في جوف الارض
له ما للاوقيانوس الذي على سطحها من مد وجزر وريح وعواصف
قال ولماذا لا يكون ذلك أيجاد سبب طبيعي يمنع من وجوده
قلت من يسلم بان مذهب الحرارة المركزية فاسد لا يستبعد ان يكون في

جوف الارض البحر وبلاد وجمال وواهاد وَاغوار وَانجاد
قال اجل ولكن غير مأهولة

قلت من اين لنا ان نحكم بذلك ونحن لم نستكشف حتى الان شيئاً يذكر
من هذه البلاد الجديدة بل من اين نعلم ان هذا البحر لا يشتمل على انواع من
الاسماك افترضت عن وجه الارض

قال ربما كان ذلك ولكن لحد الان لم نشاهد شيئاً من المخلوقات الحية
على الاطلاق

قلت في امكاننا ان نصطنع شباكاً للصيد او خيوطاً ذات صنابير واذ ذاك
تضع لنا حقيقة الامر

قال سوف نفعل ما تقول يا اكسيل اذ لا بد لنا من استكشاف اسرار هذا
العالم الجديد واستشفاف مكوناته

ومن سارت به للحرب خيل فخير من تهقره الولوج
ثم رجعنا الى الكهف ولما استقر بنا المقام قلت للاستاذ في اي نقطة نحن
اليوم من الارض فاني ما سألتك عن ذلك حتى الان وانت ولا بد عرفته
بواسطة الانك

قال نحن على عتق سبعة وسبعين ميلاً وعلى بعد سبعمائة وسبعة وسبعين
من ايسلاندا الى الجنوب الشرقي

فاخذت الخارطة وبعد ان التيت النظر عليها قلت اذن نحن الان
تحت ارض اسكوتسيا وجمال جريبان الشائعة التي لا تزال قمها الباسقة مكللة
بالثلج قائمة فوق رؤوسنا

فبسم الاسناد وقال نعم وهي حل ثقیل ولكن قبة المغارة متينة وقد بناها
مهندس الكون على دعائم قوية فلا تخف عليها من السقوط
قلت انا في راحة بال من هذا الثقل ولكن اخبرني هل تأتي لي الان

الرجوع الى ظاهر الارض

فنظر اليّ نظرة الاستغراب وقال ويحك يا اكسيل كنت اعذرك في مثل هذا السؤال قبل ان نصل الى ما وصلنا اليه اما وقد رأيت بعينك ما في القارة السادسة من العجائب التي لم تقبلّ لاحد سواك من الناس غير سكونوسيم فمالك ان تسأل هذا السؤال خصوصاً ونحن حتى الان لم نصادف مانعاً يمنعنا من التقدم فيما الذي يكرهنا على الرجوع

قلت لاشي سوى عدم وجود طريق نسلكها فان الشق الذي لولاه لم تبطن من الارض شيئاً واحداً انتهى بنا الى هذه المغارة وليس لنا سواه قال ما اعجلك بالحكم يا اكسيل فمن اين تعلم اننا لا نجد وراء هذا البحر في البر الثاني شقاً اخر ينتهي الى مركز الارض وهل ان العوامل الطبيعية التي احدثت ذلك الشق في الطبقة العليا من القشرة الارضية غير قادرة على احدث مثله في الطبقة السفلى منها على انك تعلم ان سكونوسيم سار قبلي على هذه الطريق وانتهى منها الى قلب الارض وانا ما دمت سائراً على اثره فلا بد لي من بلوغ المأمول قلت وما هو طول هذا البحر فيما نظن

قال سنعلم ذلك غداً اذا ركبنا ظهره

قلت اجل واين السفينة التي ستحملنا فاني لا اراها ولا اعلم أخبارية هي ام

شراعية

قال سفينتنا طوف قوي متين كافٍ لحملنا وحمل امتعتنا وهو ابسط السفن تركيباً وبعدها عن خطر الفرق وسوف يتضح لك انه على بساطة تركيبه وقرب ظهره من المياه افضل من سفن شركة اللويد المتساوية ان لم تقل افضل من غيرها

قلت أترع انك مدحناه يا عماء ولكن اين هو فاني ارى الميناء خلواً من كل انواع المراكب على الاطلاق

قال ألتست سمع صوتاً ما من وراء هذه الاكمة
فاصغيت قليلاً ثم قلت بلى فاني اسمع صوتاً بعيداً كصوت ضرب الفأس
على الخشب

قال هذا طرق مطرقة هنس وهو الان مشغول ببناء الطوف
قلت ومتى قطع الاشجار اللازمة لبنائه

قال الاشجار كانت مقطوعة بفعل الطبيعة من اجبال عديدة
ثم قال اتبعني وسار امامي نحو الاكمة التي اشار اليها وبعد مسير ميل
اشرفنا على فرضة صغيرة جميلة التكوين مخبوة عن الريح بصخور هائلة وكان
بجانبيها هنس مشغولاً ببناء الطوف وحوله من جذوع الاشجار ما يكفي لانشاء
عمارة بحرية تناظر عمارة انكلترا البحرية ولما دنوت اليه رأيت الطوف قد تم معظمه
وهو مبني من جذوع اشجار غريبة النوع مشدودة بعضها إلى البعض الآخر على
شكل باب

فبعد ان تأملت ذلك الخشب برهة سألت الاستاذ عن جنسه ونوعه
فقال بعضه من الصنوبر والارز والعرعر وبعضه من السرو والشربين وكلها
انواع من الفصيلة الصنوبرية التي تنبت في البلاد الشمالية وقد تنجرت بفعل
مياه البحر فصارت كما تراها والخشب الذي في هذه الحالة يدعوه العلماء خشباً حجرياً
قلت ان كان كذلك فهو كالقلم الحجري شديد الصلابة ولا يطفو على
وجه الماء

قال قد يكون ذلك فان بعض الخشب الحجري يتحول الى انتراسيت
حقيقي وبعضه يكون غير تام التحول كالخشب الذي امامك وهذا لا يزال ثقله
النوعي اخف من الماء فيطفو على وجهه

ثم اخذ قطعة من ذلك الخشب واثقاها في البحر قائلاً انظر بعينك فاستقلت
الخشب قليلاً ثم طفت على وجه الماء وصارت تتمايل مع الامواج بينما وشالاً

كأنها قرط خودٍ أو فماد شجرٍ لافى الحبيب والقلب رعديدٍ
وفي مساء اليوم التالي فرغ هنس من بناء الطوف وكان طوله عشرين قدماً
وعرضه خمسا وهو مؤلف من جذوع قوية مشدودة الى بعضها بجبال متينة
شدًا وثيقًا وله صارٍ واحد ودفة فاصطنعنا له قلعاً من اغطيتنا السفرية ودفعناه
في مساء ذلك اليوم الى البحر فطفنا على سطحه والبشر يلع في وجوهنا وكان
لنزل ذلك الطوف الى الماء مشهد عظيم لدينا اكبر من مشهد نزول المدرعة
الاولى التي اصطنعها الانسان ثم شددناها بجبل الى صخر من صخور الشاطئ
وتركناه لتلاعب به الامواج ورجعنا الى المبيت على عزم ركوب البحر في صباح
اليوم التالي الذي هو اليوم الخامس عشر من شهر اغسطس

ولما جاء الصباح اتينا الى المينا بامتعتنا وادواتنا وقلناها الى الطوف ثم
جلسنا بجانبها وكما قد ملأنا قربنا من جدول هنس ثم نشرنا الشراع واستلم
هنس الدفة وحللنا عروة المحبل الذي كان الطوف مشدوداً به فاندفع بنا على
سطح البحر سائراً سيراً لطيفاً غير بطيء ولا عنيف مر السحابة لا ريث ولا عجل
فالتفت اليّ الاستاذ وقال هل ركبت قبل الان ظهر سفينة اطوع اليك
من هذا الطوف يسير بامرك ويقف بامرك لا تتكلف له انتظاراً ولا تغرم له ثمن
تذكرة ولا تدخل تحت امرة ريان ولا يفرض عليك حجر صحي

قللت اما التذكرة والريان فكما نقول واما الحجر فاصعب ما يقاسيه المسافرين
فيه الاتعداد من العمران فبحن انن في حجر دائم

وقبل ان نخرج من المينا اراد الاستاذ ان يضع لها اسماً فعرض عليّ ان
يدعوها باسمي فقلت بل نسميها باسم ابنة عمي غريبة لانها كانت راغبة في هذه
الرحلة واثقة بنجاحها وهي التي شددت عزمي على مصاحبتك فمن العدل ان
يكون لها فيها ذكر هذا فضلاً عن ان مرفأ غريبة اجل منظراً في الاطلس
من مرفأ اكسيل كما انه اعذب في الفم واحلى في السمع فاقاد الاستاذ الى رأيي

وعلق اسم مرفاء غريبة على رفعة الاكتشافات
وريثا خرجنا من المينا تعرضنا للريح وكارت هبوبها من الشمال الغربي
فساقنا امامها وهي تكسعننا كسعا ولشدة كثافتها كانت تدفع الطوف بقوة عظيمة
فلم نسر مقدار ساعة حتى ابتعدنا عن الشاطئ مسافة اربعة اميال على ان
مسيرنا كان بدون عنف ولا انزعاج لان الطوف كان مارا بنا كالسهم على
خط مستقيم لا يميل يميناً ولا شمالاً ولم نلبث ان غابت جوانب البر عن
ابصارنا

وعند الظهر صادفنا جبالاً طويلة من الاشنة ممتدة على وجه الماء تدهش
البصر مجيها وتخير الفكر بهائها وعظم حجمها والاشنة نبات بحري شبيه بالظلم
ينبت احياناً على عمق ألف ومائتي قدم من سطح البحري تحت ضغط اربعة
جلد ثم ينمو حتى يبلغ سطح الماء ويمتد عليه شباكاً واشراكاً واذا تألف وتكاثف
منع السفن من المسير وكثيراً ما تقع السفن في اشراكه فلا تخلص منها الا بعد العناء
الشديد والجهد الجهميد على ان كل ماراه العلماء من الاشنة على ظاهر الارض
لا يذكر في جانب ما رأيناه منها في بحر ليدنبورك فاننا قد سائرنا بعض حبالها
مسافة ثلاثة او اربعة الاف قدم ولم نزل نخل تلك الحبال العجيبة وانا اتامل
في عظمتها وغريب نموها واقتكر فيما كانت عليه الارض في الايام الاولى ايام دولة
النبات اذ كانت الحرارة والرطوبة متسلطتين على وجهها بلا منازع الى ان جاء
المساء اي الوقت الذي تغيب فيه الشمس عن مدينة همبرج (اذ لم يكن في الحقيقة
عندنا لا مساء ولا صباح لان النور المنتشر في الهواء من الظواهر الكهربائية
الموجودة ثمة ثابت على حال واحدة) فتناولنا الطعام ثم اضطجعت بجانب الصاري
ونمت ملء جفني وتركت هدساً جالساً عند الدفة على ان سفيقتنا كانت في غنى
عن ربان يقودها لان الريح كانت تجري بما نشتهي فلم يكن لنا اولى من تركها لها



فاننا قد سابرنا بعض حبالها مسافة ثلثة او اربعة الاف قدم (صفحة ١٥٠)

الفصل الثالث والعشرون

بعد ان قمنا من مرفأ غربية وانساب بنا الطوف على وجه المياه انسياب
الافعوان متجهاً الى حيث تشتبي الرياح وتنزع اهواء الاهوية اقبل الاستاذ بوجهه
عليّ وقال تعلم يا اكسيل اني منذ ولجنا فوهة بركان اسديفل لم اغادر من الحوادث
شاردة الا سطرتمها ولا آبدةً الا قيدتها في دفتر المحوِّطات ليكون تذكرة لنا عند
الحاجة كما قبل

العلم صيد والكتابة قيده قيد صبودك بالبحال الواثقه

فمن المحاجة ان تصيد غزالة وتفتتها بين الخلائق طالقه
ولكننا الان في مجرّم الغرائب كثير الحوادث والعجائب وربما تفضي بي
كثرتها الى اغفال بعضها او تسيني رعاية الطوف شيئاً فارى للوصول الى
الحقيقة ان ينظر اليها ببصرين ويبحث عن مكوناتها بفكرين عملاً يقول الشاعر
العربي

اجمع لرأيك رأي غيرك واستشر فالرأي لا يخفى على شخصين -
المراء مرآة تراه وجهه ويرى قفاه يجمع مرآتين
فانا لذلك اشير عليك باتخاذ دفتر مخصوص لاثبات جميع ما يقع لنا من
الحوادث التي تستحق الذكر في اثناء سفرتنا البحرية وكل ما يتعلق بها سواء كان
من قبيل الاكتشافات العلمية او التغيرات الجوية فاستحسنتم ما قال واخذت على
نفسي ان لا ادع من الوقائع صغيرة ولا كبيرة الا علقته في دفترى فاقصر في
الحديث الان على سرد تلك الاسطر اليومية كما هي بدون تصرف ولا تعديل
خوفاً من الوقوع في الزيادة او النقصان لاني قد كتبتها بيدي تحت تأثير الحوادث
في حال وقوعها على اني اضرب صفحاً عما يتعلق منها باليوم الاول اذ قد سبق
الكلام عنه بالاسهاب

يوم السبت وهو السادس عشر من شهر اغسطس
الرياح ريج الجرياء - مسير الطوف سريع وهو يجري الى الجنوب الشرقي
على خط مستقيم - لا شيء في الافق سوى السماء والماء - النور باق على
حاله - الطقس جيد اعني ان الغيوم مرتفعة جداً قليلة الكثافة وهي بيضاء
كالثلج او اللجين المذاب

الترمومتر على الدرجة الثانية والثلاثين
عند الظهر اخذ هنس فدره من اللحم وانشبهها في صنارة والى الخيط في الماء
فمضت حصة من النهار بدون ان يعلق بها شيء حتى كدنا نجزم بمخلو بحر

ليدبروك من السمك ثم اضطرب الحيط اضطراباً عنيفاً فجذبه هنس اليه وإذا
بطرفه سمكة شبيهة بالخيارى تتنفض قوياً

كانها يد منفلوج عراه شجاً وراعه الذعر وإنتاجه حماه

فاخذها الأستاذ بكلتا يديه وضمها الى صدره خوفاً من ان تفلت

ولما وقع نظري عليها قلت اهلاً وسهلاً بملكة المخدرات الجرية وسيدة
الطائفة الخييارية صاحبة الوجه البيهي والطعم الشهي لقد اطلت الهيرضاً
بالوصال واكثرت من التعزز والدلال علماً منك بما خصك به ذو الجلال من
الحسن والجمال واللطف والكمال على انك قد نزلت على قوم يعرفون قدرك
وعلو شأنك ولا يجهلون فضلك على اقرانك يعتقدون عليك الخناصر وبعضون
عليك بالنواجد ويسكنونك القلوب وانت احب اليهم من يوسف الى يعقوب

فتبسم الاسناد لهذا الكلام وقد علم ان نفسي سئمت اللحم القديد ثم تأمل
السمكة برهة وقال لقد اخطأت يا اكسيل ولم تعرف نزيلنا حق المعرفة فان هذه
السمكة رأسها مسطح يستدير وجسمها مغطى بصفائح عظيمة وفوها خالٍ من
الاسنان وهي بدون ذنب ولها زعانف كبيرة في صدرها فهي والخيارى من فصيلة
واحدة الا ان كلا منهما نوع قائم بنفسه وبين النوعين بون جوهري في التكوين
من وجوه عديدة

فدققت النظر اذ ذاك في تلك السمكة الغريبة وعرفت ان عي مصيب في
قوله ثم اردف كلامه قائلاً هذه السمكة قد اقترض نوعها عن وجه الارض قبل
ظهور الانسان بالوف الوف من السنين وقد وجد العلماء دقاتها في الصخور
الديفونية

فاخذني الطرب لوقوع تلك السمكة العزيزة النوال في قبضة يدنا ثم سألت
الأستاذ عن اصلها وفصلها فقال هي من نوع المنجحات من فصيلة المسطحات
الرؤوس من رتبة الجمانويد اي ذوات الحراشف الالامعة ولكنها تختلف عن

نوعها في شيء واحد

قلت وما هو

قال هي عذبة العينين كغالب الاسماك التي تحت وجه الارض
فحققت النظر فيها واذا هي كما قال الاستاذ وفي بقية النهار اصطدنا نيقاً
وعشرين سمكة بعضها من النوع المذكور وبعضها من نوع غريب لم يعرفه الاستاذ
الا انه ينطوي تحت فصيلة الديتيريداي ذوات الجناحين وكلها عذبة العينين
فسررنا بذلك الصيد سروراً عظيماً لانه زاد في زادنا وتنوع به ماكلنا على ان
الصيد حالة الاصطياد احب الى الانسان منه حينما يقدم في الزاد

ولرب نزاعٍ لامر راقه منه البداية لم يرقه المنتهى

ثم جلست اتأمل في تلك الاسماك الغريبة التي بادت واقرضت عن وجه
البسيطة من اجيال عديدة واخذت افكر في التغيرات التي طرأت على الارض
منذ كانت كتلة ملتصقة الى ان صارت صالحة لسكنى الانسان فاتسع بي المجال
وشطحت في وادي الخيال فانتقلت على جناح الافكار الى العصر الماضية ايام كانت
الارض ماهولة بحيوانات هائلة تزيد اضعافاً مضاعفة في القوة والحجم على ما يقار بها
شكلاً وتكويناً من حيوانات هذا الدور فتجلت لي عرائس الكائنات وانجلت
امامي اسرار الموجودات ونظرت اليها بنظار التعقل في مرصد التأمل فرأيت
تلك السلاحف القديمة سائرة على وجه الماء وهي كالجرائد ومن حولها الضباب
البحرية على اختلاف انواعها ثم مرت امام عيني ذوات الاثنية البرية من
الليتوتيريوم الذي عثر العلماء على بقاياه في مغائر البرازيل باميركا حتى الميريكوتيريوم
الذي وجدت دفاينة في اقاصي انحاء سيبيريا المتجمدة على حدود القطب الشمالي ورأيت
اللوفودن رابضاً وراء الصخور يترصد فرصة للفتك بالانوبلوتيريوم حيوان عجيب
التركيب غريب التكوين يحاكي في بعض اعضائه الفرس والكركدن وفي البعض
الاخر فرس النهر والجمل فكأن في الخالق جل جلاله بعد ان فرغ من خلقه الحيوانات

مفصلة الى انواع اراد ان يجعل لها فذلك اجمالية اشارة الى اتمام العلية
ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
ثم رأيت الموت الجبار يضرب بحرطومه الاشجار فيسحقها سحقاً ويطعن بانيابه
الصخور فيدقها دقاً والمجاثير يوم يزق ادم الارض ببرائته وله زئير هائل يذعر
الجن في مساكنها والبروتوبتيك وهو الفرد الاول الذي ظهر على وجه الارض
يتسلق الاشجار الباسقة فراراً من وجه الضواري التي تطلب افتراسه ثم رفعت
نظري الى السماء فرأيت تلك الزحافات المنجحة الغربية التخلق الهائلة المنظر المعروفة
بالبيرو دكتيل سابجة في الهواء الكثيف وهي كالطير في رؤوسها وطول اعناقها
وكالخنفاش في اجتماعها وذوات الاندية في ابدانها واذا بها ولها اسنان محددة
تناهز الستين وخصاصها زائدة في الطول مغطاة بغشاء كجناح الخفاش ومعنى
بيرو دكتيل المنجحة الاصابع وهي على انواع بعضها اكبر من النعامة باربعة
اضعاف او خمسة وقد عثر العلماء على دفائنها في طبقات الصخور البيضية وهي
الرتبة الثانية من رتب الصخور المتوسطة الحياة ثم رأيت في اعلى السحاب طيوراً
اعظم من تلك حجماً واشد بأساً تخترق الغيوم كالسهام الطائشة حتى اذا بلغت
اعلى الجواثنت راجعة على اعقابها وانقضت على الارض انقراض الصاعقة
ياحميل العنقاء وهي هباء حيث تبدو هذي الطيور الهوائيل
قد اضعفت الزمان في غير معنى واطلت الجداول من غير طائل
فهي ما انصرفت اعظم بأساً قد يكون الصحيح قول الاوائل
وبعد ان وقفت برهة اتأمل في عظمة تلك الحيوانات التي جمع العلماء
هياكلها من اقطار العالم الاربعة واعادوا بناءها كما كانت توغل في ظلمات
الماضي طائراً على جناح الافكار ماراً بكل درجات السلم الحيواني من اعلاها الى
ادناها فشرت ما طوى الجديدان في الاكفان من انواع الحيوان منذ ابتداء الزمان
ثم طويت الاجيال والدهور والادوار والعصور فاضحلت من امام عيني ذوات



وبعد ان وقفت برهةً اناأمل في عظمة تلك الحيوانات (صفحة ١٥٥)

الاندية ثم الطيور ثم الزحافات ثم الاسماك ثم الاصداف والابواق ثم الحيوانات
الشبيهة بالنبات فسرحت طرقي على وجه البسيطة وهي اذ ذاك على حال واحدة
من الحرارة والرطوبة في كل الفصول والمناطق فلم ار الا جزائر شاخصة واخرى
غائرة والماء بين مد وجزر واندفاع وانقشاع واليابسة بين نخوص وخسوف
وانخفاض وارتفاع وهي قدر يلقع ليس فيها من يرى ولا من يسمع ثم توغلت ايضاً
في القدم ممياً وجهة الازل فرأيت الارض مغمورة بالمياه وهي تغلي غليان القدر
على النار والبخار يتصاعد كثيفاً من كل جوانبها وقد ملاء الجلد وما لبثت ان

تحولت باجمعها الى بخار ملتهب منير كالشمس التي انفصلت منها ثم انتقلت بسرعة
الفكر الى الشمس انا وهي اكبر من ابتها الارض بالف الف ومائتي الف ضعف
ومتوسط بعدها عنا على اختلاف الفصول ٩١٤٣ ٠٠٠ ميل مسافة لا يقطعها
النور الا في ظرف ثنائي دقائق وبضع عشرة ثانية على اني قطعتها باقل من
لحظة عين

هذا وما زلت نائمًا في قفار الصورات غائصًا في بحار الافكار اقطع فدائد
المباحث واجول في مبادي العقولات تطاردني الفكر وإطاردها مشتتًا من وهاد
الاهام الى جبال الخيال ومن اغوار الظنون الى رواابي اليقين حتى ذهلت عن
عالم المحسوسات ونسيت نفسي وعي وهنسا والطوف ولما رأي الاستاذ متغير الوجه
كمن غاب رشده او ضاع عقله ناداني باسمي قائلاً مالي اراك يا اكسيل تائه
الفكر مذهولاً احذر من ان تسقط في البئر ولكنني لم اسمع ولم اجب وكنت انظر
اليه ولا اراه وما انتهت لنفسي وعدت لحسي الا لما جذني هنس بعنف نحوه
وكنت على وشك السقوط فافقت من غفلي ورأيت عي قلقًا مضطرب البال
فقال لي مالك يا اكسيل ماذا جرى لك

قلت اخذني الذهول برهة وقد زال الان بالكلية ولكن كيف الرج

ومسير الطوف

قال الرج لم تزل في غاية المناوبة كما ترى والطوف سائر بسرعة الطير وان
صدفتي ظني واستمرت الرج على حالها حتى الغد فلا نظر الا ونحن على البر الاخر
وكانت قد جأت الساعة السادسة من المساء فانكأنا لمناولة الطعام ثم
اضطجعنا للنوم بعد ان قبض هنس راتبه الاسبوعي عند اقضاء الساعة السادسة
على الكمال والتمام



الفصل الرابع والعشرون

يوم الاحد وهو السابع عشر من الشهر

لم يزل البحر هادئاً والريج على حالها على ان الغيوم ابعد مما كانت عليه في
اليوم السابق ونطاق البصر اوسع ومع ذلك لم يزل البر محجوباً عن نظرنا وراه
الافق

ارى عي واحماً يكاد يميز من الغليظ نارة ينظر ابي جوانب الافق بمنظاره
وطوراً يدمدم بكلام غير مفهوم

يهنم كالذي يلو رفاه ليخضر جنة وقت الدجّة

وينظر للسما بعين مقتّر كأن به معاذ الله جنّه

ولما رآه على تلك الحال قلت له بصوت المشفق ما لي اراك يا عمه ضيق

الصدر كن قد البصر

فاجاب بنفور وكيف لا اعدم الصبر ومجرنا لا اخرلة

قلت لا موجب فبا ارى للتشكي فان الريج مناسبة جداً والطوف سائر

بنا بسرعة الطير وعندنا من الزاد شي لا كثير

قال لست اشكو بقاء السير بل طول البحر لان كل الوقت الذي

نصرفه على ظهره ذاهب سدى وكل مسير على طريق غير متخذة احسبه من هذا

القبيل

وهنا حططنا في المساء رحالنا لدى الجباب الثاني فهل ذاك نافع

اذا المركز الارضي عز طريقه علينا فكل الجهد والمجد ضائع

قلت كيف يضيع جهدنا وجدنا ونحن على اثر سكنوسيم

قال هنا محل الريب فهل نحن حقيقة على اثر سكنوسيم وهل صادف

سكنوسيم هذا البحر واجاراه او خاتنا الجدول الذي اتخذناه دليلاً وعدل بنا عن

الطريق المؤدية الى قلب الارض

قلت مها يكن من الامر فلا يحق لنا ان تدمير لان هذه المناظر الجميلة
تغل الانظار وهاته النسائم العليقة تعال الافكار
أفلا ترى الامواج ترقص نحننا والريح تتبع ذاك بالتصفيق
والجو يسيم عن ثنايا مزنة جذلاً ويضحك عن وميض بروق
قال بس يا اكسيل فاني ما عمدت الى هذه الرحلة طلباً للترفة والفرجة
ولكني قصدت امرأ ولست ارضى عنه بدلاً فدعني اذن من المناظر الجميلة
والقيمة والنسائم العليقة والصحبة وذرفني من تصفيق الرياح ورقص الامواج
ولا تشغل سمعي بمقالاتك الخيالية وتصوراتك الشعرية
فامسكت عن الكلام وقد علمت ان عي عاد الى ما كان عليه من العنف
والخشونة الجيول عليها وما كان لينه في الايام الاخيرة ورفقه بي عن تغير في طباعه
ولكن عن المصائب التي توات علي وكادت تنقذني الحياة
يوم الاثنين وهو الثامن عشر من الشهر
الجو باق على حاله غير ان الهواء ابرد من ذي قبل
لم يزل البصر مختصراً بين السماء والماء فارداد بحر ليدنبوك عظمة في اعيننا
حتى صرنا نفيسه بالمحيط الثلاثيني او على الاقل بالبحر المتوسط
قبيل الظهر اخذ الاستاذ معولاً من أكبر المعاول الحديدية التي استصحبناها
وربطه بجمل طويل والقاه في البحر ليسبر غوره فلم يبلغ الفعر فوصل الجبل باخر
وهذا بغيره حتى صار المعول على عمق ثلاثمائة وخمسين متراً ومع ذلك لم يصل
الى القرار فعلمنا ان ذاك انه بعيد المنال لا يفيد في الوصول اليه موصولات الجبال
وشرعنا في رفع المعول فلم تيسر لنا ذلك الا بعد عنه شديد ولما صار على سطح
الطوف اراني هنس عليه اثرا نياپ منطبعة على الحديد كما تنطبع الصورة على
الهيمن فاقشعر بدني وتثني ودققت النظر في ذلك الاثر فبين لي منه ان
الانياپ مخروطة الشكل كاسنان التماسح وعلمت من فعلها ذلك الفعل المائل

في الحديد انها ليست الا انياب ضب من الضباب القديمة التي اقرضت عن
وجه الارض قبل العصر التاريخي وهي اشد الحيوانات القديمة بأساً وانفواها بنية
وكم من غرائب خفيت عن الانسان وهو فيما يزعم اغرب الحيوان

الى متى الانسان لا يرعوي عن الهادي في جهالاته
يرى وجود الخلق من اجله والكون مخلوقاً لمرضاته
وهو كليل العزم وهي القوى مستضعف الهمة في ذاته
وبعض ما يرميه بالضعف قد يعجز حتماً عن مياراته

وتذكرت وفيها ما قرأته عن هذه الضباب من ان بعض العلماء عد في ثم
واحد منها الثين واثنين وسبعين سنًا فاشتد خوفي وازداد قلقي واما الاستاذ فبعد
ان انعم النظر في حديد المعول اخذ يستشف حجج الجريمة وشمالاً فعلت انه
موافق لنا في رأينا فلعلت في سري ذلك الفكر الذي جاءه بالسير وقلت ماذا ضره
لو ترك ذلك الحيوان ساكناً في مريضة فاذا برز الان من تحت المياه وهم علينا
أفلا يحطم الطوف بانيابه خطاً ويدق رقابنا دقاً ثم اخذت انتقد الاسلحة وفي
اعتقادي انها لا تقني من الدفاع شيئاً بالنسبة لهذا الحيوان الهائل كما قيل
وما هزة المذبح تجدي وأنا حلاوة روح الشخص تلجيه للدفع
فراقي الاستاذ على ذلك واوما برأسه استحسنانا

وفي ذاك الوقت رأيت المياه في اضطراب فعلت ان الخطر قريب وبينما
نحن نرصد جوانب الطواف واذا بصدمة عنيفة اصابت من حيث لا ندرى فدفعته
بنا الى بعد الثلاثين متراً وقد ارتفع عن سطح الماء الى علو يضع اقدام فعرانا من
الوجل ما عظم وجل ولما اتبهننا من الذهول الذي استولى علينا ابصرنا على
قيد غلوة منا حيواناً هائل الحجم ضارب اللون الى السواد يرتفع مرة ويهبط اخرى
والماء تضطرب من حوله اضطراباً عظيماً

كان البحر مملوء سفينة نسابق بعضها عند القتال



وإذا بصدمة عينة أصابه من حيث لا يدري (صفحة ١٦٠)

فقال الأستاذ هذا خنزير بحر لم أر في حياتي خنزيراً يقاربه في عظم الحجنة
فقلت وها بجانبه تمساحاً هائلاً فاغراً فاه اعوذ بالله من هذه الاسنان
التي هي اقوى من الرحي

فقال اي وابلك ولا عجب اذا طحن بها الحديد
ثم قال ها قد انضم اليهما حيوان ثالث وهو الحوت ألا ترى كيف يضرب
الحجر بزغانه الشديدة وكيف يندفع الماء والهواء من خياشمه الى علوشاق
ولما رأينا تلك الحيوانات الهائلة اخذتنا الدهشة وعما الاضطراب ووقفنا

مذهولين ثم اشرت الى هنس بان يتعد عنها لان اضعف واحد منها قادر على ابتلاعنا باستعنا ونحطيم طوفنا بضربة واحدة من انيابه غير اني ابصرت في ذلك الوقت حيوانات اخرى مقبلة علينا من الجانب الاخر ليست دون الاولى قوة ولا اقل منها خطراً فتبينتها واذا هي سلخفاة يبلغ عرض ظهرها اربعين قدماً او اكثر ورجة هائلة لا ينقص طول القسم الظاهر منها فوق الماء عن عشرة امتار وهي تلعب برأسها يميناً وشمالاً بما يوهن القوى ويضعف العزائم وعلائم الشر بادية بين عينيها

فشر مقبل يملوه شر يفوت العمر منه ولا يفوت
غيت لمن له بصر وسع يرى هذا البلاء ولا يموت

فلما رأينا تلك الهياميت ونحن بينها كالمعصم احاط به السوار واخذ عظه عليه التقصير قطعنا الرجاء من الفرار وندمنا حيث لا ينفع الندم وقد استولى علينا اليأس والوجل وابتنا بجلول الاجل ثم اخذت تلك الحيوانات تحوت علينا دائرة حول الطوف كالخطيف وهي تضيق دائرة حوثانها مقترة مناشيتاً فشيئاً وفي ذلك الوقت اخفنت كل الحيوانات التي كما رأيناها في بادئ الامر الا التمساح والحبة وكانا يدوران حولنا ولا يجتمعان كأنما توافقا على ان يمسكا علينا المرصد ويسدا في وجوهنا جميع المهرب وقد اشتدت علينا الازمة وتعذر علينا الخلاص وعلما انه لات حين مناص فاخذنا البنادق بايدينا استعداداً للدفاع عن ارواحنا ولكن هيهات ان يفعل الرصاص في تلك الاعداء المدرعة بجراش كالقنولاد وجلود كالحديد وبينما نحن في ذلك المقام الحرج والمركز الخطر واذا بذنيك الحيوانين الهائلين قد التقيا على بعد مائة خطوة من الطوف فكشرا عن قواطع لامعة تضارع انياب الفيل ونواجز قاطعة تنجز العمر الطويل فقلت

عسى الله يلقي في الاعادي خصومة فتشغل عنا اذ يشب لظاها
ولا فاناً هالكون ضرورة وابن قوانا من عظيم قواها



فاهتز البحر لاصطدامها وشب الماء من بينهما مزيداً (صفحة ١٦٤)

وما فرغت من الدعاء حتى اقتض كل منها على الآخر فاهتز البحر
 لاصطدامها وشب الماء من بينهما مزيداً واخذ في عراك وقتال تشيب من هوله
 الاطفال فاشرت لهنس بانتهاز تلك الفرصة للفرار ولكن الاستاذ ابي الا انتظار
 على بعد غلوة من محل القتال لتوقوف على نتيجة
 وفي ذلك الوقت رأيت الحيوانات الاولى التي كانت اخفت برهة مشتبكة
 معها في العراك وهي تظهر مرة وتنفى اخرى فأريتها لهنس فاوماء برأسه ان لا
 وابدى اصبعين من اصابعه بمعنى ان القتال بين اثنين فقط

فقلت كيف ذلك الا ترى الخنزير والحوت والسحفاة

فقال الاستاذ وكان المنظار بيده دقق النظر يا اكسيل فان هنساً مصيب في قوله لان احد هذين الحيوانين له خطم خنزير البحر واسنان التمساح ورأس الضب وزعانف الحوت وهو الايكتيوزوروس او الضب السمكي والآخر هو البليزيوزوروس وهو عدو الاول الالد ويمتاز عنه بصغر رأسه وطول عنقه وهو يشبه الضب في رأسه والتمساح في اسنانه والسحفاة في قوائمه ودرعه العظمي والمحرباة في اضلاعه والحبة في عنقه

وبعد ذلك اعطاني المنظار فانعمت النظر في الحيوانين اللذين ذكرها وإذا ها كما قال وكلاهما من الحيوانات التي انقرضت وبادت عن وجه الارض قبل ظهور الانسان يالف جيل ففرقت مندهشاً من شدة بأسها وقوة اعضائها وكان طول الحيوان الاول اى الايكتيوزوروس نحو مائة قدم وكل واحدة من عينيه بقدر رأس الرجل او اكبر وطول الحيوان الاخر لا يتقص عن ثمانين قدماً

ولم يزل في عراك وحدام وعناق وضام واقدام واحجام وهجوم ودفاع وهبوط وارتفاع وصي بصم الآذان وزئير تقشعر منه الابدان وها تارة يقتربان من الطوف وطوراً يبتعدان مقدار ساعة بل ساعتين من الزمان حتى صار البحر بلون الارجوان ثم غاصا في لبح البحر وها متعاقبان وبعدان غابا عن ابصارنا بضع ثوان عاد البليزيوزوروس الى سطح الماء مجرداً من درعه العظمي وفي جنبه جرح بليغ فقال واخذ يتقلب على سطح البحر ويضرب الماء بعنقه ذات اليمين وذات الشمال والدم يندفق من جراحه مندفعاً الى بعد بضعة امتار كأنه نبع فوار ولم يزل يجنبط اخنباط النزاع مقدار بضع دقائق وبعد ذلك ضعفت حركته وقلت قوته ثم فارقه الحياة فطفت جثته على وجه الماء كأنها جثة مارد من مرده الجان وبعد حصة من الزمن سكن اضطراب المياه وعاد البحر كما كان كم شدة ضاق عنها الذرع وانفجرت وموقف بعد فرط الضيق تسع

وبعد ذلك اطلق هنس للطوف العنان خوفاً من ان يعود الايكتيوزوروس
من تحت الماء وليس من يشغله عنا فيتفرغ لنا وقد ظهر لنا من شدة بطشه ما
جعلنا تقطع بعدم قدرتنا على مغالبته وكانت الريح شديدة فلم يكن كحل عقل
حتى خرجنا من دائرة الخطر وصرنا في محل الامان



الفصل الخامس والعشرون

يوم الثلاثاء وهو التاسع عشر من الشهر

ما برزت غرة الصبح نلوطرة الدجى كالياًس يملؤه الرجا الا وبيننا وبين
محل الواقعة فراخ وامبال ومسافات طوال وكان قد طال علينا المطال وثقل
علينا الترحال فعاود عني الضجر والملال وما كنت لاشتبهى زوالها بثل حوادث
اليوم الفائت

فج السامة في ظل الامان ولا حسن التسلي ما نوع من الوجل

يوم الاربعاء وهو العشرون من الشهر

الهواء حار والريح غير ثابتة على حال ومعدل سرعة مسير الطوف ثمانية
امبال ونصف ميل في الساعة

عند الظهر سمعنا دويًا بعيداً مستمراً فاثبت الامر في هذا الدفتر غير عالم

بمخيفته

ولما سمعنا الاستاذ قال هذا صوت اصطدام الامواج بمجزيرة او صخر عظيم
قام في وسط الماء فصعد هنس في الحال الى اعلى الصاري واخذ يستكشف
جوانب الافق فلم ير شيئاً ما ذكر الاستاذ وبعد ان سرنا مسافة ثلاث ساعات
ازداد الصوت قوةً ووضوحاً وظهر لي انه صوت سقوط الماء من شلال بعيد
فاخذ مني القلق كل مأخذ وقلت ان صح ذلك فهذه مطقة الرضف والطامة
التي لا ينفع معها اسف ومن قال اننا نركب الاخطار ونجود من المضار

ومن يتخذ ارض الافاعي محبة فلا بد ما تدنو اليه الاراف
ثم قلت للاستاذ طالما ناقت نفسك يا عماه الى طريق عمودية تعريك من
مركز الارض فيها قد اناك الامر كما تريد
قال ماذا تعني بذلك

قلت ما هذا الصوت الذي نسمعه الا هدير شلال عظيم ينتهي اليه بحر
ليدنبروك باجمعه

قال حبذا لو صح ظنك يا اكسيل ولكنه بعيد الاحتمال بل مستحيل
فعميت من كلامه ووقفت انظر اليه وانا حائر في امره ثم قلت في نفسي لعله
قطع الامل من نباح رحلته فسئم الحياة وصار يؤثر الهلاك على الرجوع بدون
بلوغ بغيته فدنوت منه وقد اخذتني الشفقة عليه وقلت له بتلطف احالنا
نقضي بالياس يا عماه حتى انك صرت تشتهي الهلاك

قال ماذا حملك على هذا الظن وابن الهلاك الذي تشير اليه
قلت اما تمنيت ان يكون هذا الصوت هدير شلال تنتهي اليه المياه اني
نحن عليها

قال اي تمنيت ذلك وما زلت اتمناه
قلت وهل بعد سقوطنا من امل بالنجاة
قال رحم الله القائل

وما الخوف الا ما تخوفه الفتى ولا أمن الا ما رآه الفتى أمنا
اعلم يا اكسيل ان السقوط من علو عشر اقدام على الارض اليابسة لاشد
خطرا من السقوط مع مياه شلال تصب في حوض بعيد التعر ولو كان علوه بضعة
الوف من اقدام لان الصدمة العنيفة التي يصادفها الانسان اذا سقط على
اليابسة من علو عشر اقدام ربما كانت كافية لان تكون عليه القاضية واما اذا
سقط مع مياه شلال في حوض بعيد التعر فلا يقف جسمه مرة واحدة عند

بلوغه ماء المحوض بل يستمر على النزول تابعاً مجرى مياه الشلال في قلب المحوض
بحيث يزول فعل السقطة شيئاً فشيئاً حتى يتلاشى بالمرة ويعود الجسم الى ثقله
الطبيعي

فاخذني العجب من هذا المذهب وبقيت انظر الى الاستاذ نظرة المرتاب
في صحة رأيه فاردف كلامه قائلاً اما رأيت رفاصي الجبال يمدون شباباً كأنهم
على علو بضع اقدام من الارض حتى اذا سقط احد منهم في اثناء اللعب يعود
الى حبله وما به من ضرر
قلت بلى

قال الناموس الطبيعي واحد في هذا وذاك ولو كان الهدير الذي نسمعه
صوت شلال كما ظننت لكنت اقول لك ستنتفخ من صدق قولي بالامتحان
ولكن الامر بخلاف وهذه الزجاجاة ثبت لك ذلك

قال هذا والتي زجاجة فارغة في الماء فبقيت حيث الفاها فقال لو كان
هذا الجبر ينتهي الى شلال قريب لكانت المياه تجري اليه بسرعة مع ما عليها والحال
ان الزجاجاة بقيت في المحل الذي اتيناها فيه

فاتقنعت بهذا البرهان وإطمان بالي لا اعتقادي بعدم وجود شلال لا تصديقاً
بالمذهب الفاسد الذي ذهب اليه الاستاذ من عدم وجود خطر كبير في السقوط
غير اني بقيت مشغول الفكر في امر الصوت الذي كما نسمعه لاني لم ارفيه ادنى
شبه بصوت اصطدام الامواج بالصخور ثم قلت لعله شلال يصب من سقف
المغارة او من احد جوانبها في بحر ليدبروك واخذت احدق بصري الى السماء
والافق فلم ار شيئاً سوى الغيوم

وعند ذلك اعلى هنس الصاري واجال الطرف في الافق ثم وقف متفرساً
في نقطة منه فقال عي اظن ان هنساً رأى شيئاً وما اتم كلامه حتى نزل هنس
واشار بيده الى الجهة التي كانت ندفعنا اليها الرج وقال : هناك

فاخذ الاستاذ المنظار بيده ووجهه الى المحل الذي اشار اليه الدليل وبعد دقيقة قال هذه فوارة يندفع منها الماء صعداً فوق الامواج ثم يسقط على البحر فيحدث الصوت الذي نسمعه

فقلت ما هذا الاحيان جديد من الحيوانات القديمة

تمر مصيبة ونحيب اخرى وترحل غمة وتمل غمة
كأن الحزن مكتوب علينا فلا نرتاح يوماً من مله

قال ما ذلك بعيد

فقلت لمنس حول الدفة اذن بينة اوش لا لاننا قد رأينا شيئاً من هول تلك الحيوانات

فقال الاستاذ بل استمر سائر امع المرح لتكون على بينة من الامر
قلت اننا لم نج من ذبك الحيوانات الا بعد اللتيا والتي فكيف نخاطر بانفسنا الى التقدم نحو هذا الحيوان المربع

كيف لا نترك الطريق لسبل ضيق عن اتيه كل واد
غير ان هنساً امثل امر الاستاذ وارسل للطوف العنان في طلب الحوت الذي نرجح عندنا وجوده وكان ذلك منا ضرباً من الجنون لاننا لو حكمنا على عظم ذلك الحيوان من مقدار الماء الذي يدفعه من خياشبه عند التنفس لعلمنا اننا باحثون على حنفنا بظلفنا ولكن

اذا اعتاد الفتي خوض المنايا فاهون ما يبره الحول
ولم نزل المرح تكسنا ذاهبة بنا الى الجهة المطلوبة والهدير يزداد قوة شيئاً فشيئاً حتى الساعة السادسة من المساء فرأينا نفسنا على بعد خمسة اميال من الحيوان الموهوم وشاهدناه متداً على سطح البحر كأنه جزيرة والماء يندفع من رأسه الى علو الف وخمسائة قدم حتى اذا بلغ اعالى السحاب اتشركا لفة في السماء وسقط على البحر مطراً وبعد تدقيق النظر تبين لي ان طولها لا يتقص عن

الف وثلاثمائة متر وهو ثابت على سطح البحر تصدمه الأمواج ولا تؤثر فيه فعاودني
الخوف عند ذلك وأردت أن أكره هنساً على تحويل الطوف عن محل الخطر
أأدنو إلى موتتي طائعاً والقي بنفسي إلى التهلكة

فاخذني الأستاذ من ذراعي وقال لي وهو تبسم ما بالك بما أكسبك قد
قدت الشجاعة وأين البأس الذي أعهدك فيك

قلت ما الشجاعة في مثل هذه الساعة الأجنون محض وما أنا ينفع البأس إذا
وقعنا بين فكي هذا الهموت الذي لا تشبعة مائة حوت في اليوم على أن
الشجاعة لا تكون إلا حيث يهد لها الفكر موضعاً كما قبل

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول ولها المحل الثاني

فضحك الأستاذ وقال إذا كان هذا الهموت لا يشبعة مائة حوت يجب
أن نكون مطمئن البال لأننا لسنا بالنسبة إلا كالبرغوث بالنسبة للإنسان فلا
يكسبه أكلنا لحماً ولا شحمًا ولا نسنه ولا نغنيه من جوع ولذلك لا يكلف نفسه
عناء ابتلاعنا

فحييت من برودة عي وهزله في المنام الذي كنا فيه واخذتني حدة الغيظ
نأردت أن استلم الدفة من يد هنس بالعنف والقوة وإنا به قد تبسم وقال
جزيرة

فاستغرب الأستاذ في الضحك حتى استلقى على قفاه وسال لعبابه على ذقنه
إما أنا فبعد أن أعدت النظر في الجسم الذي ألقى أفكارنا قلت وأي شيء هو
ذن هذا الماء الذي ينبعث إلى أعلى الجو

قال هنس هذا غير

فاضاف الأستاذ قائلاً نعم غير كالغياسر العديدة التي في جزيرة أيسلاندا
بهت من الخجل إذ وجدت حيث لا وجل وحسبت الجزيرة حيواناً مجرباً وحاولت
نكار الحقيقة برهة ولكنني اضطررت أخيراً إلى الاعتراف بخطائي



فجئناها من حيث لا نخشي سقوط الماء علينا (صفحة ١٧١)

وأما الغيسر فهو ينبوع حار يندفق منه الماء الى علو شاهق في نوب معلومة
والكلمة ايسلاندية الاصل تقابلها في العربية كلمة فوارة او شبابة وقد يسبق
هيجان الغيسر دمدمة اشد من هزيم الرعد ثم يندفع الماء متقطعاً مغشى بحجاب
كثيف من البخار ثم يهيج برهة ويهيج اخرى وقد يتفرع من العمود الاصيل اجزاء
تفاوت قوة وبعداً فكأنها مظلات او قباب قائمة فوق بعضها تناطح اعلاها القبة
الزرقاء واذا انتشع عنها البخار ظهرت للناظرين افلاماً فضية تدهش البصر
بكثرتها وبهائها

ولما صرنا على قيد غلوة من الجزيرة امر الاستاذ هنساً بالدنو منها فجبناها من حيث لا نخشى سقوط الماء علينا وما كاد الطوف يلاصقها الا وقد وثبت عليها وتبعني الاستاذ واما الدليل فاقام على سطح الطوف لقله اكثراته بناظر الغياس التي لا يحصى عددها في وطنه اما الصخر الذي وقفنا عليه فخليط من الصوان والسليكا وهو حام رنان فكنا نسير عليه كأننا نسير على خلقين غاصة بالتخار الحار ولما بلغنا نصفه اشرفنا على حوض صغير محيط بالفوهة التي يندفع منها الماء وكانت المياه الحارة تندفق من جوانبه سائرة الى كل الجهات كالاشعة فالتفت الترمومتر في احد مجاريها فارفع زئبقه الى الدرجة المائة والثالثة والثلاثين ثبت لي ان تلك المياه صادرة من محل ملتهب فاطلعت الاستاذ على تلك النتيجة لعلي انها تناقض مذهبه فاجابني بحجة قائلاً اي برهان تستج من ذلك وهل اجهل انا اودعني ان على وجه الارض ينابيع حارة كهذا فليتخذها اذن اصحابك سلاحاً لدخض مذهبنا

فامسكت عن المباحثة خوفاً من لسان عني لاني رأيت غير مائل اليها على اني كنت معتقداً بانه لا بد لنا من ان نقف يوماً ما عن التقدم في جوف الارض بسبب الحرارة الداخلية وقلت ان لم يصدق حساب العلماء على الطريق التي سلكناها حتى اليوم فذلك لاحوال خصوصية في التربة لا لفساد مذهبهم وبعد ان وقفنا برهة نراقب فعل الغيسر في نويه المختلفة عين الاستاذ موقفة في رفعة الاكتشافات فكان على بعد ستائة وخمسة وسبعين ميلاً من فرضة غربية الى الجنوب الشرقي ثم دعاه باسي وبعد ذلك عدنا الى الطوف واستأنفنا السير مع الريح تاركين غيسر اكسيل وراء ظهورنا

الفصل السادس والعشرون

يوم الخميس وهو الحادي والعشرون من الشهر

قبل الساعة السادسة من الصباح استيقظت من نومي فلم اسمع للغير صوتاً مع ان الريح كانت تأتينا من جهته فعلت ان سرعة مسير الطوف كانت في ذلك الليل اشد مما في اليوم الفائت

ثم نظرت الى الجو واذا هو مغبر الوجه مكهره

كمدين هوى اليه غريم او بخيل حلت به ضيفان

او سكارى تجهوا ذا وفار او وقور بدا له سكران

وابصرت في الافق الجنوبي غيوماً من النوع المعروف بالأمم متراكمة فوق بعضها كأنها بالات قطن ملقاة على سطح البحر بدون نظام ولا ترتيب وهي ثقيلة معتمة اللون تشعر بتغير الطقس وقدم المطر فجعلت اراقب حركاتها واتشارها البطيء ثم سكنت الريح وهدهاء البحر وثل الهواء فوق الطوف عن المسير وقد تدلى قلعه ولما رأيت تلك الدلائل المندرة بقرب النوء نهيت عمي اليها فاطهر عدم الاعتقاد بصدقها وبعد قليل تبدل الجو بسحاب حرق ثم اخذت الغيوم التي فوق رؤوسنا تنخفض شيئاً فشيئاً ونطاق البصر يضيق بالتدريج حتى اسود وجه السماء واظلمت جوانب الافق وكنت اشعر بفعل الكهرباء في جسي حتى كان يخيل لي اني لو لمست شخصاً لاتنفذ جسمه واشعر بدنه كمن يلمس سلكاً مكهرباً ولا عجب فانا كنا في عالم الكهرباء

عالم تدهش البصائر فيه وتبحر النهى وتعشو العيون

وعند ذلك قلت للاستاذ ان كنت تظن هذا البرق خللاً وهذا الغيم

جهماً فاني على غير هذا الرأي

فالامر اوضح من ان يستراب به والشمس تكبر عن اتيان برهان

ومها يكن من الامر فلا بأس من الاخذ باسباب الاخياط فاسألك

ان نسمع بطي القلع اذ لا فائدة منه والريح ساكنة ونجشى ضره اذا جأت العاصفة
فوثب الاستاذ من محله عند سماعه هذه الكلمات واجاب بجدة لا والذي
بيده الموت والحياة لا يزال القلع منشوراً حتى اصل الى البر او اطوى في جوف
هذا البحر واني لعالم حق العلم بان الريح ستهب عما قليل شديدة وتضرب ضوفنا
بجناحها فيطير بنا الى حيث لا ندري ومن المحتمل ان ينحطم على صخر من الصخور
او ينشب في كثيب من الرمال ولكن معاناة النصب على امل بلوغ الارب خير
من الدعة بلا منفعة واني لارضى بركوب جميع الاخطار وتحمل انواع المضار
اذا كان ذلك يقرب يوم وصولي الى البر

ولم يفرغ عني من كلامه الا وقد تغير منظر الافق الجنوبي دفعة واحدة
وذلك ان ابخرته الملبدة تحولت الى ماء فانهل على البحر مطراً بجيساً فجرت الريح
من اقصى اطراف المغارة لتشغل الفراغ الذي حدث من سقوط المطر واشتد
الظلام حتى لم يعد في وسعي قراءة هذه الحروف التي ارسمها على الورق
وقطب البحر وجهاً كله عقد ودل الافق منه النور بالظلم

وفي الوقت نفسه ارتفعت الامواج وتضاربت فهب بنا الطوف حتى خلته
ذهب في لمح البصر ثم ارتفع على جبل من المياه ودفعته الريح بعنف شديد فانطرحت
بجانب الصاري واستمسكت بجبل متين خوفاً من السقوط وفعل الاستاذ كفعلي
واما هنس فبقي واقفاً في مكانه كأنه والطوف قطعة واحدة وكانت الريح تلعب
بشعره المرسل والنور الكهربائي ينبعث من ذوائبه اشعة ساطعة كأن كل
واحدة منها مشعل متقد

لو ادعى ان هذا النور معجزة هنس لصدقه بعض من الامم
وكذلك كانت رؤوس الامواج منيرة وكانت تشتعل اشتعالاً عند
الاصطدام حتى خيل لنا اننا سائرون في فوهة جبل ناري على بحر من المواد
البركانية الملتهبه واما سرعة مسيرنا فكانت فائتة الحد لا تقع تحت قياس ولا



والنور الكهربائي ينبعث من ذواته اشعة ساطعة (صفحة ١٧٢)

تعديل وكان القلع منتفخاً كأنه زق ملأ والصاري مخنياً مع الريح الى الامام
حتى خشبت على الاول من الشق وعلى الثاني من الكسر فاعزت الى هنس ان
يطوي القلع فمنعه الاستاذ من ذلك

وبعد قليل تكشف البرق فكان الدنيا اشتعلت وانزل الويل فكان
ميازيب السماء انفتحت فلم نعد نرى الاناراً محرقة وصواعق مبرقة تمزق كبد
السماء كل ممزق ولا نسمع الا هزيز الريح وهزيم الرعد ودوي المطر وهدير الامواج
والطوف طائر بنا الى حيث لا نعلم ولا نرى

وطينا الامور لمن يراها والقبينا الاعنة للقضاء

يوم الجمعة وهو الثاني والعشرون من الشهر

قضينا ليلاً طويلاً شديداً الهول عظيم الخطر لم بغض لنا فيه جنن حتى الصباح اما الارب فقد خفت سورة العواصف قليلاً فامكنتي تعليق هذه الاسطر بيد مرتجفة

لم يكن الاكمل فقال حتى عاد النوء الى ما كان عليه من الشدة استغفر الله بل زاد على ما كان عليه قبل هذه الفترة ... لم يعد في وسعي الكتابة يوم السبت وهو الثالث والعشرون من الشهر

نؤ مستمر ودوي مسند ومردد متصل وبرق متواصل وصواعق متتابعة فأذاتنا دامية من قوة هذه الاصوات انني بلغت الحد الاقصى من الشدة ولم نعد نسمع صوت كلامنا

فكأنما حق العذاب ويومنا يوم العذاب وهذه احواله

عند الظهر اشتدت الريح فصارت تمر الامواج فوق رؤوسنا وكان قد انهكنا التعب وضعفت قوتنا من شدة النصب وخشينا ان نستط في الماء ولم يبق لنا ثقة باستمرار الاتقاء فشددنا نفوسنا انا وعي الى احد جنود الطوف بجبل متين وكذلك فعلنا بادوات السفر والامتعة واما هنس فبقينا واقفاً في محله عند الدقة ينظر الى اضطراب البحر واشتداد النوء نظرة الاحتقار لا يراني قلبه فزع لا ولا يهتز من وجل

فكأنه نبتون اله البحار

وفي ذاك الوقت مال الاستاذ نحوي ووضع فاه علي اذني وقال بعض كلمات باعلى صوته فلم اسمع منها شيئاً فلما رأى ان لا سبيل الى المكالمه عمد الى الاشارة فعلمت انه يريد ان يقول انه لم يبق لنا امل في النجاة فكتبت على ظهر احد الصناديق التي يجاني هذه الكلمات (فلنطو القلم) فالتى الاستاذ



ووفقت بهرة امام وجهه كأنها تنفوس فيه (صفحة ١٧٧)

نظره عليها وقبل ان يبدي جوابا ما سقطت كرة نارية على الصاري فقطعته
نصفين وطار النصف الاعلى مع القلع في السماء كأنه طير من البتير وكتيل
التي شاهدها في رؤياي وفي اقل من لحظة عيني غاب عن ابصارنا وراء الغيوم
المظلمة واما الكرة النارية فاخذت تدور حول الطوف وفوقه ونحن نراقب
حركاتها وسكانها بقلوب واجفة ونفوس جازعة ثم اخذت تتجول بيننا كأنها
ملك الموت يبحث على من جاء في طلب روحه فصعدت اولاً على ساق الصاري
ثم سقطت على جعبة الزاد ولم تلبث ان سقطت على سطح الطوف ثم اتجهت

نحو صندوق البارود وعند ذلك راغت منا الابصار وبلغت القلوب الحناجر
واشد بنا القلق حتى وقت ضربات قلوبنا خوفاً وامسكنا عن التنفس جزعاً
وارتباغاً لاننا اقمنا بالهلاك

فان تلك قد مرت علينا بخاوف ويات واثيننا على ذلك الينـ
فما كل وقت نثق هلكاته وما كل حين يسلم لنا من حينـ
ولكن الكرة بعد ان صارت على قيد رتب من الصندوق ازورت عنه
وسارت نحو هنس ووقفت برهة امام وجهه كأنها تفرس فيه ثم اردت نحو
الاستاذ فمال من وجهها فتجاوزته اليّ واخذت تدور حول رجلي فاردت ان
اقلها من محلها فلم اتمكن من ذلك لان تلك الكرة النارية التي ليست الا جماً
كهربائياً كانت قد اكسبت كل الحديد الذي على الطوف قوة المغنطيس وكانت
رجلي مرتكزة على قطعة منه مسمرة بالخشب فعلقت بها مسامير النعل على اني
لما رأيت الكرة قد اتجهت اخيراً نحو رجلي على خط مستقيم جذبها بكل قوتي
فخلصت ولم تنكشف قطعة الحديد حتى جأت عليها الكرة ثم انفجرت بفتة
فكان الف سهم نازي اشتعلت دفعة واحدة فحمدت الله على نجائي من هذا
الحادث العم والمخطب الجلل وبعد دقيقة لم يبق من تلك الكرة النارية الا
رائحة غاز البتروس التي كادت تخفقنا وفي ذاك الوقت نظرت الى عمي فراه
سلماً ثم نظرت الى هنس فراه لم يزل متصباً امام الدفة وهو يصق من فمه
ناراً ذات لميب لكثرة ما في جوفه من الكهرباء على ان الحالة التي كان فيها
لم تنس ان ذلك اليوم يوم سبت ولم يشغله الخطر المحدث به عن طلب راتبه
الاسبوعي عند حلول اجل الدفع

وما ينفع الدينار والخوف محدث بروح النفي والفائلات نحوطة
يوم الاحد وهو الرابع والعشرون من الشهر
عند الصبح اقبلت من غشة طويلة وكان النوء لم يزل شديداً والبرق يسطع

في السماء متعرجاً كالحيات وكان الطوف طائراً بنا بسرعة البرق وكنا على يقين
من أننا في الأيام الثلاثة الأخيرة تجاوزنا حدود انكلترا وقطعنا بحر المنش وأرض
فرنسا بل ربما تجاوزنا حدود أوروبا...

اسمع صوتاً جديداً لا عهد لي به قبل الآن وما هو الا صوت اصطدام
الأمواج على الصخور...
ان صح ذلك فالهلاك قريب...



الفصل السابع والعشرون

هنا طرحت من يدي دفتر الملاحظات وعدت الى سرد الحديث كاسابق فاقول
بعد ان سمعنا صوت اصطدام الأمواج على الصخور لم نلبث ان دفعتنا الأمواج
نحوها لانفعالها بشدة الريح فتحطم طوفنا عليها وسقطنا في المياه مع ادواتنا وامتعنا
وهناك تغلغ الفلوب من الردى فرقاً ويبدو الخنف نصب الاعين
ولولا ان هنسا اتسلني من بينها وانا غائب عن الهدى لتمزق جسي عليها حتما
وشربت كأس الخنف دهاقاً

ولما فتحت عيني وجدت نفسي متطرحاً على رمال الشاطئ بجانب عي
وتفتدت هنساً فرأيت يغالب الأمواج وهو ينازعها بقايا الطوف وصناديق
الذخائر والامتنعة فحييت من شدة بأسه وفرط مرؤته وآليت على نفسي ان
رجعت الى ظاهر الارض سالماً ان اعترف على رؤوس الاشهاد ان الفضل
كل الفضل في نجاح الرحلة لهذا الرجل الذي قلما جاد الزمان بمثله وها انا
أفي الان بهذا العهد عملاً بما قيل

ما عشت فبادر الى الجميل وحاذر من ان تنلقى بد الجميل بكفران
والحسن فاشكروهم بحق ثناء فاشكر قليل على الرقي باحسان
وكان المطر في تلك الساعة يهبل بأشد من الاول دلالة على قرب زوال

النوء وقدوم الصحو فاخذني الاستاذ بيدي وشارني الى اكمة مؤلفة من صخور
متراكمة فوق بعضها فاقمنا في نفق هناك لا بصينا المطر ولا السيل وبعد قليل
جاء الدليل وقدم لنا شيئاً من الزاد الذي انتزعه من قم الجرف فلم امدد اليه بدءاً
لشدة ما بي من النصب والنعاس بل اضطجعت للرقاد

والنوم سلطان مراسمه تلقى على العين والرأس
فلم يستقر رأسي على الوسادة حتى غرقت في بحر عبق من الكرى لاني كنت
قد هجرت الوسن منذ ثلاثة ايام كاملة وما استيقظت من نومي الا قرب الظهر
من اليوم التالي وكان قد انكف المطر وسكنت الريح وهدأ البحر وصفا الجو
وانتفع الضباب عن وجه الماء وارتفع الغيم الى اعلي السماء وريثاً ابصرني الاستاذ
جالساً اقبل نحوي يتمايل طرباً وقال بوجه باس اهتاك بالسلامة يا اكسيل
كيف كانت ليلتك وكيف اصبحت

قلت نمت نوماً هنيئاً ولكني لم ازل ارى نفسي متزعجاً
قال ذلك تأثير الانعاب التي فاسيتها في الايام الثلاثة الاخيرة ايام النوء
وسيزول قريباً من نفسه

ثم توجهنا نحو محل الغرف لتتقد الآلات والادوات والذخائر وكنا نخشى
من ان يكون ابتلعها البحر باجمعها غير اننا بوصولنا الى الشاطئ رأينا هنساً واقفاً
بين عدد عظيم من الصناديق والادوات فاطمأنت نفوسنا اذ ايقنا ان خسائرننا
طفيفة ان كان ثم خسارة

على انفسنا فزنا بارواحنا وقد سلمنا وبعد الروح لاشيء يذكر
وكان ذلك الرجل الشديد النخوة قد احبب الليل ونحن راقدون في مغالبة
الامواج ومقاومة الانواء وتخيم الانعاب حتى تسنى له جمع شتات الامتعة والذخائر
مع انه كان احوج منا الى الراحة لكونه قضى الايام الثلاثة السابقة منتصباً على
قدميه امام الدفة لم يستقر له جنب ولم يغمض له جفن

هكذا فلتكُ الرجال والا فعلى سائر الرجال العفاء

فتقدم اليه الاستاذ اذ ذاك واعتنقه بفرح شديد وشكر لث علو همة شكراً
جزيلاً وبعد ذلك اخذنا نتقّد الصناديق واحداً فواحداً ونصعد الامتعة شيئاً
فشيئاً فنبين لنا ان الالات العلمية وهي اهم الجميع في نظر الاستاذ لم يقدر منها
شيء وكذلك صناديق الزاد كانت اكثرها سليمة واما الاسلحة فلم ينج منها الا كثير
ولا قليل الا ان صناديق البارود والقطن البارودي نجت باجمعها بعد ان
كادت تطير بنا في اثناء العاصفة حين سقوط الكرة النارية على الطوف
ما تذكرت ذلك الهول الا وعراني انتفاضة واضطراب

وبعد ان فرغنا من ذلك البحث الذي جاءت نتيجته فوق ما كنا نتخى
كرّر الاستاذ لهنس عبارات الشكر والالح عليه بان ياخذ لنفسه قليلاً من الراحة
ثم اخذني بيدي وسار بي الى رأس عال فجلسنا هناك على صخر متدل فوق
البحر وبعد ان تناولنا شيئاً من اللحم القديد والقمط وشربنا قليلاً من الشاي قلت
للاستاذ قل لي يا عمه في اي نقطة نحن الان من الكرة الارضية

قال لا يمكنني ان اعين النقطة التي نحن فيها بالضبط والدقيق بل على وجه
التقريب فقط لان سرعة مسيرنا في ايام العواصف والانواء لا تقع تحت قياس صحيح
قلت قل على وجه التقريب

قال متوسط سرعة مسيرنا بعد قيامنا من جزيرة الفيسراعي جزيرة
أكسيل لم يكن اقل من ثلاثمائة ميل في اليوم فالمسافة التي بيننا وبين تلك
الجزيرة اعدنا انن بالالف وخمسمائة ميل وقد كنا ونحن في تلك الجزيرة على بعد
الف واربعائة واثنين وخمسين ميلاً من ايسلاندا الى الجنوب الشرقي فنكون
الان منها على بعد ثلاثة الاف ميل تقريباً

قلت انن نحن الان تحت البحر المتوسط

قال نعم وقد صح ما كتبه من ان بحر ليدنبروك ليس دون البحر المذكور

عظة وإنساناً على أننا لا نعلم أنقطعناه طولاً أم عرضاً لأنه في هذه الحالة
الآخرة يكون أكبر من البحر المتوسط

وبعد أن بقينا ساعة نحدث في أمر الرحلة والطريق التي نتبعها قال
لي الأستاذ قم هنا الآن نستكشف هذه الأرض التي دفعتنا اليها الريح لعلنا نجد
منها الطريق التي سار عليها سكتوسيم فنستأنف المسير نحو مركز الأرض في الغد
فلت والرجوع متى يكون وعلى أي طريق

قال لا يكون الرجوع إلا بعد الوصول فإن كنت ترغب في سرعة الإياب
فاجهد النفس في تسهيل سبل الذهاب وأما الطريق التي سنعود عليها فاضنها
غير التي اتينا منها ومع ذلك فقد أوعزت الباردة إلى هنس من قبيل الاحياط
أن يهتم في تصليح الطوف قبل الانتقال من هذه الدمار حتى إذا لم نجد طريقاً
للرجوع غير التي سلكتها يمكننا استخدامه ثانية لقطع بحر ليدنبوك أياً ما
فلت أتؤمل حقيقة ما عناه أن نجد طريقة إلى ظاهر الأرض غير التي
اتينا منها

قال لي الأمل الوطيد بأن نصادف طريقاً كثيرة لا طريقاً واحدة تنتهي كل
منها إلى فوهة بركان من البراكين العديدة المنتشرة على سطح الأرض
ثم أخذنا تمشي الهوينا مبشرين بكبد البر متفكرين في الحصول على الوصول
والتزوع إلى الرجوع وما أعدته لنا الليالي من الكوارث وما عسى يتظرنا
من الحوادث

وكل مخبوء فلا بد أن يكشفه المستقبل المقبل

والدهر لا يبقى على حاله لا بد ما يدبر أو يقبل

أما التربة التي كنا نسير عليها فرسوبية وهي مكسوة بالابواق والأصداف
من كل الأنواع وأكثرها من أنواع انقرضت عن وجه الأرض ولم يبق منها
إلا بعض أحافير مخبرة تتفاخر بها الأنيكحانات الشهيرة ورأيت بين تلك الابواق

صفايح سلاحف لا ينقص عرض بعضها عن خمس عشرة قدماً
 فمن مبلغ أهل الماحف اثنا نعد الوفاً من صنوف اللطائف
 ونخطو عليها بالتغال كأرب ذاً مباح فلم ينكسر بعرف المعارف
 وشاهدت على الأرض كثيراً من الحصى الأملس فعلت أن ذلك البركان
 مغوراً بمياه البحر في العصر الخالية وفضلاً عن ذلك رأيت على رؤوس الصخور
 الشاهقة اثراً تويد هذا الحكم فحملتني هذه الاكتشافات على البحث في كيفية
 تكوين ذلك البحر في جوف الأرض فقلت لا بد أنه حدث بين هذه المغارة
 والأوقيانوس لسبب من الأسباب شق انتها منه المياه فملأتها ثم اسد ذلك الشق
 لسبب آخر وصارت المياه التي في قلب المغارة تذهب في قلب الأرض شيئاً فشيئاً
 بالامتصاص وبعضها بطير بخاراً ويصاعد من بعض المنافذ الى سطح الأرض
 حتى انكشف البحر عن قسم من الأراضي التي كان يغمرها في الأيام الماضية وحكت
 بأنه سيستمر على التناقص شيئاً فشيئاً حتى ينضب ماؤه ويتكشف قعره
 انكشافاً تاماً

ولم نزل نتقدم في ذلك البر الفسح وأنا اتفكر في تقلبات الزمان وتغيرات
 الاحوال والاستاذ لا يرى غاراً الا استقصاه ولا نفقاً الا استقره ولا نفرة الا استكشفها
 ولا حفرة الا استشرفها ولا كهفاً الا استطلعه ولا شقاً الا سار معه املاً في
 اكتشاف اثر يرشدنا الى الطريق الذي سلكه سكتوسيم فبحبه حتى انتهينا بعد
 مسير ساعة الى بقعة متسعة تبلغ مساحتها اربعة اميال مربعة ارضها مكسوة بعظام
 هائلة بقايا حيوانات بائدة من التي عاشت على وجه البسيطة قبل الطوفان
 كالمتودنت ذي الاسنان الحلبية والدينوتيريوم اكبر الحيوانات الارضية
 والسبوانتيريوم الذي وجد رأسه في جبال سيواليك ببلاد الهند ولم نزل
 نبحث العلماء حتى الآن على بقية هيكله والانتلوسوروس اكبر الضباب المعروفة
 والبروتوسوروس الذي يشغل اثر منسجه من الأرض يرداً مريعاً والهدروسوروس



بل تاريخ الحياة الحيوانية قبل الدور التاريخي (صفحة ١٨٢)

الذي يشي متصبا على قدميه كالإنسان ويزيد عنه في الطول ستة أضعاف الى
غير ذلك من الحيوانات العجيبة التي كانت تأهل الارض في قديم الزمان
مضت وبقاياها الشواخص عندنا نعد وتحصى في عداد الغرائب
وباربا ثاني خلائق بعدنا يعدونها من امهات العجائب
فاخذتنا الدهشة اذ ذاك ووقفنا برهة حائمين مهوئين امام تلك الجبانة
العظيمة جبانة الحيوانات القديمة بل تاريخ الحياة الحيوانية قبل الدور التاريخي
ثم دخلناها وقد عملت فينا رغبة الاستكشاف وشغلتنا الافكار التي كانت فتمتلج

في ضمائرنا عن الكلام فاحفظنا نسير صامتين لا نسمع الا قصص العظام التي كانت
تطأها نعالنا وكنت انا مل تلك الاحافير بقايا اسلافنا الذين ورثنا الارض
عنهم باحترام بالمطالعة بعض الخوف ولسان حالي يتمثل بقول المعري
خفف الوطء ما اظن اديم الا رض الامن هذه الاجساد
اما الاستاذ فكان يضطرب اضطراباً شديداً كالنجيل اذا وجد كنزاً ثميناً او
العالم المشغوف بالمطالعة اذا اعيدت مكتبة الاسكندرية الى عالم الوجود واقم
عليها اميناً

وبينا نحن سائرون فوق هاته العظام العظام مخطلين تلك الهياكل الهوائل
التي تستوقف بغرابتها النعام الجافل حانت مني التفاتة الى اليمين فابصرت
على قيد رح مني جثة انسان كاملة محفوظة من البلى فوثبت نحوها وصرخت
صرخة استلفتت نظر الاستاذ اليها ففعل كفعلي بل انطرح عليها كأنها جثة
فقيد عزيز لديه

وكانت تلك الجثة سمراء البشرة كأنها موميا مصرية ولا شك انه مضى عليها
في تلك الارض مئات الوف من السنين وما بقيت محفوظة على حالها الالوجودها
في تربة توفرت فيها الشروط اللازمة لحفظ الاجسام من البلى كترية جبانة
القديس ميخائيل في مدينة بوردو بفرنسا فلا يحتاج بقاء الجسم فيها لان يدخل
في عالم التصير او يكون من القديسين المشاهير وقد كنت حسبتها في بادئ
 الامر حالما وقع نظري عليها ورأيت شعرها الكثيف واظافرها المستطيلة التي تثبت
ان صاحبها قضى حياته في حالة الوحش النام انها جثة ذلك الحيوان المتوسط
بين الفرد والانسان صاحب تلك الحلقة التي لم تزل مفقودة من حلقات السلسلة
الحيوانية لا جثة انسان مثلنا اما الاستاذ فعرفها من اول نظرة انها جثة انسان
حقيقي لا يختلف عنا بشيء في التركيب

وكان بجانب تلك الجثة آلات عديدة صوانية كنفوس ومطارق وسكاكين



وهي مع ذلك لا تبلغ من الطول ست اقدام (صفحة ١٨٦)

وشي لا كثير من عظام الحيوانات التي ابادها برد العصر الجليدي وهي محطومة
بتلك الآلات خطما متشابهة متناسبا بحيث لم يبق عندنا شك في ان اليد التي
ضربت بها يد انسان عاقل اراد استخراج مخفيها والاغذاء به وبعد ان بقي الاستاذ
برهة يتأمل تلك البقايا قال لي اعلم يا اكسيل انك قد كشفت الغطاء بهذا
الاكتشاف عن حقيقتين لم نز الا حتى الان موضوعا للبحث والمجدال بين اشهر
علماء العالم اما الاولى فوجود الانسان على الارض قبل الدور الجليدي خلافا
للقائلين بمجدانة عهده والثانية بقاء جثته من حيث الكبر والصغر على ما كانت

عليه في القدم حتى ايامنا هذه

ثم اوقف الجنة واسندھا الى صخر قريب وقال لا شك في ان هذه الجنة
اقدم ما وجدہ العلماء من بقايا اجدادنا حتى الان وهي مع ذلك لا تبلغ من الطول
ست اقدام فاين هي من هياكل الجبابرة التي ولدتها الالهام

قتل ابن آدم كم يزيغ فواده فيرى امورا قط لن تنصورا

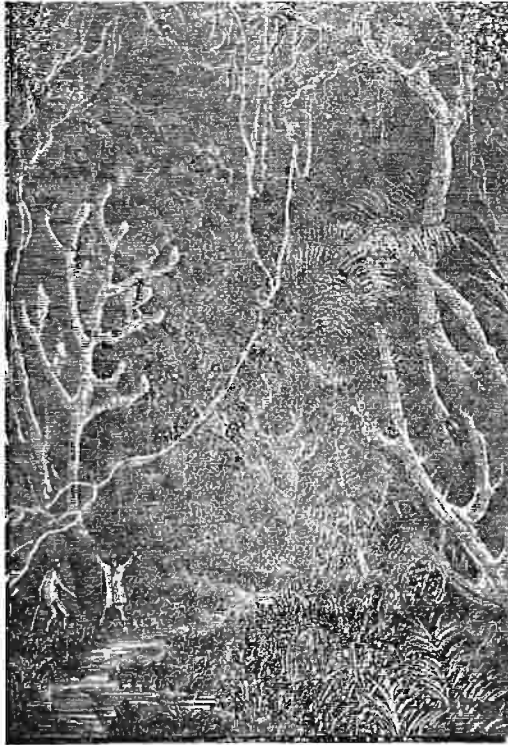
والحق بادى اللانام وانما يحتاج صاحبه لان يتفكرا

وكت موافقا لعمى على هذا الرأي قيل اكتشاف تلك الحجة الدامغة فلم
أكن لاختلافه بعدها على اني اعلم ان الدور الحجري لم يخل من الجبابرة كما ان
دورنا الحديدي لا يخلو منها وقد قال العلامة يفون المحقق ان رجلاً يدعى
هنر باربلغ من الطول احدى عشر قدماً اي اكثر من ثلاثة امتار ونصف فاي
شي يمنع من ان يكون الدور الحجري اوجد جبابرة كهذا او اعظم منه

ثم وقفنا تأمل في كيفية وجود تلك الجنة في جوف الارض على ذلك العنق
أعاش صاحبها حيث وجدناها ام ذهبت بها القشرة الارضية اثر خسوف عراها
سؤال وضعناه ولم نستطع عليه جواباً

الفصل الثامن والعشرون

ما اجمعنا عن محال الجنة قيد غلوة حتى اشرطنا على غيضة عظيمة لا
يدرك البصر منتهاها وهي ذات اشجار باسقة تناطح رؤوسها السحاب تتخللها جداول
كثيرة تبه النظر في مجاريها وبضل البصر بين المقبل والمدير منها فوقفنا
دقيقة نسرح الطرف في آكامها وبرايرها وتساءل عن ظواهرها وخوافيها وعما
عسى ان نصادفه في فيافيها من عجائب المخلوقات وغرائب الكائنات وكانت
قد مضت الساعة السادسة من المساء وجاء وقت العشاء الا ان الغرائب التي
تجلت لنا متوالية واحدة بعد واحدة اهلتنا عن التعب والمجوع وانستنا حلول



ولما دخلناها خلناها روضة من رياض الجنة (صفحة ١٨٧)

زمن الرجوع فانحدروا من الرابية التي كنا عليها فاصدين تلك الغبضة الباهرة
ولما دخلناها خلناها روضة من رياض الجنة لولا ان شجرها بلا ثمر ونباتها اغبر
اقترا كالورق البالي اذا ذهب لونه

اما النبات القائم فيها فانواع واجناس وقد ميزت منها المحور والمين
والنخل والبلوط والحجوز والصنوبر والسرو والعرعر والسرخس والتنوب وجملة
انواع من الفصيلة البقلية كما فرط ونحوه وعلمت من اخلاط نباتات المنطقة
الحارة فيها بالخاص بالمنطقة الباردة ان تلك البقعة هي على ما كانت عليه

حالة الارض في دورها الثالث من الادوار الجيولوجية الاربعة ثم حدثت نفسي قائلًا اذا كان الامر كذلك فلماذا لا تكون هذه الارض مأهولة بالحيوانات التي عاشت في ذلك الدور وأي شيء يمنع من وجودها وقد اعدت لها الطبيعة ماكلها ومشربها

وبينما انا اردد الفكر في جائز هذه الامور ومنوعها واسرح الطرف بين اغصان الاشجار وجذوعها لاح لعيني شبح بعيد فامسكت عن الحركة موجسًا خيفة واوقفت عي عن التقدم ثم دفقت النظر في ذلك الخيال فرأيت بل خيل لي اني ارى ما لم يخطر لي قط ببال ولا ازال انكر وجوده حتى الآن رجل حي يبلغ من الطول اربعة امتار يسوق امامه عرجلة من الافيال فارتعدت فرائصي فرقا وطارت نفسي شعاعًا حتى كاد الدم يجهد في عروقي اما عي فحالما وقع نظره على تلك الحيوانات الهائلة اراد ان يقصدها كأنما هي صيد سهل التوال فجذبت من يده بعنف شديد قائلًا ماذا تفعل أأضعت الرشد ام ظننت هذه الحيوانات كثرعالب بـرية هبـرج ثم جررته فسار معي بدون ممانعة ولا معارضة وخرجت به من الغبضة ونحن نعدو عدو الخائف الوجـل كأننا فرسا رهان اذا ارسل لها العنان وما زلنا نركض حتى دخلنا ارض الحيانة وتوارينا وراء الكنتبان فانطرحنا هناك على الثرى وقد اعيانا التعب حتى اعجزنا عن الكلام وبعد ان سكن روغنا وهدأ جاشنا داخلنا الربـب في كون الذي رأيناه انسانًا حقيقيًا من الجبابرة الهائلة التي انكرنا على بعض العلماء الاعتقاد بوجودها في العصر الخالية وحكمنا بان ابصارنا اضلت بصائرنا او على الاقل ان ذلك الحيوان المتصـب على قدميه هو قرد من القرد القديمة من انواع البروتوبيتيك او الميزوبيتيك التي انقرضت عن وجه الارض وبعد ذلك اراد الاستاذ ان يعود الى الغبضة ليعتق النظر في ذلك الحيوان العجيب وكان يظهر لي انه خجلان من اتياده الى الفرار فبينت له وخامة ذلك الرأي لاسيما ونحن عزل ولم يقد لرأيي الا بعد



يسوق امامه عرجلة من الافعال (صفحة ١٨٨)

العناء الشديد والجهد الجهد

ثم قصدنا المحل الذي تركنا فيه هنساً ولكن طريق الاياب كانت غير
طريق الذهاب وقد اتضح لي ذلك من كثرة الكهوف والمغائر التي صادفناها
اذ ذاك وقد شاهدنا في تلك الكهوف هياكل بشرية كثيرة غير اننا لم نكتث
بها لان الحيوانات الحية التي صادفناها في القبضة كانت شاغلة افكارنا عن
كل شيء سواها

يطل التشبيب بالرسوم اذا بدت عين الحقائق نصب عين الرائي

جاز التيم حيث لا ماء وقد بطل التيم مع وجود الماء
 وبينما نحن سائرون تحت تأثير تلك الافكار توغلنا في طريق ضيقة مخفونة
 من المجانين بصخور شاهقة ثم انتهينا منها الى نقطة من الشاطئ غير النقطه
 المقصودة ولم ننبه لامرنا الا ونحن على باب سرداب مظلم يتخلل قلب تلك
 الصخور فخطونا فيه بضع خطوات بقصد استكشاف تكوينه فتبين لنا ان جدرانه
 الداخلية مطلية بالسوائل البركانية وعند ذلك صرخ الاستاذ قائلاً هذه هي
 الطريق التي جئت ابحث عنها هذه هي التي تذهب بنا الى مركز الارض الا ما
 ابركه من مساهم اخذ يتغل في ارض السرداب بمنه ويسره وهو يعيد النظر في
 جدرانه ويلسها بيديه ولوايح الفرع الشديد ظاهرة على وجهه

اذا اقبل التوفيق فالخير مقبل يحيى الفتى من حيث بدري ولا يدري
 اما انا فوقفت مرتاباً في صحبة رايه متردداً بين الشك واليقين وبعد قليل
 قال لي يجب علينا الان بااكسيل ان نعود الى حيث تركنا هنسا وفي الغد
 نرجع الى هذا المكان بادواتنا وانتعتنا فنستأنف المسير نحو مركز الارض بلا
 مهل فانا قد صرفنا في القارة السادسة زمناً طويلاً وقد تافت نفسي الى الحركة
 بعد طول السكون الا انه يجب علينا ان نتحقق النقطة التي نحن فيها الان
 لتلا نضل عنها في الغد

قال هذا وخرج من باب السرداب فخرجت ورائه وبينما نحن تتفرس في
 الصخور المجاورة رأيت فوق الباب رسم الحرفين الاولين من اسم ارن سكوسيم
 باللغة الايسلاندية وهذه صورتها

• 4.4 •

فاشعر بدني اذ ذاك وكنت حتى تلك الساعة باقياً في ريب من صدق
 الرقعة السرية فلم يبق بعد ذلك للريب من سبيل وايقنت ان ارن سكوسيم
 لم يقف عند فوهة بركان اسنيفل حيث وجدنا رسم اسمه كاملاً بل دخل خفية

في جوف الارض وسار على نفس الطريق التي سرنا عليها نحن فعظم حيثنر
ذلك الرجل في عيني حتى لم يعد لي جسارة على تكذيب خبر بلوغه مركز الكرة
الارضية مع ما هو عليه من المخالفة للقواعد العلمية

اما الاستاذ فلما رأى تلك الحروف كاد يجرها ساجداً ثم هتف مخاطباً
شخص سكنوسيم قائلاً حي الغيث ثراك ايها العالم العظيم انت الذي فتحت
للانسان سبيل الاطلاع على خفايا الكرة الارضية ومكوناتها وخططت له طريق
العلم باحوال الدهور الماضية وكائناتها ولم تكتم بالاشارة الى تلك الطريق
في رفعتك السرية الناطقة بفصلك وحكمتك بل تركت للذين يريدون اتقناه
انرك دليلاً من صنع يدك يقودهم عليها وهذا الدليل هو اسمك الذي قرأناه على
الصخور القائمة عند فوهة اسنبفل هو الذي نراه الان هو الذي سيرشدنا الى
طريقنا حيثما نجشئ اليه وسنراه في مركز الارض ايضاً مرسوماً على صفحات
صخورها النارية

وبعد ذلك انصرفنا الى المحل الذي نزلنا فيه ونحن نتحدث في امر تلك
الاكتشافات الغريبة التي وقفنا عليها في يومنا ونحمد الصدفة العجيبة التي ساقتنا
الى باب الشق نفسه الذي ولجه سكنوسيم

وفي صباح اليوم الثاني عدنا الى ذلك المكان على ظهر الطوف مستنصحين
بمنا جميع الأدوات والذخائر وكان قد احدث في ذلك الاكتشاف رغبة في
السفر لم اشعر بها من قبل وحال وصولنا شرعنا في الاستعداد للسفر قسمنا
الامتنعة الى اقسام ثلاثة لكل واحد منا قسم كما فعلنا يوم ودعنا ظاهر الارض
ثم اودعنا الطوف محلاً آميناً بمعزل عن الرياح والعواصف وشددناه بجبل متين
الى بعض الصخور وبعد ذلك تأبط كل منا قربة مملوءة من مياه المطر اخذناها
من القرب المحاورة ودخلنا السرداب على نور المصباح والبشر يلمع في وجوها

على اننا لم نخطُ الا عشرين خطوة حتى وصلنا الى صخر قائم في وجه الطريق

لا منفذ منه فوقفنا مختارين في امرنا ونحن لا نكاد نصدق إيجتنا شأن الرجل
 اذا سقط فجأة من عرش الأمل الى وهدة اليأس لا يجد لامرته تدبيراً ثم اخذنا
 نتجسس ارض السرداب ونعبد النظر في جدرانه على أمل ان نجد شقاً لنجيه ولكنها
 لم نجد الا التعب والعناء فاخذنا من الغبط ماخذاً عظيماً وكنت قد نسبت ابنة
 عمي وشغلت عن ذكرها برغبة الاسترقاء والاستكشاف فاستندت ظهري الى الحائط
 وقلت بصوت الآيس: اقضي علينا اذن بالرجوع الى ظاهر الارض قبل
 بلوغ مركزها

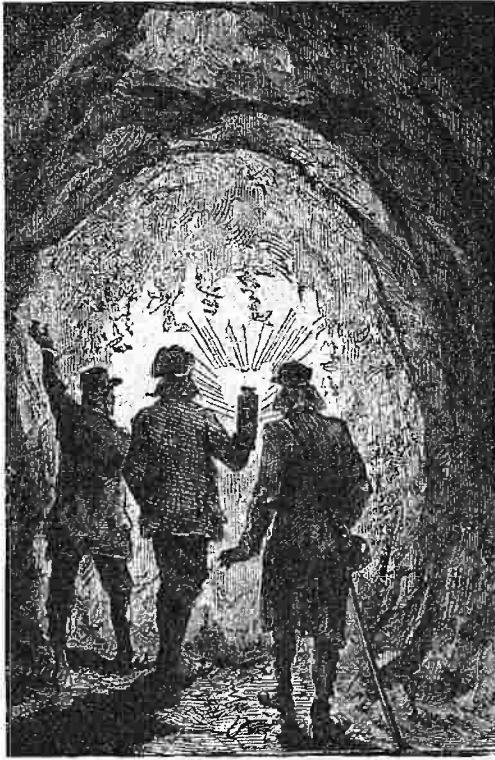
وكان الاستاذ لم يزل يتفرس في جوانب الصخر ويتأمل في سقف الدهليز
 ثم قال ان المواد البركانية التي تكسو هذه الجدران لم تنبعث من القطعة التي
 نحن فيها بل من مصدر بعيد عميق فهذا الصخر حادث بالأكسيل ولاشك انه سقط
 من سقف السرداب عقب زلزل او عامل آخر من العوامل الطبيعية وتنبني ان
 سكونهم لم يصادف هذا الحاجز في طريقه

قلت ان كان الامر كما تقول فليس لنا الا ازالته بأي طريقة كانت وان لم
 تقوَ على ذلك فلا ندعون اهلاً لأن تقتفي اثر سكونهم

قال وما هي الطريقة التي تمكنا من بلوغ الارب

قلت اين القطن البارودي الذي استصحبناه فما قد جاء وقت استعماله
 وانا اقول ان هذا القطن لم يسلم من هيب الكرة الدارية ثم من الغرق الالهذه الغاية
 فاطرق الاستاذ برهة ثم قال لاغنى لنا عن الواسطة التي تشير بانخاذها
 بالأكسيل فهي وحدها موصلة الى ازالة هذا الحاجز الذي حال دون بغيتنا

وفي الحال حططنا الاحمال عن ظهورنا وباشرنا عمل اللغم فتولى هنس
 امر التمر واخذت اشتغل انا وعي في اعداد فتيل طويل محشو باروداً مبلولاً
 بالمالء ولم يات الظهر الا وقد بلغ النقر العمق الكافي لحزن خمسين رطلاً من
 القطن البارودي وهو القدر الذي كان عندنا من تلك المواد فحشونا بها وسدنا



فاخذ منا الغبط ماخذاً عظيماً (صفحة ١٩٢)

الفوهة سداً محكما قوياً على الطريقة المشهورة
وبعد ذلك سألت الأستاذ ان يولياني امر اشعال القنبل فاجابني الى طلبي
مطمئن البال لانه كان يعلم ان احتراق القنبل يستغرق من الزمن عشر دقائق
كاملة نظراً لطوله ورطوبته
ثم قلت له من الممكن ان يحدث التفرع زلزلاً هائلاً في جميع الصخور
المجاورة فارى من الحكمة ان توسع في البحر بعد اشعال القنبل فانتظرتني مع
هنس على ظهر الطوف وسألتني بكما حالاً
قال صدقت يا اكسيل فافعل وعد البنا سريعاً

ثم انصرف مع هنس نحو الطوف وبعد ان اعاد اليه جميع الإهبات والامتنع
واستوبا على ظهره اخذ الاستاذ ساعته بيده ثم قال (افعل) فاندببت النار من
طرف القبل فاشتعل وفي الحال لحقت بعبي وهنس وكانا قد حلا عقال الطوف
فاطلقا له العنان ولما صرنا على بعد خمسين متراً من الشاطئ وقفنا نراقب فعل
النار في السرداب ونحن نعد الدقائق والثواني وقلوبنا تنتفض بالرغم عنا

الفصل التاسع والعشرون

سنلقى اليوم اهل الآشداً فنسينا الذي كنا لقينا
وكانت في الحياة لنا ظنون وها قد صار مصرعنا يقينا
على اننا منذ الآن القينا التدابير واستسلمنا الى احكام التقادير وصرنا العوبة
بيد العناصر تلعب بنا كيف شأت

كرشة في مهب الريح ساقطة لا تستقر على حال من القلق
اقول ما جأت الثانية الستون من الدقيقة العاشرة بعد اشعال القبل
الا وقد انشقي وجه الارض فبأهّ وانصدع ظهرها غنة فראيت امامي هاوية خاوية
مظلمة مخيفة وفي الوقت نفسه هاج البحر وهاج حتى خلت ان الارض تقوض
بنيانها والدنيا اندكت اركانها ثم ارتفع الطوف عمودياً على جبل من الامواج
وهوى بنا في قلب الهوية على ظهر المياه الساقطة ولم يكن كلعج البصرا وهو
اقرب حتى غاب النور عن بصرنا واصبحنا تحت ليل دجوجي فوق بحر لحي

كعش عصفورة من فوق مرتفع هوى بافراخها في حندس الظلم
اما العوامل التي اخذت تتنازعني بعد سقوطنا في الهوية فلا تسل عنها
عجب فحيرة فلعن فيأس فذهول ولما انتهت لنفسي عجبت في يادى الامر من
بقائي حياً ثم شعرت بان المياه فخذرة بالطوف على طريق تكاد تكون عمودية
ووجدت نفسي متمسكا بساق الصاري تمسك الذئب بالشيء او الظان ببقاها



ثم ارتفع الطوف عمودياً على جبل من الامواج (صفحة ١٩٤

المياه او الانسان باسباب الحياة ولم افعل ذلك عن انبياء ولكن ناموس التشبث
بالبقاء دفعني الى فعله والمرء خاضع لاحكام النواميس الطبيعية سواء غاب فكره
او حضر ثم افتقدت عمي وهنساً فوجدتها يجاني وكان بودي المكاملة معها ولكن
شدة هدير المياه لم تكن لتترك لنا سبيلاً الى ذلك

ثم تفكرت في كيفية حدوث الشق الذي سقطنا فيه فادركت السبب بالرغم
عن اضطراب افكاري ذلك ان الشق كان موجوداً في جوف الارض محجوباً
عن العيون بطبقة من الصخور فلما رفعها عنه البارود اصبح سطحه اسفل من

سطح البحر فذهب فيه طوفنا مع قسم من مياهه ولما تعقلت الامر علمت حقيقة الخطر الذي كنا فيه وايقنت بالهلاك القريب على انه مضى علينا ساعات طوال ونحن على تلك الحال تارة يصطدم احد جانبي الطوف بصخر من صخور الجدران فيدور على محوره بسرعة تفوق حد الوصف حتى يكاد يثربنا عن ظهره وهو مع ذلك مستمر الهوي الى السفلى كالارض في حركتها وطوراً يخيل لنا اننا ساقطون في بحر عمودية فنسسلم الى اليأس ونستعد للهلاك ولما طال علينا الامر اعيانا التعب وتمكن منا الدوار فلو تكررت صدمات الطوف بالجدران ونحن على تلك الحال لسقطنا عن ظهره حتاً ولكن تلك الصدمات بعد ان كانت كثيرة في بادىء الامر اخذت تقل شيئاً فشيئاً حتى صار حصولها نادراً جداً فعلمت ان الشق ازداد اتساعاً وبالنظر الى ذلك والى بعد قراره ايقنت انه هو الذي اتبعه سكوسيم فكنا والحالة هذه قد سرنا بالفعل على اثره ولكن لعدم انتروي جبرنا على انثرنا بجراً زائراً ليس له من حاجة في اكتشاف مركز الارض

اما سرعة مسيرنا فلا يعلم حقيقتها الا الله ولعلمنا لا تنقص كثيراً عن سرعة القنابل المقذوفة من افواه المدافع وبينما نحن سائرون بهذه الكيفية شعرت ان الطوف ستط بنا سقطة عمودية تامة فقلت قضي والله الامر

قد اتى يومنا وحمل الحمايم فعلى هذه الحياه السلام
كل من عاش في الحروب طويلاً طائلاً آخر اليه الحمايم
ثم غمضت عيني استعداداً للشرب كأس الحمايم غير ان سقوطنا لم يكن على اليابسة كما كنت اخشى بل في حوض مملوء ماء وما بلغنا سطح الحوض حتى انصب علينا عمود من المياه واحاطت بنا حباله من كل جانب فذهبنا في قلب الحوض حتى ضاق مني الصدر وعيل الصبر وتجرعت من مائه الزعاق ما كادت تبلغ به الروح العراق



وفي ذلك الوقت صنع سوري قلب الدميير فجاءة (صفحة ١٩٨)

وخرجنا من عالم الانس قسراً ودخلنا في عالم الاسماك
ثم برزنا من تحت المياه وكان الاستاذ والدليل قابضين كل منهما على ذراع
من ذراعيّ بيد من يديه وفي تلك الساعة وقف الطوف عن حركته العنيفة
وخف هدير الماء فسمعت عي يقول نحن الان في صعود
قلت كيف ذلك هل بلغنا مركز الارض
قال لا ولا بد هنا من احد امرين فاما ان الشق الذي جئنا منه ينتهي حيث
نحن الان وفي هذه الحالة لا يكون هو نفسه الذي سار فيه سكوسيم واما ان

تكون على باب مضيق لا يكفي لتصرف القدر الذي يأتيه من المياه وفي هذه الحالة لا يستبعد ان يكون هو هو وعلى كلا الوجهين فنعن الان في صعود مستمر وفي ذلك الوقت سطع نور في قلب الدهليز فجأة

كالبرق يشرق في الظلام ولم يكن اشراقه متوقعاً للصاري وكان مصدر ذلك النور من وراء ظهري فالتفت مذعوراً فاجبرت هنساً رافعاً مشعلأ متقدأ لا اعلم كيف توصل الى اشعاله ثم حققت النظار في المياه فرأيتها اخذة في الارتفاع بسرعة شديدة وكذا اذ ذاك في قناة ضيقة غير التي تأتي منها المياه فعلت ان الحوض الذي وقف الطوف عنده هو قرار مشترك بينهما وحكمت ان سرعة ارتفاع المياه في كلا القناتين لا بد ان تكون متساوية متعادلة بالرغم عن تفاوت اتساعها

ثم القيت نظري على الطوف فلم اجد شيئاً من الادوات والامتنعة والذخائر سوى رمة جبل مربوطة بساق الصاري وفدرة من اللحم لا تشبع طفلاً فعميت ولكن من بقاء تينك القطعتين لاني كنت حسبت ان ايدي المياه التي لعبت بالطوف لم تبق على ظهره شيئاً

فقد الزاد والمزاد مناس واستعدت نفوسنا للنفاد

على ان فقد الزاد لم يزدني جوعاً ولا يأساً لان ابعد شي كنت اخشاه اذ ذاك والخواف مخدفة بنا من كل جانب هو الموت جوعاً اما عي فلما علم بتقد الزاد ظهرت على وجهه لوائح الاسف فعميت من ذلك وقلت له هب ان عندنا من الزاد مؤونة سنة فكيف نخرج من الغرق القريب الذي يتظرنا بل هب اننا لا نملك من الزاد شيئاً فهل تمهلنا المياه حتى نموت جوعاً

فقال ما اقربك الى اليأس وابعدك من الشجاعة واليأس

فعميت من هذا الكلام في ذلك المقام واعتقدت ان عي لم يجيل من ذات الطينة التي جبل منها عوم البشر ثم قلت له بالله قل لي يا عماه اي شي ترجوه

واي باب للنجاة تؤملهُ أترى بدءاً من الوصول قريباً الى آخر هذا الشق وهل
بعد ذلك الإلموت غرقاً في الماء او خنقاً بشدة ضغط الهواء

قال كما يجمل ان يكون الامر كما تقول مجمل ايضاً وهو المرجع عندي ان
ينتهي بنا هذا الشق الى ظاهري الارض وعلى كل الاحوال حالتنا الان اقل
خطراً من الحالة التي كنا عليها في اثناء سقوطنا وكبنا كان الامر فلا يجوز
للانسان ان يقطع الامل من الحياة ما دامت الروح تخرج في فواده كما قيل
ما دمت حياً فاعلق ابداً باسباب الامل

لم يقض حق العلم من اهوى الى ترك العمل
فاخذني العجب من شدة باسه وقوة نفسه ثم قلت له باذا تشير الان
قال باكل هذه البقية من الزاد وهي على صغر حجمها تعوض بعض ما
فقدناه من القوة بسبب الاتعاب التي فاسينها وتذكر قول من قال
ولا تخنقر امر القليل فطالما رأينا قليل الامر جر كثيره

ثم قسم تلك القدرة الى ثلاثة اثلث فاكلت ما خصني منها بدون قابلية
وبعد ذلك قال تيقظوا وكونوا مستعدين لاغتنام اول فرصة تعرض لنا ترجى
منها النجاة ولدفع كل عارض يسبب الهلاك لان حياتنا ربما كانت موقوفة على
امر طفيف واحترسوا خصوصاً من ان يعلق الطوف في نقرة مسدودة او يجيد
عن مجرى القناة التي نحن فيها

ففعلنا بحسب اشارته وكنت افعل ذلك طلباً لمرضاته وإثارةً لطاعته لا
طمعاً في النجاة ولا املآ في الحياة وكيف آمل البناء وحيني نصب عيني وحملي
امامي وخفي خلفي وبواري عن يميني ويساري

فلا امترى فيها اراه محققاً ولو جآني عي بالف دليل
وكان الطوف لم يزل سائراً بنا على معدل واحد من السرعة يرتفع في
الساعة نحواً من سبعة اميال فقال الاستاذ انا استمرت سرعة الطوف على ما هي



ثم اخذت الحرارة تزداد ،التدرج حتى كادت نراهم ارواحنا (صفحة ٢٠١)

عليه فعما قليل نكون على مساواة سطح بحر ليدنبروك وحيث نقف المياه عن الارتفاع فيزول عنا نصف الخطر وهو خطر الغرق ولا يبقى امامنا الا صعوبة التسلق حتى ظاهرا الارض مسافة سبعة وسبعين ميلا عموديا ووجود ما نقتات به لحين وصولنا

قلت وهب اتنا وجدنا ما نقتات به فهل تعتقد حقيقة ان هذه القناة تنتهي الى ظاهرا الارض وهل لديك من وسيلة الى الصعود على جدرانها بدون حبال ولا سلام

قال اما كون هذه الانبوية تنتهي الى ظاهري الارض فهذا امر ترجح عندي
حتى كاد يكون حقيقياً واما الخيال اللازمة للصعود فنصطنعها من ملابسنا ونحن
الان في اواسط فصل الصيف وتحت المنطقة المعتدلة ان لم تقل الحارة فلا
نخشى البرد

فسكت منعماً عن الجواب وقد احببني هذا الكلام بعض الامل في فوايدي
فرجعت عن القطع بالحنف وكان الطوف لا يزال يرتفع بنا بسرعه المتعاقبة بل
بازيد منها وكذلك اشتدت الحرارة جداً فصار الاستاذ يهزم ويقعد ويفرس نارة
في وجه الماء وطوراً في جدران القناة ولوائح الحجرة والقلق ظاهرة على وجهه ثم
اخذ يناجي نفسه همساً فتعلم ببعض اسماء علمية من اسماء طبقات الكرة الارضية
كالنيس والميكاشيت ثم قال بصوت عال لا شك اننا ارتفعنا عن سطح بحر
ليدينبروك

قلت كيف علمت ذلك

قال منذ ساعة تقريباً اختلفت سرعة الطوف عما كانت عليه من قبل
اخلاقاً بيناً ولم تثبت بعدها على حالة واحدة ثم ارتفعت الحرارة فجأة فاستنجت
من ذلك ان ارتفاعنا لم يعد بفعل مياه بحر ليدينبروك بل بفعل عامل اخر وقد
اثبتت لي التربة التي نحن فيها الان اننا اقرب الى ظاهري الارض من بحر
ليدينبروك بكثير

قلت وما هو اذن العامل الذي يرفع المياه التي نحن عليها

قال ان صدقي ظني فخن الان في قناة بركان غير منطقي

فقلت وقد عاودني اليأس والقنوط اي في قناة بركان هائم

قال اي وها قد كفينا عنا المسير تسلياً وخطر الموت جوعاً

قلت وكفينا ايضاً عنا المعيشة ومتاعب الحياة

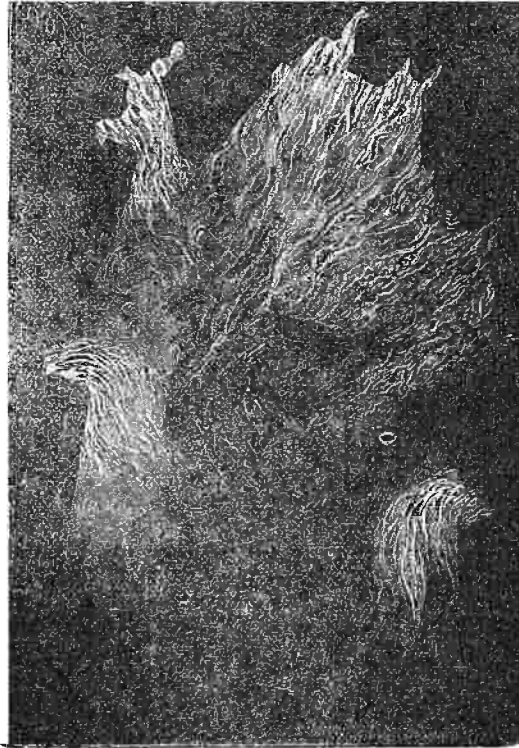
ثم اخذت الحرارة تزداد بالتدرج حتى كادت تهرق ارواحنا وفي تلك

الاثناء لمست يدي الماء اتفاقاً فوجدته في درجة الغليان ولما انعمت النظر فيه
رأيت تحت سطحه على عمق قليل طبقة مؤلفة من فئات الصخور النارية والسوائل
البركانية فعلت ان ساعدنا قربية وان اجلنا قد جاء ثم سمعت دندمة بعيدة في
قلب الارض ورأيت جدران القناة ترتعش ارتعاشاً وبعد قليل بدت لتواظرننا
فوهة البركان كأنها الشمس تغيب في افقها الغربي لابسة غلاظتها الوردية وقد
حال اصل لونها الاصلي فخيّل لي انها شمس حياتنا وقد مالت للغروب فهاجت
اشجائي وجاشت احزائي واسترسلت في بحار الحزن والاسف واستسلمت لحكم
القضاء والقدر

ولم يزل الطوف طائراً بنا صعداً وفوهة البركان تزداد في نظرننا اتساعاً
شيئاً فشيئاً حتى لم نعد منها الا على بعد بضعة اميال فوجدنا نفوسنا اذ ذاك بين
صخور كثيرة الشقوق يندلع منها اللهب السنة هائلة تملأ على الجدران ولها
زفير وحسيس تقشعر منها الابدان ونحن محصورون بين الحميم والحجم على
ملس من السعير ومسمع من الزفير كأننا ملائكة العذاب او خزنة جهنم او عصاة
يعذبون في سفر ولكن قبل ان تقوم القيامة

وفي تلك الساعة وقف الطوف عن الحركة بغتة فظننت في بادي الامر
انه علق بصخر من صخور الجدران غير انه انضح لي بعد ذلك ان المواد نفسها
التي تحت الطوف في سكون تام فعميت من ذلك الحادث الذي لم اعلم له سبباً
وقلت للاستاذ ما قولك يا علما، ألا تظن ان الهيمن قد سكن
فقال لا ولكن البركان الذي نحن فيه هيجانه منقطع وقد ظهر لي اننا في
غير القناة الاصلية

وما اتم الاستاذ كلامه حتى عاد الطوف الى الارتفاع بسرعة اشد من الاول
ثم وقف ثانية مدة معادلة للمدة الاولى ولم يزل يهيج مرة ويهيج اخرى حتى لم
يعد بيننا وبين الفوهة الا ميل واحد فاضطربت اذ ذاك هلعاً وتضعضت



بندلع منها اللهب السدة هائلة تتلاعب على الجدران ولها زفير وحيس (صفحة ٢٠٢)
 افكاري خوفاً وجزعاً وانطرحت على الطوف منكباً على وجهي ثم خيل لي ان
 الارض تميد بي وسمعت دمدمة اشد من هزيم الرعد وبعد ذلك شعرت ان
 الطوف يدور على محوره فوق بحر من السوائل البركانية ورأيت السماء تمطر حما
 وصخوراً نارية ثم بدا لعيني خيال هئس في وسط اللهب وفقدت الشعور بالمرّة
 الفصل الثلاثون

مضت الرحلة واهوالها وانتفضت الشدة واوجالها وبارحنا المضائق واعاقها
 والصخور وطباقها وعدنا الى ظاهر الارض سالمين ونحن الان نحوس تربة

خضره لا تخشى هبوطها ونجول تحت قبة زرقاء لا تخاف سقوطها وتنسم هواء
معتدلاً لطيفاً ونشرب ماءً بارداً خفيفاً ونسرح الطرف في عالم بعيد الأفق
فسبح الأرجاء

نختال في أمنٍ ونفرح في صفاء ونسبح تحت كواكب وشمس
أما نجاة من نيران البركان بعد أن رأينا الحين رأينا العيب فمن نوادر
العجائب وعجائب النوادر ذلك أن إحدى نوب الهيمان وقفت بنا على مساواة
سطح الفوهة أو تجاوزته بقليل فجرت بعض السوائل البركانية متدفقة من
أحدى جوانب الفوهة حاملة طوفنا على ظهرها ثم استقر بنا الطرف على اليابسة
فاخذني هنس بين ذراعيه وأنا غائب عن الهدى

لست أدري من ولا كيف أنا لا ولا أياك كما أوتى
وسرعان ما التجأ في إلى كف صخر قريب

ووقانا بذلك الصخر ناراً كأن له على الغيب اطلاعا

وربما نجيئنا عن فوهة البركان عادت نوبة الهيمان فصعدت الحمم إلى
السما عموداً ثم انتشرت فوق الأرض كالمظلة فامتلات الدنيا ناراً ولهباً وامطرت
السما صخوراً مصهورة وغير مصهورة ولكنا كنا إذ ذاك محجوبين عن الخطوراء
الصخر فلم نصب منها بضراً

فلئن اعش لا نسقن قلانداً في شكره وإشراك الخنساء

ولما افقت من غشوتي أتاني هنس بشيء من العنب قطفه من الكروم
المفروسة بسفح الجبل فاكلت حتى اكفيت فانتعشت نفسي وأشرح صدري ثم
قصدنا قرية حتييرة مبنية على شاطئ البحر بالقرب من الجبل وفي أثناء سيرنا
توافقنا على إخفاء حقيقة أمرنا عن كل أحد حذراً من أن تكون الأقدار رمتنا
بين قوم من نسلطت الأوهام على أذهانهم فاذا عرفوا أننا قادمون من قلب الأرض
قرر عندهم أننا من جن الهاوية وقابلونا باللعن متعوزين بالله منا وأقبلوا الأبواب



وسرعان إيا النجاء بي الى كف صخر قريب (صفحة ٢٠٤)

دوننا بل ربما رجونا بالحجارة رجما لاسيما ان منظر الاستاذ وقتئذ ربما كان
يؤيد هذا الظن فلما دخلنا القرية ادعينا اننا قوم غرباء غرقت سفينتنا في البحر
وقدفتنا الامواج الى تلك الديار فقابلنا اهلها بالانصديق وايدوا باصابتنا بعض
الاسف فاطمأنت قلوبنا وعلما ان قد خفي عليهم امرنا

كاننا لم نجهم ناضحين ولم تعلق باجسامنا آثار كهريت
اولم يروا منظر الاستاذ متطافا ودون صورته شكل العفاريت
ثم اخذنا شيخ القرية الى منزله وجاد علينا ببعض ملابس وفي تلك الليلة

عرفنا ان القرية التي نحن فيها هي قرية استرمبولي من قرى جزيرة صقلية الخاضعة
لمملكة ايطاليا فعلمنا ان البركان الذي خرجنا منه هو بركان استرمبولي وهو
قائم على شاطئ البحر كغالب البراكين التي على وجه الارض ثم عرفنا اننا في
اليوم الثلاثين من شهر اغسطس فعلمنا ان المدة التي مضت علينا منذ سقوطنا
في الشق مع مياه بحر ايدنبورك لحين رجوعنا الى ظاهر الارض ثلاثة ايام وان
هذه الرحلة العجيبة استغرقت واحداً وستين يوماً كاملة منذ دخولنا فوهة بركان
استنفل المنطفئ لحين خروجنا من فوهة بركان استرمبولي الملتهب

وفي تلك الليلة نفسها بعد ان فارقنا صاحب المنزل وقبل ان نضطجع
للرقاد طلب هنس راتبه الاسبوعي من الاستاذ وكان قد برح من بالي ان
ذلك اليوم يوم سبت فعجبت من قوة ذاكرته اذ لم يغفل مرة واحدة عن طلب
مرتبته في الميعاد القانني مع ان الاهوال التي لافيناها كثيراً ما انستني نفسي
وغيبنتني عن حسي اما الاستاذ فحل في الحال منطقة جوفاء مشدودة على وسطه
تحت اثنائه الرثة وكانت جميع تقوده في جوفها وعند فوهتها دفتر المحفوظات
مطوياً لمنع خروج النقود عند الاضطراب العنيف فرفع الدفتر واخذ باصابعه
ثلاثة ريات وقدها للدليل وهو يرتجز متبسماً

تطلب مني الجعل يا هنس اجل لا عاش من امسك حقاً او اجل
دينا صحيحاً بعد ان جاء الاجل فخذ وانت اليوم في عيني اجل
من كل من احرز مالاً او اجل

ثم ضمّه الى صدره وبين له بصریح العبارة اننا مدينان له بالحياة كلانا
ودين الحياة لا يوفي بال تقبم الدليل عند ذلك تبسم الرضى وخيل لي ان
عينيه اغرورتها بالدموع فاخذني العجب من ذلك لاني كنت قد حسبت ذلك
الرجل بدون قلب بعد ان رأيت منه ما رأيت من الصبر في مقام الضيق ومن
البأس في موقف الخطر



اولم يروا منظر الاستاذ متطفاً ودون صورته شكل الغاريت (صفحة ٢٠٥)

- وفي صباح اليوم الثاني انتقلنا الى ثغر مسينا على ظهر سفينة شراعية وبعد ان اقمنا في هذه المدينة ثلاثة ايام مكرهين على الانتظار عرجت عليها السفينة التجارية المسماة فونترنة من سفن شركة المساجري الفرنسية وكانت شاخصة الى مرسيليا فركبنا ظهرها وحللنا بتلك المدينة في اليوم السادس من شهر سبتمبر ثم ركبنا قطار السكة الحديدية وفي اليوم الثامن من الشهر وصلنا الى مدينة هيرج ليلاً ولم يشاء الاستاذ ان يعلم احد بقدومنا قبل ان نلقي عصا التسيار ونستريح من تعب الاسفار فدخلنا المدينة سكوتاً وكلما عرفنا اسائنا مقبلاً انحرفنا عن طريقه بمنة او يسرة حتى اذا انتهينا الى منزلنا دق الاستاذ الباب بعنفه المعتاد

فسمعت مرثا من داخل المنزل تقول ابشري يا غريبة قد خرج ابوك من الارض
 واستبقنا الباب مستبشرين ففتحناه لنا ولا نسل عما كان عند السلام من السرور
 والفرح الموفور ولم يلبث عي ان تركنا في السلام والكلام ودخل يتقعد مكتبته
 ومتحفه وعند ذلك نظرت الى غريبة قائلاً

لبالك مطلبى وغاية مقصدي وشفاء اسقامي واعذب موردي
 وحديثك السمر المحلل لغثي اروي من الماء الزلال لدى الصدي
 ولقد ذكرتك والمحطوب دوائر حولي كما دار السوار على اليد
 والنار في البركان شب ضرامها والطوف طواف بنا لا يهتدي
 فطربت من نظر اللبيب لانه يحكي تلهب خذك المتوقد
 ثم اخذت اشكوها اشواقى وهي تبثني ما لاقته من فراقى

تساقط فوقى التراب منا لآلى فدمعي احبانا وحيناً حديثها
 وبعد ذلك دخلت على عي فوجدته يقلب مجموعة ويترتها وهو يهيم
 قلقت لئلا اين هذا ما رأيناه بعدوني بجزل يدبروك فقال واين ما رأيناه بالعدوتين
 ما كما نراه في مركز الارض لو تيسر لنا الوصول اليه
 ثم قمنا الى الرقاد وما استقرت جنوبنا على الفراش حتى سكرنا من قهوة المنام
 لا من نشوة المدام

فكم من قبل بت على صخور ومنت على مهاده من حجاره
 وكان تدثري بالارض حتى خشيت الموت من هول الحراره
 وكان خبر توجهننا الى قلب الكرة الارضية قد ذلح على يد مرثا ثم انبثته
 الاخبار التي انت من ايسلاندا فاشاع خبر رجوعنا في هبرج حتى غص منزل
 عي بالزائرين من اهل المدينة نساء ورجالا شيوخاً واطفالا ثم تناقلت الرواة
 ونشرت السنة الجرائد فلم يبق بيت في اوربا شخص الا وتحدث في الامر
 وبعد وصولنا بايام التي الاستاذ مقالة عن رحلته في دار المدرسة الكبرى

بهيرج حضرها عدة اشخاص من اشهر علماء العصر بين فيها اكتشافاته الخطيرة
ورفع القناع عن وجه حقائق كثيرة فعظم قدره عند القوم
وما يكسب الذكر الجميل سوى العنا وجوب الفاني واقتحام المخاوف
وقد تناقلت الجرائد العلمية اقواله وهي بين مصدقة ومكذبة وجدت العلماء
اقلامها للمناضلة والمعارضة وكان مدار معظم البحث والمجدال على تلك المسا
التي لم اكن انا وعي متقين عليها وهي مسألة الحرارة المركزية
وبالجملة اقول انه لم يبق في المانيا ولا في غيرها من البلاد الاوربية احد
الا وسمع بذكر الاستاذ اوتوليدنبروك وابن اخيه اكسيل فطابت نفس الاستاذ
بما نال من الشهرة وعلو المنزلة وفرت عينه بما رأى من الاكرام والاحترام
واصابني شيء من ذلك الفخر الا ان عيشي لم يهنأ الا بعد اقتراني بابنة عمي غريبة
وهي الان بجاني

ولقد عزمت فيما بقي من عمري ان لا اركن للدعة ولا اسكن الى السكن
فقد وجدت الفخر معقوداً بنواصي الاعمال وبحسبها تفاوت مقادير الرجال ولولا
نحسبنا تلك الاهوال ومخاطرنا بالارواح والاموال لما وجدنا الى بعد الصيت
سيلا ولا خلد لنا التاريخ ذكراً جميلاً

من اين يكتب المحامد لامي ام كيف يرفي للعلا بالله
وعلام يلهو والثناء على الفتى لا ينتهي وعناؤه متناه

تمت

خطاه	صواب	صفحة	خطاه
تقريراً	بنصف جيل تقريراً	١٢	٢٠
وثنيين	والثنيين	٢٢	١٩
فقط	قط	٢٥	١٠
اني كررت	على اني كررت	٢٨	٨
(صفحة ٥٣)	(صفحة ٥٥)	٥٤	١
اشبه	اشبهه	٦١	٢٠
الموس	الموثر	٩٣	٦
النفود	النقاد	٩٦	١٨
نفود	نقاد	٩٨	١٠
كالة	كائة	١٠٣	١٣
قلت	قال	١١٦	٧
الحارة	الحرة	١١٩	٩
المال	الماء	١٤٤	٨
لي	الى	١٤٦	٢٢
الطواف	الطوف	١٦٠	١٨
العين	العينين	١٧٦	٥
طريقة	طريقاً	١٨١	١٢
تبعه	لتبعه	١٨٣	١٧

وغير ذلك من جنوات الطبع مما لا حاجة الى التنبه اليها

TOURS DU MONDE EN QUATRE-VINGT JOURS

رواية

الطواف

حول الارض في ثمانين يوماً

للمصنف الشهير والعالم التحرير جول فيرن الفرنساوي



عربت من الفرنساوية بقلم القدير يوسف اصاف

وكيل البوسطة المصرية بالعطف

حقوق اعادة الطبع محفوظة



طبع في مطبعة الهروسة بالاسكندرية في ٦ مايو (ايار) سنة ١٨٨٥

اهداء الكتاب

الى غرة جبين الوجاهة صاحب العزة هالتون بك مدير عموم مصلحة البوسطة
المنصرية حفظه الله واياه

مولاي

عهدي بغيركم على العلوم والأدب حملتي على استخراج هذا الكتاب
الموسوم . بالطواف حول الارض في ثمانين يوماً . نظراً لما يحويه من الرفائع
الغريبة والمحادث العجيبة التي تهذب الاخلاق وتحلوفي جميع الانواق
وقد جعلته مولاي هدية برسم فضلك وان كان دون ما يليق بآدبك
ونيلك فهدية من كرمك سبيل الرضى والقبول فذلك هو حسي والمأمور

الداعي

يوسف اصناف



THIS BOOK IS PRESENTED
TO
His Excellency W. F. HALTON BEY
GENERAL MANAGER OF THE EGYPTIAN POSTS
ALEXANDRIA

EXCELLENCY

Knowing that your Excellency likes the improvement of the science and instruction ; feeling myself obliged of your kindness towards me till now. Therefor. I beg to allow me a boon. to offer to your Excellency this one moral gift, which is the translation of the Romance intituled « the travel round the globe during 80 days » translated by me in the express end to be presented to your Excellency ; however a trifle :

Pray to accept my supply, which will be a reward to my trouble.

With kind regards. I have the honour to be Excellency

Your most obedient and humble servant

JOSEPH ASSAFF

POST - MASTER

ATFÉ

الصفحة	العمود	السطر	خطاء	صواب	الصفحة	العمود	السطر	خطاء	صواب
٥٣	٢	١٢	لا يتأرق	لا يلزم	٨٣	٢	٢٠	مثلاً	مثلاً من
١٦	٢	٢١	يقد	ينقد	٨٤	٢	٥٠	الثت	الثت
١٩	٢	٦	الخطوط	القطارات	٨٧	١	١١	الثقة	الثقة
٢٦	١	١٢	اليو	الي	٨٧	٢	٢	كان يتفقد	كانوا يتفقدون
٢٢	١	٦	كان	كانوا	٨٧	٢	٢	ويندها	ويندونها
٢٦	٢	١٠	المنظر	المنظر	٨٧	٢	٢	وبعرض	وبعرضون
٢٨	١	١٦	الى وقع	الى ان وقع	٨٨	٢	١٩	للسفينة	للسفينة
٢٨	٢	٢٠	لا	له	٩٥	١	١٩	افعات	افعات
٤٦	٢	٢	نقص	نقص	٩٦	٢	٥٠	الله	الله
٤٦	٢	١٤	الارتجاج	الارتجاج	٩٩	٢	١٦	ويعقدون	ويعقدون
٤٨	٢	٢	سائناً	سائناً	١١١	٢	١٤	العذابات	العذابات
٤٨	٢	٢٢	لبث	لبث					
٥٢	١	٤	فقبض	فقبضت					
٥٢	٢	٢٠	بخسب	بخسب					
٥٤	٢	١٥	جرا	جرا					
٥٦	٢	٦	والانعام	والانعام					
٥٦	٢	١١	الضحية	الضحية					
٥٩	١	١٧	عذالها	عذالها					
٥٩	١	١٩	ابني	ابني					
٦٠	٢	١٩	رفيقو	رفيقو					
٦٣	١	١	وحركك	وحركك					
٦٢	٢	١٨	وتثبتاً	وتثبتاً					
٦٤	٢	١٠	٢٠	٢٠					
٦٥	١	١٢	وبالم	وبالم					
٧٠	٢	٢٢	الساعة	الساعة					
٧٠	٢	٢٢	محال	محال					
٧٢	٢	١٥	اقفأ	اقفأ					
٨١	٢	١٧	بأخرة	بأخرة					
٨٢	١	٨	ايام	ايام					

هذا هم ما وقع في هذه الرواية من اغلاط
الطبع آكتفي بالاشارة اليه يا ترك ما سواء لفظية
الناقد البصير يوسف
اصاف

مقدمة المترجم

شغنت زمنًا طويلًا بمطالعة الروايات الادبية ونحوها من المصنفات الخفية للعقول المهذبة
للاخلاق فلم يحلْ لذوقي منها الا ما جاد به واجاد براع العالم الحاذق التحرير
والمؤلف الشهير الموسو جول فرن الفرنسي فاخترت من جعلتها هذه الرواية
المنيدة واقدمت على ترجمتها وطبعها علمًا بانها حرة بان تنداولها ايادي
المجنسين خليفة بمطالعة اهل العلم قيمة بان نترتب عليها النوائد الجمية
ولا تجعل سبيلًا لشكوى اهل الاطلاع من قلة الفائدة وامتناع
العائدة . وقد عُيبت في الترجمة بتطبيقها على الاصل مع مراعاة
اسلوب الانشاء العربي وابرادما وصل اليومكافي من المصطلحات
المألوفة في لغة العرب ما يرادف مصطلحات الافرنج
وذلك مخافة ان نغج اذواق الناطقين
بالضاد فان كنت اخطأت المرمى
فبالعز ولا نبجل عليّ
الكرار

يوسف آصاف



الفصل الاول

(كيف ان ياسارتو تقيد بخدمة)

(المستر فيلاس فوج)

قال المؤلف : لانعرف للمستر فيلاس فوج تاريخ ولادته ولا نعلم له حساباً ونسباً ولا مهنةً او صناعةً فهو ليس من ذوي التجارة او ارباب الفلاحة او اصحاب الزوارق او من رباني السفن والبواخر ولم يره احد من الناس في قاعة البورصة او في بنوكة الملكة او المدينة ولم يذع ذكره بين خدمة الدوائر او في مصاف المحامين امام المجالس ولم يذكر له اسم بين اعضاء مجلس النبلاء او بين نصراء الاديان ولم يتظم في سلك جمعية من الجمعيات العديدة المنشأة في لندره ومنها جمعية بريطانيا العظمى التهذيبية وجمعية لندره وجمعية الحرف والنصاحه الغريبة والقه والصنائع والعلوم المستظلة بظل جلالة الملكة وجمعية الموسيقى وجمعية اعدام الحشرات المضرة ببني الانسان . وجل ما علمناه من امره انه انكليزي النشأة حاصل على مكانة علياء بين رجال الحياة الاجتماعية من قوم الانكليز محرز من الاداب والعلوم

والمعارف والفنون ما رفع منزلته في عالم الانسان حتى طارت بذكرة الركبان في كل نادٍ ومكان . الا انه كان يذل قصارى جهده في مواراة شهرته وكيف نواري ناراً على علم او يستتر نور تحت جحج ظلام وكان كريم الخلق سليم النية حسن الطيبة حاد الذهن نزيهاً ايماً ثابت الجنان لا تأخذه الحدة عند الغضب ولا يتولاه العجب عند نيل الارب فكأنني به يشبه يبيرون في طباعه فاذا عاش مثات من السنين لا يعيب البياض بلمته وفي عام ١٨٧٢ كان يسكن في شارع سافيل المودي الى حدائق بورليغتون داراً رقم فوق بابها عدد (٧) وفيها قضى عام ١٨١٤ سرمدان احد خطباء الانكليز المفلتين ورجالهم المحنكين

ولقد احصى المستر فيلاس فوج في عداد اعضاء الجمعية التهذيبية بلندره التي لم يكن يقبل فيها الا من كان من اشراف الناس واعيان البلاد بمقتضى توصية خصوصية من الخواجات بارين اخوان اصحاب الغنى الوافر والذكر الطيب العاطر واصحاب البنك المشهور في مدينة

لندره وقد كان ذا علاقةٍ بأعمالهم التجارية
جعلت له بين اهل الثروة مقاماً رفيعاً
وكان في معيشته لازماً حد الاعتدال
وفي دنياه غنياً ولا نعلم كيف حشد
الاموال ولكنه كان لا يبذل الدينار في
غير حين اللزوم والاضطرار ولا يبخل
ببذل الدرهم بسخاء اعانةً للأعمال الخيرية
وكان قليل العلاقات والتداخل لا يتكلم
الأعداء الاقتضاء ولا يتحدث بما لا يجدي
نفعاً وكان ذا الملم تام وباعٍ طولى في
علم الجغرافية ومعرفة خصوصية باقى
اماكن الارض وعندما كان يقع احبائاً
بين رفاقه اعضاء الجمعية حديث او
جدال في مواضع جغرافية متعلقة بموت
السواح وتبهم في الفدافد والتفارق كان
يصحح اراءهم ويصلح فاسدها ويقوم معرجها
ويصل بينهم ذات اليمين بالبحج
التورية والبراهين الدامغة والادلة الساطعة
كانها صادرة عن رأي العين وذلك
بكلام وجيز وعبارات بليغة توم السامع
انه جاب انحاء البسيطة واستقرى غورها
ونجدها وطوى سباسبها وبطاحها مع انه
لم يلبس من عدة سنوات مدينة لندره

ولم يكن بالطبع ميالاً الى الاغتراب ومعاناة
الاسفار ولم يكن يسلك غير الطريق المؤدية
من داره الى قاعة الكلوب حيثما كان
يقضي اكثر الاوقات في مطالعة صحف
الاخبار واعب الويست. وكان لهواً يجلو
له ويطيب لذوقه وفي غالب الاحيان
كان يبرج شيئاً من النقود فيضيقه الى
مصاصات الصدقات لاصطناع المبرات
وما عرفنا له امرأةً وبين هذا من
دأب الادباء ولا اقارب وانساب وهذا
من خوارق المحالات. وكان منفرداً
بسكنه مصطحباً خادماً وكان لا يخلو
منزله الا حيناً يسيراً من النهار وبين
اجلى انه كان يقضي فيه عشر ساعات نائماً
ناراً ومشتغلاً طوراً اما منزله فلم يكن فيه
شيء من الاثاث الفاخر بداعية انه لم يتخذ
للج بابيه ضيف او يدخله زائر. وكان
يتناول الطعام في الظهر والمساء على مائدة
الكلوب. في اوقات معينة وفي حجرة
منفردة وما من مرة دعا احداً غربياً كان
او قريباً لتناول الطعام او شرب كأس مدام
وكان اذا جلس على المائدة قدم له خدمة
الكلوب. فوطاً بدمية الصنع من

الوراء وعيناه شاخصتان الى غروب الساعة
الكبيرة البديعة الاختراع المتقنة الصنع
الدالة على الساعات والايام والشهور
والاعوام اذا بالباب يقرع ثم فتح ودخل
الخادم المطرود مستصباً شاباً بالغاً من
العمر حد الثلاثين عاماً فخطب المستر
فوج بقوله :

هكذا خلّقي يا مولاي
فاجابه لا بأس ثم الفت الى الخادم
الجديد وقال له مستغفراً :
افرنسوي انت وما اسمك
فقال الخادم :

نعم انا فرنسوي يا مولاي وأدعى
جان . والقب . باسبارتو . وقد مارست
المهن العديدة والحرف الكثيرة فكنت
فيها من النابغين المفلحين . وكنت من
منشدي الاغاني على قارعة الطريق فاطربت
برخم صوتي وشنت الاذان بشجي انغامي
وكنت سائساً في احد الاسطبلات فرضت
الحيل بالاعتناء وسستها بحذق وذكاء
وكنت مشعوذاً فابعدت واغربت وخطبت
الالباب بغرائب الالعب . واصطنعت
لي اجنحة قطرت بها في الفضاء مثل

منسوجات ساكسونيا واتوه بالطعام في
آنية صينية وسكبوا له الخمر الجيد من
اباريق صينية في اقداح من البلور الشفاف
ممزوجاً بالثلج الامر كافي فبعد ان ياكل
مرقاً ويشرب هنيئاً ينهض ويخطر خطرات
الغيد اما في قاعة الاستقبال واما في
الايوان المربع حيث تقوم من فوقه قبة
مستديرة مصنوعة من زجاج ازرق يحملها
عشرون عموداً رخامياً وعلى هذا النمط
من العزلة والتأنيق كان سير معيشته
الصالفة وشأن حاله الراضية

وكان القائمون بخدمته شديدي
الارتياح الى قضائها بالنظر الى اخلاقه
المروضة وما الفة من مثل هذه العادات
ولم يكن يطلب من خادمه سوى النهوض
بواجبه في وقته المعين وفي احد الايام من
شهر اوكطوبر اتاه خادمه المدعو جاس
فورستر بباء لفصل لحبته في درجة ٨٤ من
الحارة بدلاً من ان تكون في درجة ٨٦
فخط عليه وطرده من الخدمة

وبينا كان في غرفته تائماً في اوديه
القامل بعد طرده للخادم ورجلاه متخاذيتان
وبده مسترخيتان ورأسه مستلق الى

ليونار: ورقصت على الحبال مثل
 بلوندين، وكنت استاذ الفنون الثميين
 البديني (الجمناستيك) في فرنسا واخيراً
 كنت قائداً لفرقة المطاقي في الجيش
 الفرنسي فكم اطفأت من حريق هائل
 واخذت من ابنة فاخرة وقصور شاهقة
 وقد بارحت باريس منذ خمس سنوات
 فأتيت مدينة لوندريه التماس الخدمة في
 بلاد بريطانيا العظمى لاني مات بعد ذلك
 العناية الى التمتع بعيش هني في حجر كريم
 غني ولكنك الطالع لا ازال الى الان
 خالياً من مثل هذه الخدمة وقد علمت
 ان مولاي يطلب خادماً أميناً معروفاً
 بمراعاة الدقة في اتمام اعماله لا يروم ابتعاداً
 بعد اقتراب ولا جسم في اي الاحوال
 غارب اغتراب فهرولت اليك وما انا على
 قدم الاحترام بين يديك متوقفاً بلوغ
 اميني قبل ان تدركني منيتي
 - اراك يا باسبارتو موافقاً لمشربي ملائماً
 لمذهبي ولي علم تام بحالك وسير احوالك
 وقد اوصاني بك بعض الخلان فهل
 تعرف شروط خدمتي
 - أجل يا مولاي

- كم الساعة الان
 - ١١ والدقيقة ٢٠
 - واخرج من جيبه ساعة ضخمة من
 الفضة

فقال المسترفوج
 ان ساعتك تؤخر اربع دقائق
 فتأمل الفرق وتدبر وانت منذ اليوم مقيد
 في خدمتي - من الساعة الحادية عشرة
 والدقيقة ٢٤ من صباح الاربعاء الواقع
 في ٢ اكتوبر عام ١٨٧٢
 وبعد ان اتم كلامه تناول بيده
 اليسرى قبضته فوضعها على رأسه وخرج
 من غرفته بدون ان يفوه ببنت شفة ثم
 خرج الخادم السابق وراءه وبقي الخلف
 في المنزل

الفصل الثاني

كيف ان باسبارتو تحقق بلوغ
 امانته

كان الناس في لوندريه يتصدون
 منزل مادام تيسو فرادى وازواجاً قصد
 التفرج على التماثيل المصنوعة من الشمع
 المحكمة الصنع الكثيرة الاتقان بحيث ان
 الناظر اليها يكاد لا يفرق بينها وبين

الادميين . وكان باسبارتو قد شاهدها
فلما رأى مولاه تذكرها وقال في نفسه
لعلمي ان تلك التماثيل شديدة الشبه
لمولاي فلا اخاله الا منها ولا ارى الا
انه تمص منها ثوب التكون ثم تأمله
واحدى بصره فيه فراه رجلاً جاوز حد
الاربعين من العمر تبدو على وجهه ملامح
احرازه للفضيلة التي يعرفها علماء الهيئة
بفضيلة (السكينة في العمل) حسن الرواء
ذالحية شقراء وجبهة بارزة خالية من
التجمد مائلة الى الصفرة لوناً واسنان كالبرد
وقولم رشيق وبنية معتدلة وطبع هادئ
يدل على كونه انكليزي الدم محضاً كابناء
جلدته القاطنين في الولايات المتحدة الذين
رسمت هيتهم بقلم انجيليك كوفان المصورة
الشهيرة . ورأى من ثم ان جميع تصرفاته
دائرة على محور الحكمة والكمال وتبين من
اعضاء جسده تناسباً بامتثال كرونومتر : لروا :
في الدقة والتعادل فكان رشيق الحركة
دقيق الخطى في الخطر والسير وبيان
آخرائه لم يكن بخطو خطوة على غير
لزوم او يسلك غير الطريق القريب
او يضع لجة بصر من غير فائدة او يبدى

اشارة في غير موقعها
اما جان باسبارتو فكان فرنسوي
النزعة باريزي النشأة حميد الخصال
حسن الصفات اديباً مهذباً سليم الذوق
كريم الخلق صافي النية طاهر السريرة
ذا رأس مستدير يثنى كل امرء ان يراه
بين كفتي حبيبه وشعور سوداء مسترسلة
الى الوراء يكنى لاصلاحها مرور المشط
عليها بخلاف شعور مينرفا التي اخترع
الراسمون لجالها ثمانية عشر طرازاً وكان مقتر
الثغر ناضر الحيا يرى بمقلتيه ورد وجنتيه
واسع الصدر قوي البنية شديد العزم
عالي الهمة ذا قوة عقلية وكان فتى بعد
ان قضى زمن الشباب في اللهو ولم يجده
اللهو نفعا عض اصابع الندم وساقى الى
انكثرة القدم بعد ان سمع بما للانكليز من
التأني في السير والحزم في العمل فقصده
بلادهم ابتغاء الاثراء بتعاطي الخدمة . وقد
طالما بحث عن مولى يشده ازره ويستعين
به على جور الزمان فحزرت احكام القدر
على عكس امانيه ولم يتسن له ان يسفر
على الخدمة في منزل من العشرة المنازل
التي دخلها فان بعضها دهنها صروف

عن الدار فسارع اليه ووقف بين يديه
ثم تقيد بخدمته على ما مر بنا من الكلام
تقدم القول ان باسبار تولبت وحده
في المنزل بعد خروج سيده في طلب
بعض الحاجات فلما رأى نفسه وحيداً
في المنزل جعل يطوف غرفه واحدة بعد
اخرى حتى انه لم يدع فيه حجرة او منفذاً
الا زاره فالتفت ما زار في تمام الانتظار
وكال الاتقان

ولما وصل الى الطبقة الثانية عثر
بالغرفة المدة له فعرّفها بداهة فاعجبت
وقد رآها متصلة بسائر غرف الدار بواسطة
اجراس كهربائية وانابيب تردد الصدى
ثم التفت الى الحائط فرأى ساعة تسير
في الدقة سير ساعة مولاه المعلقة في غرفته
وكلتاها تسيران الثانية في آن واحد فسر
بذلك واتسم فرحاً وقال في نفسه : لقد
زال النقص عني الى حيث ... وبلغت
ما كنت اتمنى والله رحوم شفيق . ثم عاود
النظر الى الساعة فرأى بالقرب منها لائحة
الخدمة فحش وبش وطاب نفساً وفرعيتاً
ثم طفق يقرأها فاذا هي مشتملة على ما يأتي
ينقض فيلاس فوج من النوم في

المحدثان وتابعت عليها مصائب الزمان
فدرستها وجعلتها اطلاقاً بالية وبعضها
الاخر سطا على اهلها الطيش فالوا الى
الاسفار والسوح في القفار ومرت عليه
هذه الاحوال على هذا المنوال الى ان
استخدمه اخيراً اللورد لوتجسفيري احد
اعضاء مجلس الامة فلما رآه اللورد فضولياً
طرده من خدمته وكان اللورد اذ ذاك
في شرخ شبايه يصبو الى اللهو والطرب
ويضي جميع ليلاليه في الحانات يعاقر بنت
الدنان ويجالس بنات الغرام الى ان
تلاعب الخمرة بلبه وتذهب بصوابه
فيؤخذ الى منزله محمولاً على اكتاف
الشرط ففي احد الايام خطر لباسبار نوان
بمحضه التصح لعله يرعوي عن غيه ويرتد
عن ضلاله فيكافئه على نصيحه وغيرته
ففعل ولكن ساءت العقبى ورجع بالخفين
بان طرده اللورد من الخدمة فخرج يلتمسها
لدى غيره ولما علم باحتياج المستر فيلاس
فوج الى خادم طفق يستقصي عن احواله
ويستطلع طلع سيرة فانتهى اليه من
اخباره انه رصين رزين مستقيم الاطوار
كريم الاخلاق لا يهوى الاسفار ولا التفتيب

مكتبة جزيلة المنفعة تحوي على المؤلفات
وكان له غيرها أيضاً ثتان في الكلوب
أودعت احدهما كتب الفقه والثانية كتب
السياسة وكان في داخل غرفته خزانة
حديدية غير قابلة للاحتراق امانةً غدر
اللصوص ولم يكن في المنزل اسلحة نارية
او سيوف ثارة أو آلات صارعة فانه كان
رجلاً ميلاً الى السلم والسكينة

وبعد ان طاف باسبارتو جميع غرف
الدار ورآها على ما يروم ويثني سرسوراً
لامزيد عليه فرقص فرحاً وضرباً وحمد
التقدير التي سافته الي مولاه المحب للضبط
الملازم للراحة الماقت للأسفار
فالها غير مستحيل ولكن

دونه في سبيلنا عقبات
الفصل الثالث

في جدال تكبد المستر فيلاس فوج
من اجله نقات

بارح فيلاس داره ذات يوم في
وقته المعين فبعد ان تقل قدمه البني
خمسائة وخمسة وسبعين مرة واليسرى
خمسائة وستة وسبعين خطوة وصل الى
الكلوب ، البناية الشاهقة التي أنفق على

الساعة الثامنة ويمكث في البيت حتى
الساعة الحادية عشرة ونصف

تُقدم له الشاي واللم المقلي في الساعة
الثامنة والدقيقة ٢٣

يوثي له بالماء لغسل لحيته في الساعة
التاسعة والدقيقة ٣٧

يلبس اثوابه في الساعة التاسعة
والدقيقة ٤٠

ومن الساعة الحادية عشرة ونصف
صباحاً الى منتصف الليل يمكث في
الكلوب

والنتيجة ان تلك اللائحة كانت
جامعة لجميع ما يحتاج الخادم الى معرفته
اما خزانة الملابس فكانت الملابس
فيها مرتبة على شكل عجيب فان كل
قطعة منها كانت معينة بفترة متسلسلة
ومقيدة في دفتر : صادر : ودفتر : وارد :
ذكر فيها الزمن والفصل اللذين تلبس
فيها وكان للاخذية ترتيب اخر ليس
باقل غربة من هذا الترتيب

وفي الجملة ان تلك الدار كانت
مرآة الترتيب ونموذج الانتظام ليس فيها
شيء عدم الفائدة وكان فيها للمسترفوج

جواسيس ماهرين من دهاة رجال
الشرطة ليبحثوا عن اللصوص الذين
ارتكبوا هذه الجريمة ولنا مل الامل
بنجاحهم

اندراس ستوار . هل يعرف
البصاصون شيه اللص

جوتيه رولف . هل نظن ان
مرتكب هذه السرقة لص . لا وايبك

اندراس ستوار . الانطلق لقب
لص على من سرق مثل هذا القدر
العظيم من المال اي خمسة وخمسين الف
ليرة او مليون و ٢٧٥٠٠٠ فرنك

جان سيليفان من كان مرتكباً مثل
هذه السرقة يدعى معتزلاً لا لصاً

فيلاس فوج . ان صحيفة المحادث
اليومية تزعم ان الجاني يعد من اشرف
الانكليز وان هذه السرقة حدثت في ٢٦
سبتمبر على هذا الموال كما تقول جميع جرائد
الولايات المتحدة وذلك ان امين الصندوق
بينما كان يقيد في الدفاتر دخل ثلاثة شلينات
ونسين وعلى مكتبه عدد من السفايح
بقيمة خمسة وخمسين الف ليرة اذا غفلت
يد اللص من غير ان يشعر به احد

بنائها قدر وافر من الدنانير لا يتقص عن
ثلاثة ملايين من الفرنكات فدخل غرفة
فيها ذات تسع منافذ تشرف على حديقة
نضرة يكسوها الربيع بساطاً سندسياً مزينا
بالازهار والرياحين وكانت هذه الغرفة
معدة لتناول الطعام فجلس على المائدة
المعتادة ومد له الساط فتناول الغداء
وفي الساعة الثانية عشرة والدقيقة ٤٧
نهض عن المائدة ودخل قاعة المجلس
فتناول الحادام جريدة التيمس فتناولها من
يده واخذ يقرأ فصولها بالامعان واستمر
كذلك الى الساعة الثالثة والدقيقة ٤٥
وبعدها تناول جريدة الستاندرد وقضى
في مطالعتها وقتاً طويلاً

وبعد ان فرغ من المطالعة وفد
عليه زملاؤه الكلفون مثله بلعب الويست
فجرت بينهم المحاوراة الآتية

توما فلاناجان . ما عندك يا صاحبي
من العلم بامر السرقة التي نكب بها البنك
اندراس ستوار . سبقوم البنك
بادائها من عين ماله

جوتيه رولف . قد ارسلنا الى جميع
مرافق اوربا وامريكا ونفور الارض

جوتيهِ رولف . من المستحيل ان
يتنبه المرء لأمرين في وقت واحد فقد
روى احد المتقدمين على العادات
الانكليزية انه مرَّ يوماً ما بينك لوندريه
فرأى على مكتب امين الصندوق سبيكة
من الذهب تزن من سبعة الى ثمانية
ليبرات فتناولتها بيدي لاتفرج عليها ثم
تناولها رجل كان بالقرب مني للتصدي
ذاته وهذا دفعها لذاك وذاك لآخر وهكذا
اخذت تنقل من يد الى اخرى حتى
وصلت الى يد من كان في منتهى دهليز
البنك ولم تعد الى محلها الاصلى الا بعد
نصف ساعة وذلك بدون ان يشعر امين
الصندوق باخذها ونقلها على اكف
المتفرجين او برجوعها الى مكانها فبناء
على ما تقدم لا يصعب التصديق بحدوث
السرقة التي نحن بصددتها فان مستخدمى
البنك يحسنون الظن بكل انسان وليس
لديه خفاء يراقبون ما يجري حوله والذهب
والفضة كما لا يخفى مطمح انظار اللصوص
فتأمل

وقد اتشر خبر هذه السرقة في جميع
انحاء لوندريه فحدث بامرها القوم واهتمت

الحكومة بالبحث عن مرتكبها فبعثت
بالعدد العديد من دهاء الجواسيس
والمفتشين الى اهم المراتى كليفربول
وجلاسكو وهافر والسويس وبرندزي
ونيو يورك وغيرها ليراقبوا المسافرين ذهاباً
وابائاً ويقيموا فيها الى ان يلقوا الايضاحات
اللازمة عن شبه السارق وقد رسمت
لمن يقبض عليه بمجائزة قدرها الف الفيرة
وخمسة في المائة ما يضبط من المال
المسروق وقد قالت جريدة المحوادث
اليومية ان الحكومة اتصلت بعد عشاء
الاستقصاء الى حصر الشبهة في مرتكب
السرقة وكان رجلاً من الاعيان نظر
يوم حادث السرقة في قاعة بيت المال
بخطر الهولباء وقد اخذت رسمه وارسلته
الى جميع الجواسيس الباحثين الذين
ارسلتهم الى جميع الولايات المتحدة وغيرها
من اهم نفور الارض

وبالنظر الى هذه الاحباطات جزم
الناس في لوندريه بوقوع السارق في
قبضة الحكومة ثم حصل لهذه المادنة
بينهم اهية كبرى حتى صارت موضوع
احاديثهم اثناء الليل واطراف النهار

واسعة وأصبحت اليوم حرجة
 رولف حرجة بمعنى ان الانسان
 يقدر ان يجوبها بأسرع وقتاً عن ذي قبل
 بعشر مرات

فوج . وهذا ما يهد للسارق سبل
 الفرار . ثم قال . تفضل والعب يا مستر
 ستوار ولم يتو دور اللعب الأول حتى
 علت ضوضاء الجدال فقال ستوار
 ستوار . لله درك يا مستر رولف
 هل يصح ان تقول ان الارض صارت
 حرجة اذا كانت تطاف اليوم في مدة
 ثلاثة شهور

فوج . في ثمانين يوماً فقط
 جان سيليفان . في الحقيقة ان
 الارض قد امست تطاف اليوم في ثمانين
 يوماً لان المرحلة التي كانت بين روتال
 والله اباد لم يعد لها من اثر اليوم بسبب
 امتداد السكك الحديدية في اقطار الهند
 وهاك التقويم المأخوذ عن جريدة
 المحوادث اليومية للطواف حول الارض
 ايام

٧ من لوندرة الى السويس بطريق
 جبل شينيس وبرنزي على السفن

ولاسما بين اعضاء الكلوب الذين بهم
 الوقوف على الخبر اكثر من غيرهم لان
 المستر جوتيه رولف وكيل البنك المسروق
 من رجال هيتهم فلا عجب اذن اذا
 طال بينهم الجدال واختلفت منهم الاراء
 ومن جملة ما ذهبوا اليه الاقوال الاتية
 المستر رولف لا بد من وقوع
 السارق في قبضة الجواسيس لان الجائزة
 التي وعدناهم بها تقوي عزائمهم وتنهض
 همهم

ستوار ان حجبك ضعيفة ورائك
 غير سديدة

رولف . اين يذهب السارق وقد
 بنينا من حوله العيون والارصاد
 ستوار . ان الارض واسعة وانحاءها
 شاسعة

فيلاس فوج . كانت كذلك يوماً ما
 وقد طال الجدال بين هؤلاء
 الاعيان وهم جلوس امام طاولة الويست
 على هذا المنوال وقد تخلله العنف والمحنة
 في نهاية كل دور من ادوار اللعب وبعد
 برهة عاد القوم الى الجدال فقال المستر
 ستوار . كيف ان الارض كانت

غير اتبناه ورقة في اللعب تعرف بالدام)
 فيلاس فوج . نعم تطاف بالرغم عن
 هذه الموانع (وهنا قطع الجداول اللعب)
 اندراوس ستولر . نعم تطاف ولو
 اقتلع الهنود القضبان الحديدية واوقفوا
 القطارات واخطفوا العجلات ورجلوا
 الركاب حسبما تعودوا

فيلاس فوج . ولولو . . . (ورسى
 الى الارض بورقين من ورق اللعب)
 اندراوس ستوار . من يقول شيئاً
 يجب ان يقرن قوله بالعمل واستغفر الله
 عن قول بلا عمل

فيلاس فوج . قطعت جبهة قول
 كل خطيب فاني على اجابة ما تسألني
 قدير وما عليك سوى اعداد لوازم السفر
 فنرحل سوية وتري كل ذلك رأي العين
 وما راه كن مع

اندراس ستولر . معاذ الله ان
 اتقاد للطيش واركب الاخطار واقطمع
 الاسفار وانا سيف غني عنها ولكني اعد
 صكوك الرهان مع اي كان يريد ان
 يتبع الامر ويرحل هذه الرحلة التي
 لا نستطاع في تلك المدة المعينة وانني مستعد

البحارية والخطوط الحديدية

١٤ من السويس الى بومباي على

السفن التجارية

٢ من بومباي الى كلكتا على الخطوط
 الحديدية

١٥ من كلكتا الى كونكون (الصين)
 على السفن التجارية

٦ من كونكون الى يوكوهاما (اليابان)
 على السفن التجارية

٢٢ من يوكوهاما الى سان فرانسيسكو
 على السفن التجارية

٧ من سان فرانسيسكو الى نيويورك
 على الخطوط الحديدية

٩ من نيويورك الى لوندرو على الباخرة
 ثم الخطوط الحديدية

٨٠

والمجموع ثمانون يوماً

اندراس ستوار . اجل تطاف
 الدنيا في ثمانين يوماً انا لم يحدث في البحار
 انواء ولم تثر في الجو رياح ولم يطرأ على
 الخطوط الحديدية ما يؤخر السير عليها
 ولم تعطل القطارات . قال ذلك متهمكاً
 (ويضا هو آخذ في الكلام قطع على

من الحكمة ان يخاطر بئيل هذا القدر من
المال وبخاطر ايضا بالحياة في مثل هذه
الرحلة فربما لقيت في سفرك ما ليس في
الحسبان

فوج . مها حال دون عزمي فاني
واثق بنجاح هذه المهمة

سليمان . ان هذه المدة التي تحددها
للطواف حول الارض جريدة الحوادث
اليومية قليلة جدا

فوج . ان القليل مع حسن استعانه
كثير

سليمان . حذر حذار من ضياع
الزمان فاعتبر انه يجب عليك ان تثقل
من السفن التجارية الى قطارات السكك
الحديدية ومن هذه الى تلك من غير
استراحة فيصعب عليك تكبد هذه المشاق
وما اغنى فوادك عنها

فوج . ان رب البيت ادرى بالذي
فيه

سليمان . دع الهزل فاني اراك تمزج
فوج . بين الهزل والمجد بون عظيم
وما الهزل من دأب الانكليز فاني قد
عقدت العزم على الطواف حول الارض

ان ادفع اربعة الاف ليرة انكليزية اي
مائة الف فرنك قيمة الرهن

فيلاس فوج . يمكن ذلك بسهولة
وانا اقوم بهذه الرحلة ولكن على مصاريفك

اندر اوس ستوار . قاتل الله العناد
والاستقلال بالرأي فتقدم للعب فارن

اللعب في هذه الجلسة خير من ضياع
الوقت سدي

ثم تناول ستوار الورق بيده واعاده
الى المسترفوج قائلا له :

دع الهزل جائنا فاذا شئت عقدت
معك رهانا على اربعة الاف ليرة

فالتين . لم جركا المجدال الى
هذه الحال مع ان الكلام كان في بادئ

الامر من قبيل المسامحة
سقولر . لا ارجع عن كلامي

فوج . لي في بنك بارتن اخوان مبلغ
عشرين الف ليرة فانا مستعد لان اعقد

عليه رهانا مع كل من يطلب ان اطوف
حول الارض في ثمانين يوما

سليمان . ترو في الامر بما مسترفوج
فان العجلة يعقبها الندم ولذلك يجب ان

يسبق العمل التروي والامعان وليس

لما بقية المتراهنين فقد اخذ الاضطراب
منهم كل مأخذ وعلت وجوههم سمات
الحيرة لا خوفاً من خسارة قيمة الرهن بل
ما عساه ان يرشقهم به سكان لوندرة من
سهام اللوم ونبال التعنيف اتقياداً منهم
الكلمة تكون نتيجة الطيش واستئلال الرأي
وبعد التوقيع استأنفوا اللعب ثم
امسكوا عنه بحلول الساعة السابعة ليتمكن
المستر فوج من التأهب للسفر اما هو
فالتفت اليهم قائلاً اني في استعداد تام
ولا شيء يعوقني ثم رى ورقة دهناري
وقال لعب يا مستر ستوار

الفصل الرابع

في تعجب باسبارتو من سيده

فيلاس فوج

استأذن فيلاس فوج رفاقه بالانصراف
في الساعة السابعة والدقيقة ٢٥ فافتدى
عنهم بعد ان وضع في جيبه ما ربحه في
اللعب وقدره ٢٠ جنهما وعند الساعة
السابعة والدقيقة ٥٠ دخل داره واستدعى
خادمه مثنى وثلاث ورباع فلم يجبه وذلك
لفرط ما استولى عليه من العجب والاندھال
عندما رأى مولاة آتياً قبل منتصف الليل

في ثمانين يوماً اعني في تسع عشرة مائة
وعشرين ساعة او مائة وخمسة عشر ألفاً
ومائتي دقيقة

ولما تاكد اعضاء الكلوب ذلك
العزم قالوا قبلنا فاجابهم المستر فوج اني
والحالة هذه ساركب القطار الذي يقوم
من محطة دوفر في الساعة الثامنة والدقيقة
٤٥ من هذه الليلة ليلة الاربعاء الواقع
في ٢ اكتوبر وستكون عودتي الى لوندرة
يوم السبت الموافق ٢١ ديسمبر فادخل هذه
القاعة قاعة الكلوب التي نحن فيها الان
واذا اخلفت الوعد فاكون قد خسرت
قيمة الرهن ومبلغ العشرين الف ليرة
المطلوبة لي من بارين اخوان ثم كتب
صك الرهان ووقع عليه المتراهنون وكانوا
سنة اثنا عشر وبعد التوقيع لبث المستر
فوج على جاري عادته ثابت الجنان غير
مضطرب البال او خائف على ماله وان
يبتد لانه عزم ان يتفق في رحلته العشرين
الف ليرة واذا خسر الرهان يكون في
الواقع قد فقد مثل هذا القدر ايضاً من
المال فان ثروته كانت لا تزيد عن
اربعين الف ليرة

على غير ما جرت عليه العادة والنجاة
باب صومعته على عجل . ثم بعد ان
سكن جاش الخادم هرع الى غرفة مولاه
وامثل بين يديه منتظراً امراً يقضيه
فابدره اذ ذاك بالسؤال قائلاً ناديتك
كثيراً ولم تجبني فقال له - لم يحسن
ياسيدي الوقت الذي تعود فيه الى
البيت على جاري العادة اذ لم يحل
متصف الليل بعد . قال هذا واخرج من
جيبه ساعة فضية ضخمة الحجم
فوج . طب نفسك وسكن روعك
فاني لم اسق البك الكلام من قبيل الملام
بل لاهد لك الخبر تمهيداً وانبتك اني
قد عزمت على السفر فتهياً لترحل اولاً

الى دوفر ثم الى كاليه بعد عشر دقائق
من الزمان ومن كاليه نسير على قصد
الطواف حول الارض في ثمانين يوماً
واعلم ان ليس لنا من الوقت دقيقة او
ثانية نصرفها سدى فانهب واعدد جعبة
السفر وضع لي فيها قبضين من المنسوجات
الصوفية وثلاثة ازواج من الجوارب
ولك مثلها ولا تنس عباة في وغطاء النوم
وما يلزمنا غير ذلك نبتاعه اثناء الطريق

فلما سمع الخادم بذكر السفر حارفي
امر سيدة ثم وقف موقف التعجب فضرب
اخماساً لاسداس وهم ان يعارض مولاه
لولا ان تجذبه جاذبة الاحترام له فلزم
السكون بالنظر الى ما رأى من رغبة
مولاه في سرعة السفر فخرج من لدنه
واهن القوى لا يدي حراً كالفق الببال
مضطرب الفكر ثم دخل اوضته وانطرح
على كرسي كان فيها فتأوه وتنفس الصعداء
حتى كاد يخنقه البكاء ثم ردد في نفسه
قوله : طالما رغبت في الراحة ولم يبلغ
منها المراد كرهت سالف ايامي التي
قضيتها بتعليل الامال والان اصبحت
ابكي عليها

ربّ يوم بكيت منه فلما
صرت في غيره بكيت عليه
قال . ولقد علقت النفس باللذة
المستمرة والتمتع برغد العيش ولكن
ما كل ما يتمنى المرء يدركه
تجري الرياح بالانشي البفن
ثم نهض يغالب الغم والكمد ويحاول
الاستمسك بعري الصبر ويسأل الله
المعونة ويهيئ لوازم السفر والافكار

عليها والاعتباه لها لان من داخلها اوراقاً ذات قيمة ٥٠٠٠٠٠ فرنك وبعد ذلك استعلم منه عما اذا كان اعد كلها اشار اليه باءـ اده فتناول الخادم الجعبة بيدين مرتجبتين من ثقلها كأنه تصور ان القيمة التي فيها ذهب رنان وما كانت الا اوراقاً لا تزيد في الثقل عن مثقال ذرة

ثم خرج فوج وخادمه من الدار وغادراها وشأنها مغلقة الابواب فانطلقا الى اخر شارع ساقيل حيث توجد محطة للعربات فركبا عربةً واتجها عليها الى المحطة المعروفة بمحطة شارين كروس التي يفرع منها الخط الحديدي المعروف بالخط الجنوبي الشرقي وخند وصولها اعلن جرس الساعة الكبيرة ان الوقت بانغ اذ ذاك حد الساعة الثامنة والدقيقة ٢٠ وريثاً وقفت بهما العربة نزل الخادم منها قبل مولا

وكان سبب نزول الخادم قبل سيده ان المسترفوج (مولا) بينما كان يتند سائق العربة اجرته تقدمت نحوه امرأة فقيرة عليها علائم الفاقة تتودب بها اليه طفلاً وتبسط يدها اليسرى لطلب

تلاعب في رأسه تلاعب الهواء في اوراق الشجر فكان تارة يذهب الى امكان عدم تحقق المقال وطوراً يجزم بصحة الخبر وكانت تمر برأسه هذه الافكار ولا يهندي الى حقيقة الامر سبيلاً

وبما كان مفكراً فيها طراً على عادات مولا فبدلها وعلى اخلاقه فغيرها وكيف كان محباً للعزلة فنجح الى الاسفار اذا به هش وبش واصبح باسم الثغر بعد ان كان مقطب الوجه وذلك اثر علمه بانه سيمر على دوفر فيدوس ارض الوطن العزيز ويمتع العين برأى باريس عاصمة بلاده التي كان يأمل ان يمر بها ويجلو بمشاهدتها عن فواده صدأ الكمد وعن قلبه غياهب الغم

وعند الساعة الثامنة احتمل جعبة السفر وذهب للقاء مولا فوجده قائماً على قدم الاستعداد للمسير متأبطاً كتاباً مرشداً الى مواعيد سفر القطارات والبواخر في انحاء البسيطة وريثاً دنا منه تناول فوج الجعبة ففتحها واودعها قدراً من السفلج المتداوله في جميع بنوكه الارض ثم اعادها اليه واوصاه بزيادة الاحتراس

دسمبر من السنة التجارية (١٨٧٣)
(في الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ من
المساء

فقال نعم واستودعكم الله الى يوم
اللقاء

ثم ركب القطار مع خادمه في الساعة
الثامنة والدقيقة ٤٥ مساءً نحت جمح بلبل
اقبل عليه بمجوش ظلام ضارباً في الافاق
خمام القمام

وكان الجوّ قد دكن والسحاب
اسودت فتدفق منها المطر وهت
العواصف وثار الانواء ولججت الرعود
القواصف ولعلت سيوف البرق على
صفحات الفضاء وكان فيلاس فوج
متوكتلاً على كفيه منزوياً في احدى زوايا
العربة لا يفوه ببنت شفة وبالقرب منه
خادمه قابضاً على الجمجة بيديه يضمها
اليه حرصاً على ما تحوي عليه من
الاوراق الثينة . ثم ان القطار لم يجاوز
سيدنهام . حتى صرخ الخادم صراخ
الآيس وبكى البكاء البائس فسأله موله
عن السبب فلزم الصمت واجفاً فاعاد
عليه السؤال فاجاب واجفاً . . . قال

الاحسان ملتحفه بلباس رثة فعندما وقع
نظره عليها تحركت فيه عواطف الشفقة
فاخرج من جيبه العشرين جنبها التي
كان قد ربحها في لعب (الويست)
ودفعها اليها قائلاً لها . خذي يا امرأة هذه
النقود وسدي عوزك بها واحدي ربك
على كل حال

قال هذا وانطلق الى قاعة الاستراحة
فتبعه خادمه مسروراً بما كان فرحاً ببل
مولاه الى عمل الاحسان وصنع المبرات
وعندما استقر بالسيد المقام قد خادمه
بعض الدراهم فاخذ بها تذكرتين للروور
على مقتضاها في قطارات السكة الحديدية
بالدرجة الاولى الى مدينة باريس

وكان عند المحطة رفاق المسترفوج
المترهنون معه فبادلوا النظرات والتحيات
ثم وجه المسترفوج اليهم الخطاب فقال
انا ذاهب كما علمتم لانجاز ما وعدتكم
به وقد اخذت معي تذكرة سفري التي
ساحملها في قنصلية دولتي في كل بلدة
امرئ بها لتكونوا على اقتناع بواقع رحلتي
فقال المستر ستورل . لا يخفك ان
رجوعك سيكون يوم السبت الواقع في ٢١

تخطيطة المسترفوج لتعمله تبعة تلك الرحلة
واحتمال مشاقها لكونها ليست بممكنة
النوال على مثل هذا المتوال بل تعد
ضرباً من الحال . ومن اشهر تلك الجرائد
التيبس والستاندارد والافنين ستارد
والمورنين كرونكل وغيرها بما يبلغ مجموعه
العشرين عدداً ولم تصوب رأيه الا جريدة
الدالي تلغراف فانها حكمت بامكان ظهور
ذلك التصور الى عالم الفعل

وقد كثر في تلك الفرصة المشوقون
لمطالعة الجرائد فلم يبق كبيراً او صغير
عظيم او خفي الا انكتب على قراءة الصحف
وامعان النظر في منشوراتها المتعلقة بطواف
فيلاس فوج حول الارض وفيما كانت
ترويه عن السنة المتحدثين في مجلس
القوم بتصويب اسم اللوم نحو فيلاس
فوج بحيث لم يبق احد من كبار اهالي
العاصمة الانكليزية الا سلقه بالسنة حداد
وانزله منزلة المجهولة الاغبياء الذين استولى
عليهم الحمق وتولام الجنون

ولقد حدث في بعض الايام الاوائل
من سفر فيلاس فوج ان جريدة
الايلوستراند لندن نشرت فصلاً طويلاً

بالنظر الى العجلة ... نسيت ---

فقال فوج وماذا نسيت ---

— نسيت المصباح موقداً في اوضتي
فقال المسترفوج وسيتبقى موقداً على حسابك
الفصل الخامس

في اذاعة خبر حديث في انحاء لوندرة
لم يكن المسترفوج يجمل قبل
مبارحته للوندرة ان الاسن العاذلة
ستداول خبر رحلته وتتاول المتديبات
الحافلة حديث سفرته وتلهج الجرائد بذكرها
وتتناقل انباءها وتصح مداولات النهار
وتسي سمر الليل في جميع الممالك المتحدة
بالنظر الى اختلاف الطبقات والاجناس
وانشغاف الناس في تلك الاقطار بعلم
الجيوغرافيا واقبالهم عليه اقبال الظاء على
موارد الماء وتداعيمهم اليه تداعي الجياع
الى التصاع

وكان الامر بعد سفر المسترفوج
ان نهض كتاب الجرائد يقدحون زناد
الفكرة ويشحنون القريحة في كتابة
الفصول المطولة والمقالات المسهبه بائين
اراءهم مبدين افكارهم فكان كل من طالها
حكم هوارد خواطر كتابها واجماعها على

قالت . بالعجب كيف امال المسترفوج
نظره عن الموانع الطبيعية والعوائق المادية
التي تحول دونه لانجاز الوعد ويلوغ
القصـد . كيف انه جهل ما يلزم ان يكون
نصب العين من طوارق المحدثان على
الخطوط الحديدية التي لا تسلم من العطب
باجتيازها الهند في مدى ثلثة ايام والولايات
المتحدة في مدى سبعة ايام اخرى فتتأخر
عن الوصول في مواعيدها الى اماكنها
المقصودة وذلك على افتراض ان تخرج
في المسير عن الخطوط او تنشور عليها
العواصف ويساقط الثلج عليها كثيفاً
فاذا كان في اوربا لا يعتمد على قطارات
السكك الحديدية ان تصل في مواعيدها
المعينة فكيف بالهند وشنان بين اوربا
والهند

قالت . المربع المسترفوج انه يحتاج
ان يركب البحار على اجنحة البحار فاذا
ركبها وازيد البحر وهاج وتلاطت فيه
الامواج تميل به الباخرة مع الهواء ذات
البمين وذات اليسار وتلقى ما يلجئها الى
التأخر اربعة او خمسة ايام عن الوصول
الى المراتى التي تقصدها ويكون اذ ذاك

فصيح العبارة وذيلته بصورة فيلاس وضمتته
الاسانيد الدامغة على نجاح مشروعه فاقبل
الناس على قرأته من كلا الجنسين فمنهم
من اخذ بتناصر فوج زاعمين انهم سمعوا
بما هو اشد منه غرابة وقائلين ان ليس في
الكون شيء غير ممكن ما هو خاضع لاحكام
الطبيعة

وقد شفع هذا الفصل بفصل اخر
نشرته جريدة الدالي لتلغراف باحثه في
ارجحية الامر من حيث امكان حدوثه
فاصفت اليه الاذان بل رخ في
الاذنان

والطير قد يسوقه للموت

اصفاق الى حين الصوت

ولكن لنكد الطالع ما لبثت جريدة
الدالي لتلغراف ان وهنت قواها وكلت
عزائنها وغيرت رأبها وبدلت مشربها
وقد نشرت جريدة الجمعية الجيوغرافية
الملكية فصلاً طويلاً في تاريخ ٧ اكتوبر
تخاملت فيه على المسترفوج ورمته بضعف
العقل والحمق واختلال الشعور لتحديده
ميعاداً قصيراً وزمناً يسيراً لانمام رحلته
المهمة فقالت : ان التقدير يعي البصر . ثم

الجيوغرافية بخمسة ايام وعند ذلك هبطت
اوراق المسترفوج هبوطاً فاحشاً اذ سرخ
في عقول القوم انه يستحيل عليه انجاز
رحلته وايقنوا ان آمالم لا تتحقق بعد ان
كانوا آملين بالنجاح

وكان بين هؤلاء المشتغلين بامر
المسترفيلاس رجل طاعن في السن
يدعى اللورد الهرمال فهذا اللورد كان
يود ان يهب كل ماله لمن يطوف به
الدنيا ولو بعشر سنين ولذلك لبث وحده
متشيعاً لمسترفيلاس وضامناً له النجاح
وقد تراهن مع آخر على ذلك فعرض ان
يدفع خمسة الاف ليره اذا لم يصدق في
حسابه ولما كان جلase يتجادبون معه
باطراف الجدال ويوردون له جميع الاقوال
المجازمة بخيبة الامال كان يجيبهم قائلاً:
اذا لم تأت المهمة التي اتخذ فيلاس تبعتها
على نفسه بالفائدة المتصورة فحسبنا افتخاراً
ان رجلاً أنكليزياً قام بتضائها

وحدث انه في الساعة التاسعة من
مساء ذلك اليوم تلقى رئيس الشرطة في
لوندرة تلغرافاً هذا تعريبه
(انا سائروراه لص البنك فيلاس

قد انقطع خط الوايورات عن اطراد
المواصلات وبمناج رجل الرحلة الى
الانتظار مدةً ليلاً يأتي البريد الثاني
فيجمله الى حيث يريد وهذا يكفي للحوق
الخلل بحسابه . انتهى

وقد كان لشهر هذا الفصل وقع
حسن في نفوس القراء فقتله جميع الصحف
وشغفته بالشروح والزيادات

اما سكان لوندرة فطفقوا يتراهنون
على نجاح رجل الرحلة او عدمه حتى
اصبحت اشغال الاكتساب محصورة في
صكوك الرهان

ولا اكنتم عن القراء الكرام ان الانكليز
تميل بهم فطرتهم الغريزية الى الرهان
فجعلوا لذلك اوراقاً لفيلاس فوج تداولها
الايدي كاوراق البورصة فكانت اسعارها
ترتفع تارة وتهبط طوراً من غير ان تستقر
على حال

كريشة في مهب الريح طائفة
لا تستقر على حال من القلق
وقد استمرت هذه الاوراق على هذه
الحال بين هبوطٍ وارتفاع الى ما بعد
نشر ذلك الفصل في جريدة الجمعية

نحو ما يأتي :

حدث أنه في الساعة الحادية عشرة من صبيحة يوم الأربعاء الموافق ٩ أكتوبر تقاطرت الجموع في مدينة السويس الى الرصيف لانتظار وصول الباخرة مونجوليه من بواخر الشركة الشرقية في البحر المتوسط المصنفة بالحديد والتي محمولا الفان وثمانمائة طن وقوتها خمسمائة حصان وخطه سيرها واقعة ما بين برنديزي وبومباي بطريق السويس وهي من افضل بواخر الشركة واسرعها سيرا ومعدل سيرها بين برنديزي والسويس عشرة اميال وبين السويس وبومباي تسعة اميال ونصف ميل

وكان يندمج بين اولئك الجموع المختلفي الاجناس المتظرين وصول الباخرة الى مرفاء السويس (وهي المدينة التي احيا الموسيودي لسبس رسمها وهيا لها مستقبلاً سعيداً) رجلا ن تمشيان على رصيف البحر احدهما وكيل قنصلية حكومة الولايات المتحدة وكان ينظر بعين الفكر الى مرور السفن الانكليزية بترعة السويس ونهاها الى الهند بمسافة نصف المدة التي

فوج . ارسل حالا امرا الى بومباي بالقاء القبض عليه)

(الامضاء)

فيكس

فكان لورود هذا التلفراف تأثير عظيم في سكان لوندرة . وكان فيلاس في الواقع يشبه بوجهه واعتدال قوامه ذاك الرجل الذي اعطيت جميع صفاته لرجال البوليس ليقبضوا عليه

وعندما علم الناس بهذا التلفراف هاجت فيهم سواكن الظنون واخذوا بالغيب يرجحون وينكرون على المستر فيلاس رحلته بحجة الطواف حول الارض في ثمانين يوما وأنه لا بد ان يكون الامر سر عظيم يخالف الظاهر والله اعلم بالسرائر لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى

حتى يراق على جوانبه الدم

الفصل السادس

كيف ان فيكس اصاب في

قلة الاصطبار

ان الفرص التي سحقت لفيكس وبعثته على ارسال التلفراف الذي تقدم عليه الكلام في الفصل السابق كانت على

كانت تقضيها في الذهاب اليها عندما كانت تتخذ راس الرجاء الصالح طريقاً لها فكان يهيج فيه هذا التأمل عامل المحمد ويثور عليه الانفعال النفسي والغیظ من حكومته لعدم قيامها بهذا العمل الخطير دون سواها

والثاني رجل قصير القامة نحيف الجسم تلوح عليه مخايل النجاسة والذكاء نوعين زرقاوين تنفذ اشعثها من بين اهدابها المسترسلة على الوجنتين وكان يلوح عليه انه مصاب بداء الاعصاب وكان يمشي بهجة في الذهاب وقلة صبر في الاياب وكان اسمه فيكس وهو احد رجال الشرطة الانكليزية الذي جاء من قبل حكومته مينا السويس بصفة جاسوس يراقب جميع الزاهيين الى الافطار الهندية بقية الاكتشاف على اللص سارق بنك الملكة فيكله بالتيود وينال على القبض عليه الجزاء المهود والمبلغ الموعود . وكان منذ يومين قد تلقى رسم شبه السارق من قبل مدير عموم البوليس في لوندرة فكان لذلك في انتظار وصول الباخرة بفروغ صبر بحيث كان كلما مرت دقيقة

خالها ساعة ومن فرط ما كان مستعوداً عليه من القلق اخذ بالاستعلام من حضرة القنصل عما اذا كان من المحتمل ان تبطل الباخرة عن مواعيد حضورها فاجابه لا لكونها من اسرع السفن سيرا وقد حازت قصب السبق في سباق البواخر الذي تجربه الحكومة في كل سنة وجائزة خمسة وعشرين جنيهاً ومع هذا وذاك فانها وصلت بالامس الى بورسعيد وقد بقي عليها ان تقطع مائة وستين كيلومتراً لتصل الى هنا فقال - أَلَمْها تصل من برنزي رأساً فاجاب - أجل فانها بارحت برنزي يوم السبت في نحو الساعة الخامسة بعد الظهر حاملة بريد الهند وستصل الينا عاجلاً فغالب اذا ما بك من قلة الصبر ولكن قل لي كيف يمكنك ان تعرف من التعليقات التي تلتينها شخص اللص اذا لم يكن على ظهر السفينة فاجاب بالبداهة وحسن التفرس كما عرفت غيره من قبله فقبضت عليه واذا لم يكن اللص على ظهر الباخرة فلا يقلن من يدي ايها كان - فقال له القنصل اتني لك ان تصيب المرمى وتنج في مهنتك لان

تنفيا ظلال المآذن وكانت الزوارق
تشق عباب المياه فتطرح الشباك لصيد
الاسماك وكان منها ما يطلق الى الباخرة
فينقل ركبها الى البر

وكان فيكس يجول بين المجموع
ويحديق بصره بكل منهم فلما حلت
الساعة العاشرة ونصف ولم تقبل السفينة
على المرفأ هاج فيه القلق فدنا من
القنصل وسأله قائلاً

الم تصل الباخرة بعد

ليست ببعيدة من المينا

كم من الزمان تمكث هنا

اربع ساعات متتالية اي الى ان
يتم تفريغ ثمنها ثم تذهب الى عدن قاطعة
الف وثلثمائة وعشرة اميال وهناك تذخر
الفم وسائر ما نحتاج اليه وبعد ذلك
تتوجه الى بومباي رأساً

اذا لم يكن اللص راكباً السفينة فلا
بدله ان ينزل منها الى السويس ليركب
سفينة أخرى تكون قاصدة مستعمرات
هولانده او فرنسا حيث يتسنى له الفرار
فانه لا مفر له من القبض عليه في الهند
الا انكليزية هذا اذا لم يكن اللص من زمرة

السرقه مهمه . قال . وليس اهم من سرقة
خمس وخمسين الف ليرة فلما سمعنا بئلهما
فقال القنصل اسأل لك التجاح ولكن
ارى ذلك صعباً عليك فالتعليقات التي
وردت اليك تدل على ان اللص شخص
ذو هيئة تدل على كونه من خيار الناس
وعطاء القوم

فقال فيكس ان كبار اللصوص
يرتدون من الملابس افخرها ويتظاهرون
من الاخلاق بافضلها فيتمصون ثوب
الكرامة وما هم بكرام ليدفعوا عنهم الشبهات
ولا يكونوا عرضة للقليل والقال وهدفاً
للام العذال بل يارسون مهنتهم بمزيد
الحذق والدهاء فلا يمشون في الارض
مرحاً او يصرفون بغير تأن وتديرو ذلك
خشية ان يكشف امرهم ويعلن سرهم

ولما اقبل زمن وصول الباخرة اخذ
الناس يتقاطرون افواجا حتى غصت بهم
الارصفة وحتى كاد الزحام ينهم من
الحركة فمنهم نوبتون من جميع الاجناس
ومنهم تجار وساسة وحاملون وفلاحون
وكان الوقت رائتاً والجو صافياً والهواء
لطيفاً منعشاً والمنظر مبهِجاً وفحات المدينة

فيكس التذكرة من يده وقراً بحجلة
العلامات المعتادة الدالة على هيئة صاحبها
فاذا بها مطابقة تماماً للعلامات التي تلقى
العلم بها من مدير عموم البوليس فسر
بذلك واخذت يده ترتجف ارتجاف
الفرح وفواده يرقص طرباً ثم سأل
سائله بقوله

هل تختص هذه التذكرة
لابل هي لمولاي
واين هو

لم يزل في السفينة
يجب ان يحضر بذاته الى مكتب
القنصلية

وهل هذا الامر ضروري
نعم ولا يتم شيء الا باتمامه
واين مكتب القنصلية
في متنتى هذا الشارع
(واشار الى منزل لا يبعد عن
محلها سوى مائتي قدم)

انا عائد لانادي مولاي ولا شك
ان هذه المتعة لا ترضيه ثم حي فيكس
ونذهب

الاشتباه فانه يفضل المكوث في لوندريه
والبقاء فيها
وبما كان فيكس يقلب اوجه المسألة
ويتأملها اذ تركه القنصل وتوجه الى
مكتب القنصلية الذي لا يبعد عن المحطة
فبقي فيكس يرقب وصول الباخرة بقلة
اصطبار كأنه واثق بوجود اللص فيها
فانه ادرك سهولة فراره من هذه الطريق
وصعوبة هربه من طريق بحر الاتلاتيك
وفيا كان غائصاً في بحار الافكار تائهاً في
مفاوز التأمل اذا بضوضاء قامت تحت
السما وصفير يطرق الاذان وطائفة
الحمالين تتسابق الى الرصيف لتحمل امتعة
الركاب فتنبه فيكس من غفلته واجال
نظره فرأى الاصابع تشير الى السفينة التي
رست في الميناء في نحو الساعة الحادية
عشرة اما الركاب الذين كانوا فيها فكانوا
عديدين واكثرهم لبثوا على ظهرها يصرون
عن بعد موقع المدينة وروقتها
وكان فيكس يتوسم اوجه الخارجين
من البحر ويقلب فيهم الطرف فرأى رجلاً
بيده تذكرة مرور يتخلل الجموع فدنا منه
وسأله عن مركز قنصلية انكلترة فتناول

الفصل السابع

في ان تسجيل تذكرة المرور ليس الزامياً
بارح فيكس الرصيف وانطلق الى
مكتب القنصلية وما لبث ان وصل اليه
وبالرغم عن معارضة الحجاب ولج الباب
بلا استئذان وقبل ان يتندر القنصل
بالسلام ساق اليه الكلام فقال

بالادلة الكافية والعلامم الوافية ظهر
اللس على ظهر الباخرة مونجوليه وقد
خرج خادمه الى البروقصد الحضور اليك
لتسجيل تذكرة المرور

ثم قص عليه ما توقع له وبعد استيفاء
الحديث اجابه القنصل

كل لص او سارق يذل جهده
في سبيل مواراة خبره ومخواتره ولا يبحث
عن حشفه بظلفه ولذلك تراني مرتاباً
فبين وقع عليه ظنك بل غير مصدق
ان يكون هو اللص المتصود فان اللص
لا يجسر على الحضور الى دار القنصلية
لتسجيل تذكرة سفره في حالة كونه ليس
بالامر الالزامي

ان اللصوص يستعينون احياناً بتسجيل
تذاكر سفرهم ليسهل عليهم الفرار واني

لعل وطيد امل ان مولاي بأبي عليه
التسجيل اذا لم يمثل بين يديه
ليس لي وجه للاباة اذا لم تكن
تذكرته قانونية

في عزمي ان التقي القبض عليه هنا
لبيتنا تصلني التعلبات بشأته من لوندرو
انت ادري بواجباتك من غيرك
اما انا فلا استطيع ان ...

ولم يتم كلامه حتى قرع الباب ودخل
عليه احد الحجاب برجلين غريبين وكان
احدهما المسترفوج والثاني خادمه وبعد
السلام قدم المسترفوج للقنصل تذكرة
سفره راجياً تسجيلها فاخذها القنصل وقلبها
ظهراً لبطن ثم قرأها منعماً فيها النظر
وبعد ان قرأها سأل صاحبها :

هل انت المسترفوج

نعم يا مولاي

وهل هذا الرجل هو خادمك
(واشار الى باسبارتو)

اجل وهو فرنسوي يدعى باسبارتو
وانت آت من لندن

نعم

والي ابن انت ذاهب

ثم خرج من لندن القنصل يبحث عن
باسبارتو

اما فيلاس فوج فبعد خروجه من
دار القنصلية قصد جهة المينا ومنها ركب
قارباً فارصله الى الباخرة فبعد اليها
ودخل فيها حجرته واخذ دفترًا مخصصاً
للاشتغال على الايضاحات الآتية

بارحنا لندن في الساعة الثامنة
والدقيقة ٤٥ من صباح الاربعاء الواقع
في ٢ اكتوبر ووصلنا الى باريس في
الساعة السابعة والدقيقة ٢٠ من صباح
يوم الخميس الواقع في ٣ اكتوبر

خرجنا من باريس في الساعة الثامنة
والدقيقة ٤٠ من صباح الخميس الواقع
في ٣ اكتوبر ووصلنا الى تورينو من
طريق جبل سينيس في الساعة السادسة
والدقيقة ٢٥ من صباح يوم الجمعة
(٤ اكتوبر)

بارحنا تورينو في نحو الساعة السابعة
والدقيقة ٢٠ من صباح اليوم ذاته فوصلنا
الى برنزي في الساعة الرابعة من مساء
يوم السبت الواقع في ٥ اكتوبر
وفي الساعة الخامسة من اليوم المذكور

الى بومباي
اعلم ان تسجيل التذاكر ليس امرًا
الزاميًا
اعلم ذلك ولكن اطلب اليك تسجيلها
لأمر بي

فليكن كتولك
ولحال تناول القنصل ختم القنصلية
فحسبها به وخط فوقها تاريخ التسجيل ثم
اعادها اليه فاخذها وتقد القنصل الرسم
ثم حياه وخرج من لدنه عائداً الى الباخرة
وانفق انه بعد خروجه ظهر فيكس
من خبائه ووجه اليه القنصل الخطاب
الاني

ماذا رأيت فيه
علامات الاستقامة والشرف
الم تر فيه علامات اللاص واحدة
بعد اخرى

ربما تكون فيه بعض العلامات
التي تشير اليها لا جميعها
بل جميعها يا مولاي وتحققاً للظنون
ها اما ذاهب لائق خادمه الذي يلزم ان
يكون مهذاراً وسلم الطوية لكونه فرنسويًا
فلا يخفى خافية على سائليه

ركبتا الباخرة مونجليه قاصدين السويس
فوصلنا اليها في الساعة الحادية عشرة
من صباح الاربعاء تاسع اكتوبر فيكون
مجموع ساعات سفرنا مائة وثلاثي وخمسين
ساعة وخمس وعشرين دقيقة اي ستة
ايام ونصف يوم

وكان المسترفوج يرق هذه التواريخ
في دفتر خصصه لرحلته يتدئ من
ثاني اكتوبر وينتهي في الحادي والعشرين
من ديسمبر وقد اتخذ ليان الاشهر
والاسابيع والايام ومواقيت الوصول
الاعتيادية الى كل من المدن الاتية
اسماؤها

باريس

برنيزي

السويس

بومباي

كلكتوتا

سنباجور

كون كون

بوكاهاما

سان فرنسيسكو

نيويورك

ليفربول

لوندرة

وقد قصد بذلك ان يبين الساعات
المكتسبة في السفر فيعلم اذا كان متقدماً
او متأخراً عن المواعيد المقررة لرحلته .
وكان وصوله الى السويس في الميعاد
المضروب له من غير تقدم او تأخير

الفصل الثامن

الحلم زين والسكوت سلامة

فاذا نطقت فلا تكن مكثرا

ما ان ندمت على سكوتي مرة

الا ندمت على الكلام مرارا

بينما كان باسبارتو يتش على رصيف

المينا ويقلب الطرف في مناظر لم تخطر

له بخاطر اذا يفتكس وفد عليه فاقترب

منه واخذ يكلمه بما يأتي :

لهلك تكون قد انهيت تسجيل

تذكرة المرور . . فاني اراك طامح الفولاذ

بالسرور تحيل طرفك في منظر هذه

المدينة البهيم

اهلاً بك ومرحباً ايها الصديق . نعم

قد انجزنا اعمالنا ولم يبق مانع يحول دون

فرنا سوى سير الباخرة ولا اخفي عليك

لا لم يحل وقت الظهر بعد وما
الساعة الان الا ٩ والدقيقة ٥٢ (قال
ذلك واخرج ساعة ضخمة من جيبه)

الان حل وقت الظهر تمامًا وساعتك
تؤخر ساعتين في الدلالة على الوقت
وربما كان هذا التأخير ناشئاً عن تطبيقها
على ساعة لوندريه فحصل الفرق لذلك
فعليك بضبطها على ساعة السويس لتتمكن
من معرفة سير الارض حول الشمس

سيان عندي وقفت على معرفة
الافاق اولم اقف فعلى الوقت ان يسير
على مقتضى سير ساعتى التي ورثتها عن
اجدادى ولا تؤخر في السنة خمس دقائق
العلم قادمين من لوندريه رأساً
نم وقد بارحناها من يوم الاربعاء
والى اين مولاك ذاهب

ليطوف الكون في ثمانين يوماً وقد
عقد رهائاً على ذلك زاعماً انه يتم الامر
الذي لا اخاله ممكن الحصول وانا اطلب
ليك الا تبوح بالخبر لاحد من البشر
فاعرفه واحفظه في زوايا الصدور

— وانا لا اخال ذلك بمنهل الحدوث
ايضاً ولا بد ان يكون من طي الامرار

انذهالي من سيرنا السريع فاني اكاد لا
اصدق بوصولنا الى مدينة السويس
المصرية والبقعة الافريقية واوشك ألا
اتيقن بمبارحتنا لباريس عاصمة الفرنسيس
التي تجلو عن القلوب صداء الكروب
واني لاسف كبيراً على عدم تمكني من
الاقامة فيها مدة طويلة فاني مررت بها
مرور الخيال ولم انظر اليها الا من نوافذ
العربة التي ركبناها بين المحطة الشمالية
ومحطة ليون

يظهر من كلامك انك في حاجة
كلية الى الاسراع في السفر
ان مولاي مضطراً الى الاسراع في
المسير ومن غريب هذا الاضطراب ان
سفره كان على حين بغتة فلم يتمكن بسبب
ذلك من استحضار ما يلزمنا في سفرنا
ولذلك امرني اليوم ان اتياع ما هو في
حاجة اليه من الجوارب والقمصان فهل
لي بحسن ولائك وكرم اخلاقك ان
ترشدني الى السوق لاتياع لوازمنا قبل
فوات الوقت

حباً وكرامةً اما الوقت فلا تنحصر
فواته فاننا الان في اوان الظهر

لم ادركها ومقاصد لم اعرفها فاخبرني حماك
الله هل ان مولاك غني* وهل انت مقيد
بخدمته منذ زمن طويل

انه ذو ثروة وافرة وهو الان يجمع
قدراً عظيماً من سفائح البانكات وقد سمعته
اليوم بعد مهندس الباخرة مونجوليه بجائزة
عظيمة اذا بلغنا بومباي قبل الميعاد المعين
واعلم اني لم اعرفه الا في اليوم الذي بارحنا
فيه لوندرة وكان اليوم الاول من دخولي
في خدمته

وكانت هذه الايضاحات تزيد ظنون
فيكس تحقيقاً واعتقاده بما توهمه صحيحاً وبعد
ان اتى باسبارتو اليه هذا البيان طفق
يفكر في الامر ثم ساقه التفكير الى التبصر
بسفر المسترفوج الذي اغضب حادث
السرقة بايام قليلة وعمد اليه بحجة ضعيفة
موه به على الناس بغير برهان وقياس
وقد ابد رايه قول باسبارتو انه لم يكن
يعرف مولاة ولا سبب ثروته وغيابه

وبينا كان فكس نشولنا بخمرة الالاماني
مبدأ ظلمات الارياب اذ سأله باسبارتو
قائلاً

— ابعيدة بومباي من هنا وفي اية

ارض هي

— تبعد من هنا نحو عشرة ايام وهي من
ارض الهند

هل هي من ضمن قارة اسيا

نعم

آه قضت علي العجلة يوم سفري
ان اترك في حجرتي مصباح الغاز موقداً
ولما بلغت مولاي ذلك قال لي انه سيبنى
موقداً على حسابي وقد عدت الخسارة
فعلت ان ثمن الغاز الذي يحرق في مدى
اربع وعشرين ساعة يبلغ عشرة شلينات
وهو ما يتجاوز راتبي اليومي بستة بنسات
ومدة السفر كما تعلم طويلة فإلعمل

فلما سمع فيكس هذا الكلام لزم السكوت
مرجحاً احتمال وقوع الامر ثم استمر سائر
ولما وصلا الى السوق غادر فيكس رفيقه
باسبارتو وقد ودعه واوصاه بعدم التأخر
حذراً من سفر الباخرة قبل ان يعود اليها
ثم انطلق الى مكتب القنصلية فلقى
القنصل جالساً على كرسيه فاجدته بالكلام
قائلاً

ستبدي لك الالام ما كنت جاهلاً

وبأتيتك بالاخبار من لم تزود

الطريق الاقرب بعد ان مدت خطوط
السكك الحديدية في جميع اراضي شبه
الجزيرة الانكليزية ولم تعد ضرورة هناك
للرور من رأس جزيرة سيلان

وكان بين ركاب السفينة جمع غفير
من الموظفين الملكيين ومن امراء العسكرية
في جيش الاحتلال الانكليزي وفي جيش
سيباس الوطني وكلهم يتمتعون برواتب
فادحة فوكيل الفريق منهم في العسكرية
يتناول راتباً يبلغ ٧٠٠٠ من الفرنكات
ورئيس الفرقة ٦٠٠٠ فرنك والثائد
١٠٠٠٠ فرنك (١)

وكان على ظهر الباخرة ايضاً قوم من
الشبان الانكليز ذاهبين الى الهند بالتناطير

(١) اما رواتب الخدمة الملكيين
فكانت لا تتجاوز رواتب امراء العسكرية
مقداراً بان كانت رواتب المساعدين في
الادارات من الدرجة الاولى ١٢٠٠٠
فرنك ورواتب القضاة ٦٠٠٠٠ فرنك
ورواتب قضاة مجلس الاستئناف ٢٥٠٠٠
ورواتب المديرين ٢٠٠٠٠٠ ورواتب
الحكام العام نيفاً و ٦٠٠٠٠ فرنك

لقد وقفت على الحقيقة ولم يعد محال
للرب فاللص في قبضة يدي وساتبعة
الى الهند الى ان يردي الامر بالقبض عليه
فاسوقه ذليلاً

ثم نهض وتوجه الى مكتب التلغراف
وارسل تلك الافادة التلغرافية التي تقدم
الكلام عليها في الفصل الخامس

وبعد ذلك اعد لوازم السفر من
ملبس ودينار ثم ركب البحر على ظهر
الباخرة موجه الى ما ليث ان سافرت
نشق عباب البحر الاحمر سائرة الى حيث
نقصد

الفصل التاسع

كيف ان البحر الاحمر وجر الهند اعانا
فيلاس فوج على بلوغ امانيه

سارت الباخرة تقطع المسافة الكاثنة
بين السويس وعدن سير الاطيار وتجدي
في المسير حذر التأخر عن الوصول الى
بومباي في الميقات المعين وكان اغلب
ركابها فاصدين الهند فمنهم من كان
متوجهاً الى بومباي ومنهم من كان ذاهباً
الى كلكتونا من طريق بومباي التي انضمت

المنطرة من الذهب الزنان لينشوا
 بها البنوكة والحلات التجارية وقد
 امتزجوا بسائر الركاب لمتزاج الماء بالراح
 واختلطوا بهم اختلاط الروح بالجسد
 فعندما كان يبدأ البحر وتسكن فيه
 حركات المد والجزر كانوا يقضون
 الاوقات بالمسرات فيرقصون ويعزفون
 بالآلات الطرب ويتألمون بفعل الخمرة
 تامل الاعصان ويشنفون الاذان
 بضروب الامحان ولا ينفكون عن
 اللهو والطرب الا عند ازباد البحر
 وتلاطم الامواج واهتزاز السفينة فيدخل
 كل منهم حجرته ويتوسد فراشه فتهده
 ضوضاء الاصوات وتعتبها اصوات الزواجر
 ودمدمة الرعود ومخر السفينة السائرة
 نحو باب المندب .
 وكانت الخدمة في تلك الباخرة
 غاية في الاتقان فالسماط يمد للركاب
 اربع دفعات في اليوم ويقدم لهم من
 الفخر المشروبات والذالما كولات فياكلون
 مريتا ويشربون هنيئا
 اما فيلاس فوج فبازا كان يقضي
 الاوقات .أ. بشغوصه في اضطراب الماء
 واشتداد الانواء ام كان مستسلما الى
 هبوب العواصف اتواصف وتمايع
 الزواجر شأن الخائف من توقف
 السفينة عن المسير والتجائها الى احدى
 المرافئ القريبة اتقاء جسامه الاضطراب
 وخشية ان يكون ذلك داعيا الى تاخير
 سفره . ام كان ينظر بعين بصير الى
 المصاعب المحدة به وبالبخرة فيشتد
 عليه القلق وتظلم الدنيا في عينيه . -
 لا وايلك بل كان جالسا في حجرته
 غير مبالي بموقع البحر الاحمر الذي
 حصل على المقام الاول في تاريخ
 المعجزات البشرية وغير ملتفت الى المدن
 العديدة التي كان يراها الناظرون
 على شواطئ البحر وغير مكترث
 بالمخطر الذي كان يتوعد السفينة في
 ذلك البوغاز الذي فلما اجتازته باخرة
 (على قول الواصفين) من غير ان
 يلحق بها ضرر ولا تتعطل الآليات
 فهو الرجل الذي عرف بالرصانة والتجذ
 والحكيم العاقل الذي بات لا يستطيع
 احد استطلاع خفاياه وامسى لا شيء
 يؤثر فيه

المنطرة من الذهب الزنان لينشوا
 بها البنوكة والحلات التجارية وقد
 امتزجوا بسائر الركاب لمتزاج الماء بالراح
 واختلطوا بهم اختلاط الروح بالجسد
 فعندما كان يبدأ البحر وتسكن فيه
 حركات المد والجزر كانوا يقضون
 الاوقات بالمسرات فيرقصون ويعزفون
 بالآلات الطرب ويتألمون بفعل الخمرة
 تامل الاعصان ويشنفون الاذان
 بضروب الامحان ولا ينفكون عن
 اللهو والطرب الا عند ازباد البحر
 وتلاطم الامواج واهتزاز السفينة فيدخل
 كل منهم حجرته ويتوسد فراشه فتهده
 ضوضاء الاصوات وتعتبها اصوات الزواجر
 ودمدمة الرعود ومخر السفينة السائرة
 نحو باب المندب .

وكانت الخدمة في تلك الباخرة
 غاية في الاتقان فالسماط يمد للركاب
 اربع دفعات في اليوم ويقدم لهم من
 الفخر المشروبات والذالما كولات فياكلون
 مريتا ويشربون هنيئا

اما فيلاس فوج فبازا كان يقضي
 الاوقات .أ. بشغوصه في اضطراب الماء

الذي كان واقعا في ١٢ اكتوبر حدث
انه انتق على ظهر السفينة بصديق فيكس
الذي تعرف به في مدينة السويس
واسترشده الى دار القنصلية وسوق
الباعة فحياءه بالسلام واظهر له مزيد
سروره من التقدير التي ساقته الى
الاجتماع به مرة اخرى ثم دارت بينها
المحاوراة الآتية

باسبارتو - الى اين ذاهب

فيكس - الى بومباي

حمداً الحسن الطالع - هل سافرت

اليها غير مرة

نعم ذهبت اليها مراراً لا في من
وكلاء شركة الواپورات الشرقية في
البحر المتوسط

فان انا انت تعرف الهند

فأرى من هذا السؤال ما كاد يوقعه
في الارتباك ولكنه ما لبث ان اجاب
نعم ولكن ...

ثم حاول ان لا يسوق الحديث
الى الكلام على الهند وبعد برهة قال له
باسبارتو

كم في الهند من مناظر مدهشة

وكان يقتل الاوقات في كل يوم
بتناول ما كان يقدم له من الطعام
اربع دفعات في اليوم ويلهو بلعب
الويست مع من الفاه في السفينة على
شاكلته وكان الذين عرفهم في الباخرة
من كان على طرازه احد ماموري
جباية الاموال الاميرية الذي كان ذاهباً
الى مركزه في كوا وحضرة الوزير ديسمويس
سميث الذي كان عائداً الى بومباي
والمقائد العام للحملة الانكليزية في الهند
الذي كان ذاهباً للبحق باركان حربه
بينارس .

اما باسبارتو فكان منزوياً في حجرة
قائمة عند مقدم السفينة غير متزعج من
المبحر شديد القابلية للطعام وكان في
عزله يتأمل هذه السياحة التي توفر له
فيها لذيذ الطعام وطيب المنام وشهى
المدام ومشاهدة بلاد غريبة فكان لذلك
رافلاً في حل الصفاء ناكراً مع
ذلك ان هذه السعادة لا بد من زوالها
فيطير عقله شعاعاً ويذوب قلبه اسفاً
والتياعاً .

وفي اليوم التالي لسفره من السويس

— فربما كان يا باسبورتو موجباً مهمة
سياسية ويروم ان يخفيها وراء حجاب
هذه الحجة

لا علم لي بشئ من ذلك
وما أكهر وجه النهار ومالت
الشمس الى الغروب حتى اجازت السفينة
باب المندب ورست رابع عشر الشهر
في مياه عدن المعدة محطاً للسفن السائرة
الى الهند لتذخر منها ما يلزمها من الفحم
الحجري والموءنة فاستقرت فيها اربع
ساعات خرج المستر فوج وخادمه في
خلاها الى البر وتوجها الى دار الحكومة
لتسجيل التذكرة

وقد انطلق فيكس في اثرها وتبع
حركات فيلاس الى ان عاد الى السفينة
التي بقي عليها ان تسير مسافة الف
وستائة وخمسين ميلاً لتبلغ بومباي ويعودنه
اليها استأنف نضبة الوقت بلعب
الوبست .

اما باسبورتو فقد بقي في المدينة
ينتقل في ضواحيها تنقل الاقياء وينفر
بين اهلها نفور الظبي وبخطر خطرات
الغيد يعري بعينه وجوه سكانها الموءنين

شيء كثير فانك تشاهد فيها
الماذن والمداخن والهياكل ومعابد
الاصنام وجميع انواع الحيوان كالذئب
والنمر والاسد وغير ذلك وترى فيها
النساء راقصات بخفة غريبة ورقاشة
عمجية فانتنى لك ايها الصديق الحصول
على الوقت الكافي والزمن الوافي لتزور
هذه البلاد وتشاهد ما فيها من العجائب
— اني اود ذلك كثيراً ولكن دونه
مصاعب يلقيها في سبيلي مولاي فانه سقضي
هذه الرحلة في الانتقال من الخطوط
الحديدية الى السفن البخارية ومن هذه
الى تلك بحجة الطواف حول الارض في
ثمانين يوماً وبطلني على الناس الحال بخلاف
ما يشف عن ذات الصدور فاولم ان
يتمني هذا الدور في رواية مولاي ويكون
خنايه في مدينة بومباي

— وكيف حال صحنه

— غاية في الاختدال وهكذا صحتي
ايضاً فاني آكل كثيراً وما ذلك الامن
جودة هواء البحر

الا يصعد مولاك الى ظهر السفينة
— لا

والتقل في الحديث من القديم الى الحديث ودام الامر كذلك الى ان اشرفت الباخرة في ظهر العشرين من شهر اكتوبر على مدينة بومباي فحفّ الركاب يهشون بعضهم بعضاً بسلامة الوصول وعلام السوررت علو وجوهم وبعد مضي ساعتين طوى ملاحوا السفينة شراعها وتوارت عن الابصار بين غضاضة شجر النخل الكثيف الحاجب المدينة عن العيان ثم دخلت بوغاز جزيرة صاليت وجولابه والبقاثة وبوتشروفي الساعة الرابعة ونصف اقبلت على بومباي فتقدم فيلاس فوج الى رفيقه الذي قضى معه معظم اوقات السفر في لعب الويست وحياء تحية الفراق الى حين التلاق .

وقد كان وصول السفينة الى بومباي في ٢٠ اكتوبر بدلاً من ٢٢ فيكون المستر فيلاس فوج قد اكسب من منذ قيامه من لوندرة يومين من زمن الرحلة رقبها في دفتر سياحه بمجلد الارباح .

من صومانيين وبارسيسين واسرائيليين وعرب وأفرنج وفرنج على حصون المدينة ومعاقلم المنبئة وقلاعها الحصينة ويأمل موقعها الحربي القائم بثابة جبل طارق لبحر الهند وصهاريجها التي يشتغل فيها المهندسون الانكليز بعد مهندسي سليمان بالف عام .

وبعد ان متع النظر من كل تلك المشاهد عاد الى السفينة مندهشاً مما راه رأي العين خاطأ على صفحات له ان في الاسفار نفعا عظيماً .

وفي نحو الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم خرجت الباخرة من مياه عدن متممة سيرها الى بومباي وكان الجرهادتا والرج ملائمة لسير السفينة من الجهة الشمالية الغربية وصواربها مرتفعة في الفضاء تكاد تشق كبد الجوف اغتم الركاب صفاء الوقت وعادوا الى تجديد عزف الموسيقى والرقص بما بذلم وكان لديهم هواً مستطاباً وكان باسبورنو يقتل الاوقات مع صديقه بيكس بمبادل القصص والمحكايات

الفصل العاشر

كيف ان باسبارتو اضاع

خفيه وولى الفرار

فان قصدتك المحادثات ببؤسها

فوسع لها درع التجلـ والصبر

كل يعلم ان ارض الهند مثلثة

الشكل تمتد من الشمال وتنتهي في الجنوب

وان مساحتها تبلغ ١٤٠٠٠٠٠ من

الاميال المربعة وتخوي من السكان

على مائة وثمانين مليوناً وان العلم

الانكليزي يخلق فوق اكثر مقاطعاتها

التي يتولى امورها حكامار انكليزي يستقر

في كلكوتا وتحت ادارته مديرون من

الانكليز في بومباي وبنغال ومدراس

وقائمقام في مدينة اجره

فالمستعمرات الانكليزية في الهند

تبلغ مساحتها سبعمائة الف ميل مربع

وتأهل من السكان نحواً من مائة الى

مائة وعشرة ملايين اما بقية البلاد الهندية

فتقسم الى امارات قائمة برأسها لم يزل

قاطنوها في عالم الهجبية والخشونة

وكان قد تألف في الهند عصاية

من الوطنيين فضمت اقاليم عديدة الى

حوزتها واباعت بعض مقاطعات من

امرائها يدفع خراجها السنوي اليهم الا

انها لم تكن تدفع الا القليل وفي كثير

من الاحيان كانت تستغرق المال ولا

تدفع منه شيئاً وقد عينت تلك العصاية

للبلاد التي امتلكتها حكاماً عسكريين

وامراء ملكيين وشت نفوذها وامتدت

في احتكار الاراضي امتداد النار في

الضرام منذ عام ١٧٥٦ (وهو العام الذي

وضع فيه اساس البناء الانكليزي الاول

في البقعة القائمة فيها الان مدينة مدراس)

حتى السنة التي شبت فيها نيران الثورة

السياسية فتشتت شمل تلك العصاية

ونزعت منها السلطة واخذت منها

الاراضي التي كانت قد امتلكتها بشروي

تغير ومنذ ذاك تقدمت البلاد في المدنية

وشطت من عقال الذل والهوان

وتوفرت في مياها السفن التجارية ومدت

فيها السكك الحديدية وتفرعت منها

خطوط حجة وامست المسافة الكائنة

بين بومباي وكلكوتا تقطع في مدى

ثلاثة ايام فكفى الناس ذلك مزيد العناء

بما نشاء عنه من سهولة اسباب النقل

الجنوبية الشرقية الى بور ديفان ثم الى
المدينة الفرنسية المعروفة باسم شاردير ناجور
ومنها يتد الى كلكتا

وكان خروج المسترفوج وخادمه
وبقية الركاب الى مدينة بومباي في نحو
الساعة الرابعة ونصف بعد الظهر. وكان
الاجدر بهذا الرجل ان يطوف شوارع
المدينة شأن السائح في الارض ويتفقد
معاقها وطلوها ويזור فيها الاماكن
الشهيرة ويشهد المظهر المدهشة الغربية
كالفندق العظيم المثقن البناء الفسح
الجوانب الوطيد الاركان والمكتبة التي
تحتوي على انفع المؤلفات المنسوجة
باقلام اشهر الاساتذة والعلماء والحجرات
المختلفة اشكال البناء وحلقة الافطان
والماذن وكنايس الاسرائيليين وهياكل
الارمن ومعبد الصنم مالياهليل القائم
على برجين عظيمين في اربع زوايا مزينة
بالنقوش والرسوم الجميلة واثار اليفاتته .
كافيتها وسراديها السرية المحفورة
في باطن الارض في الجهة الشمالية
الشرقية من المدينة بالقرب من المينا
وكهوف كانهيري الموجودة في جزيرة

فانهم فيما سلف كانوا يسخرون الخيول
والبغال والمركبات وظهور الناس لنقل
البضائع .

اما الخط الحديدي الكائن بين
بومباي وكلكتا فلا يصل بالخط الطويل
الذي يكتنف الهند ثم ان المسافة التي
تقطعها السكة الحديدية بين المدينتين
بسرعة متوسطة فلا تزيد على الف او
الف ومائة ميل اي عبارة عن ثلاثة ايام
متوالية وقد اضيف الى هذه المسافة نحو
ثلث هذه الاميال في الاقل بالنظر
الى اتصال الخط المذكور بخط الله اباد
المتد في الجهة الشمالية من شبه الجزيرة
واليك لمع من بيان اتصال الخطوط
الحديدية ببعضها في الاقطار الهندية .

يتدى الخط من مدينة بومباي
مارا بصالسيث وطانه الى سلسلة
جبال جانس الغربية ومنها يتد في
الجهة الشمالية الشرقية الى بورها مبورغ
الى ان يتجاوز الاراضي المنفصلة عن
بيندلكيند ومن هناك يتد الى الله اباد
وتحول نحو الشرق فيمر بكنج الواقعة
بالقرب من بينارس ثم يغدر من الجهة

يعتقدون ان الهرة حيوان مقدس ولعله
اليوم اصبح مخصصاً للسواح
قال هذا وطفق يأكل

ثم انه بعد ان خرج المسترفوج
الى البر يضع دقائق خرج فيكس
وراءه كما تقدم لنا الكلام وانطلق توجاً
الى مركز رئيس الشرطة في بومباي
وعرفه بنفسه وجعله على علم بامورته
واخبره بوجود اللص فيلاس في ثغر
بومباي ثم سأله عما اذا كان ورد اليه امر
من لوندرو بالقاء القبض عليه فاجابه
سلباً وعند ذلك اعتمد فيكس رأسه
بيديه واخذ يحيط في اودية الافكار
خبط عشواء لا يدري ماذا يفعل ثم
طلب من رئيس الشرطة ان يدفع اليه
كهاية تامة بالقاء القبض عليه فاي ان
يجيبه الى ذلك بقوله

— ان هذا الامر ليس من
متعلقاتي بل من متعلقات الادارة
العمومية

فاقتنع فيكس بهذا الجواب وآلى
على نفسه ان يستمر على مراقبة فيلاس
فوج لثلاثا بلص من بين يديه ويزيغ

صاليت — قلنا ولو زار تلك الاماكن
وتأمل مشاهدتها لذهبت عنه اثجان
السفر وغوم الاغتراب وطابت نفسه
بما استفاد وقررت عينه بما رأى . على
انه لم يسلك هذا السبيل بل امال
المخاطر عنه وحالما خرج الى اليايسة امر
خادمته بشراء بعض اللوازم واوصاه
بالحضور الى محطة السكة الحديدية
في الساعة الثامنة ثم سار الهويناء ينقل
القدم بخطوات معتدلة متجهاً نحو مكتب
التنصلية وبعد ان سجل تذكره سفره
عاد الى المحطة ودخل قاعة الطعام
فدنت له المائدة وكان عليها ارنب
لم يحل لذوقه فحببه واستدعى
بصاحب الفندق فسأله وعيناه ثفرسان
فيه

الأرنب ما قدمت لي

نعم يا حضرة الميلورد
الم يموء عندما ذبح

نعم ماء ياسيدي الميلورد وبين

الله انه ارنب

لا تخلف اليمين المعظمة بل تذكر
ان اهل الهند كانوا منذ عامين

نسوة هنديات مترديات بقمصان حمراء
مسترسلة الى الاقدام وموشاة بالخيوط
الذهبية والفضية . وآهن^١ يخاطرن
بقدودهن^٢ الهيف ويمالين^٣ تمايل الاغصان
والحماظن^٤ تنفك بالقلوب فتك السيوف
بالاعتاق تبدي كل منهن^٥ تيهًا ودلالة
معجبة^٦ بقوامها فاتنة يجماها
فاذا مشت مرالنسيم بعطفها

فيكاد يلويه لفرط اللين
وكان ذلك اليوم عند طائفة
البارسيين عيدًا سعيدًا تخفل به سنويًا
وتشارك معها فيه بقية الطوائف . اما
هذه الطائفة فهي الطائفة المشهورة بالصناعة
والتجارة والثروة والتمدن زيادة عما سواها
من الطوائف الهندية

وبعد ان قضى باسبارنو مدة في
تلك الحفلة مستسلمًا للدهشة والاندهال
لا ييدي اشارة ولا ينطق بكلمة سارخو
الحطة فر في طريقه بناية مزينة بما يعجز
عن وصفه لسان الواصف فسولت لا
نفسه الدخول اليها ليرى اتقانها البديع
وزخارفها التي تأخذ مجامع الالباب
وكانت تلك البناية معبدًا للصنم

عن بصره في المدة التي يقضيها في بومباي
وان يظل^٧ سالكًا هذا الطريق الى
ان يرد اليه امر^٨ باثاء القبض عليه ولم
يكن يعلم ان فوج سيبارح بومباي عاجلاً
بعد مضي بضع ساعات

اما باسبارنو فبعد ان تلقى الامر
اللازمة من مولاه^٩ تيقن ان اجل السياحة
لا يقضي في بومباي بل ربما اتقضى في
كلكتوتا وفي سواها ثم طفق يسأل
نفسه عما اذا كان للرهبان الذي عقده
مولاه صحة^{١٠} ما ام لا وما اذا كانت التقادير
تقوده الى اتمام الطواف حول الارض
وهو في غنى عنه

وبعد ان اشترى بعض قمصان
وجوارب من سوق الباعة طفق يطوف
شوارع المدينة الى وقع نظره عن بعد
على احدى الفسحات فرأى فيها ازدهامًا
غريبًا فساق القدم الى حيث الجمالير
المتجمهرة يستعلي حقيقة الخبر فرأى اناسًا
مختلفي الشيع والاجناس فمن العجم بقلانس
طويلة وبنباسيين بعمائم مستديرة وسنديين
يقع مربعة وارمن^{١١} باردية طويلة
وبارسيين بتيجان سوداء وفي وسطهم

بأذيال أرديتها فانتهز ذلك بأسبارتو
الفرصة وخرج من باب المعبد فتبعه
الكاهن الثالث يثير عليه الناس وهو محجذ
في السير الى ان بلغ المحطة قبل قيام
القطار بخمس دقائق فدخلها مكشوف
الرأس حافي الرجلين فاقد الامتعة التي
كان مولاؤه قد اوصاه بشرائها ثم اخذ
يحملق في المجموع حتى رأى مولاؤه فشكا
اليه الحال بلسان كأنه تذكر قول من
قال .

بكيت من الدهر مستضحكا

ورث البلية ما يصحك

ثم قص عليه الحادث وما وقع له
مع كهنة معبد الصنم مالبيارهيل فقال
له مولاؤه اؤمل ان لا يقع لك بعد مثل
هذا الحادث ثم ركبوا القطار وسارا الى
حيث يقصدان

اما فيكس فكان قد علم ان المسترفوج
مسافر من بومباي فأتى المحطة ليتقني اثره
فسمع بما حدث لباسبارتو عندما كان
يقص الخبر على مولاؤه

وبعد برهة يسيرة من الزمان ازف
وقت قيام القطار فخرج من المحطة يسير

مالبيارهيل الا انه كان يجهل تماما عادات
البلاد وقوانين المعابد في تلك الديار
ولا سيما معابد الاصنام منها فانه لم يكن
مباحا لاحد من المسيحيين ان يدخل
اليها اما الوثنيون فكانوا يلجونها بحشمة
ووفار حفاة مكشوفي الرأس وكانت
الحكومة الانكليزية تحترم عادات كل
طائفة وتعاقب من يخرق حرمتها عقابا
شديدا .

وكان بأسبارتو جاهلا لهذه العادات
بالنظر الي كونه غريبا لا يعرف طريقة
الدخول الى معابد الاوثان فولوج باب
المبكل السالف ذكره بدون ان يخضع
خفيه او يرفع قبعته فتقدم حتى وسط
الهيكل فرآه ثلاثة كهنة من خدمة الاصنام
على هذه الحالة فاحدسوا عليه غضبا
وتزقوا غيظا ثم وثبوا عليه وثبة الاسود
وخلعوا الحذاء من قدميه واثنوه جراحا
اما هو فلبث يغالب الالم حتى غلبه فثارت
في راسه حمية الفرنسيين واستعان على
اولئك الكهنة بمدد الله فاخذ يلطمهم
بكفيه ويرفهم برجليه وبينما كان مشتبكا
مهم سقط منهم اثنان على الارض عاثرين

أجلها عند المنود بصادق الوطنية . وقد
قطن الهند منذ نعومة أظفاره وله الخبرة
النامة بأحوالها والعلم الكافي بعبادات أهلها
ومشاربهم ولو خطر للمسترفوج أن يستعلم
منه عنها لما تجل عليه بالشرح المسهب
والنفصيل المطول ولكننا عرفنا فوج
وأحواله وكيف أنه يدور حول الأرض
كدوران جرم عظيم من الكواكب
السيارة حول الكرة الأرضية على مقتضى
النواميس الفلكية وعرفه أيضاً السير
فرنسيس كرومارتي من يوم أبصره جالاً
يلهو بلعب الويست والورق بين أنامله
فتعجب من جود دمه وغرابة أخلاقه
وعدم تأثره من مفاعيل الطبيعة ومناظر
الوجود

ولم يكتم فيلاس فوج عن السير
فرنسيس كرومارتي موضوع رحلته وطوافه
حول البسيطة ولا الشروط التي عقدها
والمدة التي حددها لانتهاء هذه الرحلة
وذلك ليكون على بينة من الأسباب
التي دفعته إلى التعميل في السفر والاسراع
في المسير

وما قطع القطار مسافة ساعيتين

طيراً بلا جناح إلى أن توارى عن الأبصار
يشق في ذلك الليل الحالك قلب
الظلام

الفصل الحادي عشر

في أن فيلاس فوج اشترى مطية
باغلي الاثنان

سار القطار في ميعاد سفره المعتاد
وعليه عدد ليس بقليل من الركاب
فبعضهم موظفون ملكيون والبعض الآخر
من تجار العظم والافيون يقصدون الجهة
الشرقية من شبه الجزيرة حيث لبضاعتهم
رواج . وكان بأسارتوقد ركب العربية
التي ركبها مولاه وقبالة الاثنين رجل
ثالث عرفه المسترفوج في الباخرة مونجوليه
عند مرورها بترعة السويس وقضى معه
أوقاتاً كثيرة بلعب الويست وهذا الرجل
كان طويل النامة اشترى الشعر يتجاوز
الخمسين عاماً يدعى السير فرنسيس
كرومارتي ويعرف بقائد الحملة العسكرية
في الهند . وكان لاحقاً بالهجنش المعسكر
بالقرب من بيناري وله الأيادي البيضاء
في إطفاء ثورة السيپايس التي ثب من

حتى عبر الجسر ماراً بجزيرة صاصيت
يطوي البيد طياً واستمر سائراً الى ان
بلغ محطة كاليان فتحول عن الجهة اليمنى
تاركاً فرع الخط الواقع عند كاندالله
وبوناح وساق في وجهة الهند الجنوبية
الشرقية وسار الى ان وقف في محطة
باويل ومنها انطلق بين اشجار ملتفة
وارفة الظل في لحف سلسلة جبال
كثيرة الشعب من الجهة الغربية شاهقة
الارتفاع تكاد تنطح السماء تنقذف من
وسطها حم البراكين النارية وفي اثناء
السير كان المستر فوج والسير كرومارني
يتناوبان قص الاحاديث والاخبار فقال
السير كرومارني لنيلاس

لو عزمت على هذه الرحلة قبل
الآن ببضع سنين لتقيت عوائق وموانع
حائلة دونها

— ولماذا

— لان الخط المحددي كان يصل
الى لحف هذه الجبال فقط فكان الناس
لذلك يضطرون الى اجنيارها على الهواج
او على ظهور الخيل حتى محطة كاندالله
الكائنة على منحدر الهضبة المتعاقلة

— قد اتخذت الوسائل اللازمة
لاجتناب ما عساه ان يحول من العوائق
دون مواعيد رحلتي .

لوانصل بالحكومة امر تجر وخادمك
على اختراق حرمة الادبان بدخوله الى
معبد الاوتان في مدينة بومباي لكن
لك ذلك من اعظم العوائق فان
الدخول الى معابد الوثنيين محظوراً
على ايديهم كان من المسيحيين فلو
علمت الحكومة بما كان من خادمتك
لحجرت عليه وانالله ما يستحق من
العقاب .

اصبت ولكن ذلك لا يمنعني من
اتمام السير فانه لو وقع في قبضة الحكومة
لنال جزاءه وقضى مدة العقاب وعاد
بعد ذلك الى اوربا ناعماً البال لاخوف
عليه ولا هو يحزن فاكون انا قد انبعت
ضريقي وما عاقني شأن خادمي

وهنا انقطع عن الكلام ولزم كل
منهما السكوت وكان باسبارتو نائماً اثناء
الحديث فما علم بما تحدث الرجلان في
شأنه وهكذا انقضى الليل وما انبج الصبح
حتى كان القطار قد عبر جبال جاتس

بما يدل على حسن هندستها وإتقان بنائها
وفي الجملة ان العيون لا تبصر في تلك
التقار سوى حقول واسعة وأراض
شاسعة وجبال شاهقة تزحف فيها الأرقام
الهائلة وتسرح فيها الضياع الكاسرة وتمرح
على ادبها الأقيال

وفي ذلك الصباح مرّ القطار بمحطة
ما ليبرم وما بعدها من الأراضي المشوومة
التي كثيراً ما خضبتها بالدماء أيدي
عبدة الآلهة ومرّ أيضاً بمعابد الآلهة البلورة
ثم مدينة أور ونجباد عاصمة الملك البربري
أورينج ذيب التي باتت اليوم مركزاً حدى
المديريات التابعة لولاية الملك نيزم وكان
قد استبدّ فيها بأحكامه ملك عصبة
الشنق المسى فورينجيه

وكانت هذه العصبة تنضي بالشنق
على من رأت بموته سبيلاً إلى مرضاة
الآلهة حتى ضاقت الأرض بالبحث
البالية وقد عجزت الحكومة الانكليزية
عن تدارك الأمر بالرغم عما صرفت اليه
العزم من تشنيت تلك العصبة الشقية
التي لم تزل لما بقية قائمة في تلك الاقطار
الى هذا اليوم

ومرّ بناحيك وتوغل في أراضي كاندیش
المخصصة التي تندفق من حولها جداول
وانهار تستي مزروعاتها وتروي ظمأ
نباتها .

وعند الصباح استيقظ بأسبارتو
من رقاده ونظر الى ما حوله فحار منه
الفكر وتاه منه الرشد اذ ظن نفسه في
منام وحسب ان ما يراه ان هو الاضغاث
احلام وقد كان قبل ذلك غير موقن
انه سيركب البخار ويشق به ارض الهندود
وفي الواقع ان المنظر كان داعياً الى
الدهشة باعثاً على الاستغراب

ثم التفت بأسبارتو فرأى امام الآلة
النجارية مهندساً انكليزياً حاملاً بيده
ابريقاً مملوئاً زيتاً يصب منه من وقت
الى اخر بعض قطرات على ادوات الآلة
التي كان يتصاعد منها دخان كشف
شديداً لسواد فميرمزروعات القطن والبن
والترنفل والفنفل الاحمر وجوز الطيب
ويكتنف اشجار النخل التي بنبت في
جذورها العشب الاخضر ويقوم بين
بعضها اثار من بقايا اديرة قديمة العهد
ومعابد للاصنام يدهش مشهدها الابصار

العوائق غير المتشطرة والموانع التي تطرأ
على غير ما يرام فتبعث السائح على تمنى
ان يكون له جناحان يأمن بهما غوائل
التأخر في المسير

أسرب القطار من يعبر جناحه

لعلني الى ما قد هويت اطيرو
وكان بين التردد والاستسلام الى
هذه الافكار يحسب ما مضى على الرحلة
من الايام ثم يتقل من العدد والاحصاء
الى التذمر من ابطاء القطار في المسير مع
انه كان سائراً سير البرق وبين هذا وذاك
يعود الى لوم مولاه لانه لم يعد مهندس
القطار بجائزة كما وعد مهندس الباخرة
مونيولييه وكان يرميه بهذا اللوم وهو
لا يعلم ان للقطارات سرعة قانونية بخلاف
السفن التجارية

وتند المساء بلغ القطار مضيق جبال
سبتور الفاضلة بين اراضي كديش وازاعي
بينديلكد فسار في تلك الجهة مدة الليل
بطوله الى ان اتبع الصبح وحلت الساعة
الثامنة من صباح ٢٢ اكتوبر فوقف بعد
ان جاوز محطة روتال بنمسة عشر ميلاً
في وسط بقعة خالية من الانجار واعلن

وعند الظهر وقف القطار في محطة
بورهامبور حيث ابتاع باسبارتو حذاء
مرصعاً باللؤلؤ الزيف فاتتعه والعجب
يلعب بعطفه وحيث تناول المسافرون
الطعام بما امكن من السرعة وعادوا الى
القطار الذي سار بهم بعد ذلك الى
محطة اسورجير بعد ان مر محاذياً شاطئ
ناستي الذي يصب في خليج كامباي بالقرب
من سيرات

قال جول . واني ارى من الصواب
ان اقف بالقاري قليلاً لاطلمه على ما
كان يتلاعب في رأس باسبارتو من
الافكار والتصورات فانه كان يظن في
بادئ الامر ان رحلة سيده تنتهي في
بومباي فلما تجاوزها وتوغل في قلب
البلاد الهندية رجح لديه انطوائ الرحلة
على مشروعتها الذي تقرر في لندرة بعقد
الرهان وتحديد ما حدد لها من الزمان
فحار في الامر واضطرب واستولت عليه
فواعل القلق ثم اخذ يشعر بعاملين احدهما
يدفعه الى اكتساب الرهن والثاني يحذره
من الفشل فيطرق في الارض مفكراً
متأملأ عله يهتدي الى طريقة يتحاشى بها

سائق القطار ان ذلك الموقف محط
لنزول الركاب

فالتفت المسترفوج الى السير كرومارني
فرأى على وجهه علام الارباك اثر
وقوف القطار في وسط قفارينيت فيها
الحمر (الثمر الهندي) والكافور ثم احال
نظره نحو باسبارتو فراه يتفر من القطار ثم
سمعه يصرخ بتعجب واندهال : ان
القصيب الحديدى ينتهي هنا فاستعاد
كرومارني كلامه فكرر قوله بأسفين
الخط الحديدى ينتهي هنا فحبتذير نزل
كرومارني وضيلا س فوج الى الارض
وقدما الى سائق القطار فسألاه

- ابن نحن

- في كفر كولبي

- أهنا ينتهي بنا القطار

- نعم لانه يبقى مسافة خمسين ميلا
يتصل هذا الخط بخط الله اباد

- ولماذا اطلنت المجرائد باتصال
الخطين

- هذا ذلك عن سهو منها وعدم
انتباه

- ولماذا اعطيت الركاب نذاكر

الى كلكونا

- لاني اعهد انهم على علم بانقطاع
الخط هنا

وكان السير كرومارني يخدم في
كلامه غضبا وباسبارتو يكاد ان يثير
من الغيظ وكان بوده ان يفتك به لولا
خوفه من مولاه الذي التفت الى السير
كرومارني قائلاً له

- يجب ان تطرد المسير الى الله اباد
باي الوسائل

- ولكن ما العمل يا مسترفوج بهذا
الاعتياق الذي يضر برحلتك

- ما كنت على جهل به

- فاذا كنت عالماً باقناع الخط

- لا ولكني كنت على شعور بانى

سألقى اثناء رحلتي عائقاً غير متظر عاجلاً

او آجلاً وقد تداركت الامر فحملت

مهندس الباخرة موجهة على التعميل

والاسراع في المسير بغية الوصول الى

بومباي قبل ميعاد الوصول الاعتيادي

ووعده بجائزة من النقود وهكذا كان

وصولنا قبل الميعاد بيومين واظن اننا

حاصلين على الزمى الكافي لان فصل

بهرينه وتعليمه بغية ان يستخدمه في القتال
لا في ثقل البضائع والركاب وكان معيناً
له ثلاثة شهور من السنة يغذيه فيها بالسمن
والسكر اعتقاد ان هذا الغذاء يزيل من
الحيو ان النفق

اما جنس الفيل في الهند فتندر
الوجود وخصوصاً الذكور منه التي كان
الهنود يستخدمونها في مضار الصراع
ومساحات القتال وصيد الافيال وغيرها
من وحوش الغاب فلا عجب لذلك اذا
بلغ امر الاعتناء بها في الهند كل مبلغ فان
الافيال قليلة التناسل ولاتاتي بنتاج الا
بعد ان تألف

ولقد سأل فيلاس فوج صاحب
الفيل ان يكره اياه فابى فعرض عليه ان
يدفع له عشر ليرات عن كل ساعة فرفض
فقدم له عشرين فامنع ثم اربعين فلم
يقبل واصراً على الابهاء ثم طلب ان يشتريه
فستخر به فقدم له الف ليرة ثم ثلثة فاعرض
عنه ثم الفا ومائتين فنظر اليه شذراً ثم
الفا وخمسمائة وبعدها الفا وثمانمائة ثم الفين
وهنا قبل الهندي فتقده فيلاس الثمن
في الحال من سفائح البنوكة فاخذ فوج

الى كلكتوتا في ٢٥ اكتوبر الذي تسافر
فيه سفينة بخارية الى كون كون

وكان بعد وقوف القطار في تلك
النقطة ان نزل منه الركاب وشرعوا في
استكراء المطايا والمركبات حتى انه لم يبقَ
منها للسير كرومارتي والمستر فوج ما
يسيران عليه فطلبوا عربة فجا وجدوا واذ
ذاك قال فوج اني اسير على قدمي فشق
الامر على باسبارتو خوفاً على جذائمه الجدد
ثم انه بعد ان فكر قليلاً قال لمولاه انه
يوجد مطية للسفر

فقال له فيلاس،

- واين هي

- في محل لا يبعد من هنا سوى

بضع خطوات

- هلم بنا يا حضرة السير كرومارتي

لنتحقق الخبر

فانطلق الثلاثة في الحال وبعد
مضي خمس دقائق من الزمان وصلوا الى
كوخ يلاصق حوشاً فيه فيل وفي الكوخ
رجل هندي فلما راهم اقبل عليهم فاستقبلهم
وادخلهم الى الحوش حيث كان الفيل
فأرأوا فيلاً البقا يدعى كيوني عني صاحبه.

عن يمينه تخطيط السكة الحديدية المشروع
في مدها زاعماً انه يسلك طريقاً قريباً
نقص عن سواها مسافة عشرين ميلاً
ولكونه من اهل البلاد ومن ادرى الناس
بمسالك تلك القفار اتفق فيلاس اليه
مقاليد الامر رغبة ان يكفيه مؤونة العناء
بالسير في طريق وعرة صعبة المسالك
بسبب كثافة اشجار جبل فيندياس حيث
رسمت طريق السكة الحديدية

وبعد ان استوى الركاب على ظهر
الفيل سار الحيوان بهم خيلاً ثم زميلاً
يطوي اليد في تلك الاراضي المقفرة
متهدجاً في السير متفضلاً حتى اعياى من
عليه بما نالهم من عناء الارتحاج ولكنهم
تمالكوا وتجلدوا واستطاعوا - بنى صغرت
انفسهم وكادت تشرف على الزهق وتولاهم
اليأس وتملكهم الخوف وكان باسبارتو
يندفع من شدة الارتعاش نارةً نحو رقبة
الفيل وطوراً ينطرح على كفله - حتى كادت
امعاؤه تنقطع واحشاؤه تتمزق وهو صابر
على ذلك صبر كرم على مضض الايام
يغالب مرارة الالم بالهزل والضعف
ويداعب الحيوان تمضية للوقت بالقاء

الفيل واقلب عنه يطلب مرشداً يهديه
الى الطريق فتقدم اليه شاب وترض
نفسه لخدمته فقبله بالترحيب ووعده
باجرة وافرة فسر الشاب وللحال عمداً الى
الفيل فاخرجه من مربضه ووضع على
ظهره لباداة وجعل على جانبيه شيئاً اشبه
بالخروج فركب على احد الجانبين السير
فرنسيس كرومارتي وعلى الجانب الاخر
المستر فيلاس فوج اما باسبارتو فركب
فوق اللباداة واما المرشد فاعلى رقبة الفيل
وبعد ان اذخروا مؤنتهم من ماكل
ومشرب انطلق بهم الفيل في الساعة
الداسعة من ذلك اليوم متخذاً اقرب
طريق من الطرق المؤدية الى المحل
المقصود سائراً في وسط غاب من غابات
شجر النخل

الفصل الثاني عشر

في ان فيلاس فوج ورفاقه
قاسوا الاهوال في قفار الهند
وسلك المرشد في طريقه اقرب مسلك
على ما تقدم بيانه فسار في غير الطريق
المألوف سائراً في عرض الصحراء تاركاً

قطع من السكر في فمه فيتناولها بمخرطومه
غير منقطع عن السير ركضاً وعدواً
وبعد مسير ساعتين اوقف السائق
المسير مدة نصف ساعة استراح فيها الفيل
من التعب واجال نظره في الارض فابتلع
ما وجدته عليها من الحشيش وانواع
النبات ثم ورد الماء فشرب حتى اروي
ظمائه وقد طلب ركابه الراحة ايضاً فتزلاوا
عن ظهره وقد ابدى السير كرومارتي
تعبه من نزول المسترفوج عن ظهر
الفيل نزوله عن سريه فقال
أمن حديد هذا الرجل

فاجابه باسبارتي
نعم انه مخلوق من حديد

قال هذا واخذ بهم بتهيئة الطعام
وعند الظهر استأنف الفيل السير
في الصحارى الواسعة التي يبت في بعض
جبهاتها شجيرات من الحمير والتخل وفي
البعض الاخر القرطب والشوك . وهي
قسم من اراضي بيندلكاند العليا التي
قل ان نطأها اقدام السواح خوفاً من
هيفة سكانها وخشونتهم وتعصب اهلها
الذين كانوا يقومون اثناء الاحتفال

براسم ادبانهم باعمال لانقي لفضة . وحشية .
بحاجة التعبير عنها لما ان الوحوش لا تجسر
على الاتيان بها . ولم يكن للحكومة الانكليزية
ان تبت بين اولئك السقاط الاجلاف
روح التهنيد والتمدن بالنظر الى اقيادهم
لاوامر روسائهم اقياد العيان . وقد وقع
منهم اثناء مرور فوج ورفاقه بارضهم انهم
تجمعوا عليهم واندفعوا في الطريق امامهم
ينظرون الى الفيل شذراً ويبدون عدواناً
وكان السائق يتجنب اذاهم وشرهم بالحيلة
والمكر حتى توارى عنهم

وقلما وجد في الطريق اثناء مرورهم
حيوانات غير بعض قرود كانوا يولون
الادبار بتعوج والتواء مما كان يضحك
باسبارتو ويذهب منه الم السير

وكان يتنازع هذا الفتي عدة عوامل
اخصها شأن الفيل وما سيؤول اليه امره
اليه عند وصولهم الى محطة الله اباد فكان
يقول اذا افترضت وقاده مولاي حتى ينتهي
به الى مقرة تمثل امامه وفرة النققات
فيعدل عن استصحابه في الرحلة . وكان
بين هذا الافتراض وغيره يعود الى التساؤل
عما اذا كان من الحكمة اطلاق الحرية

للحيوان ليسير ايان شأ ثم يدفعه الطمع الى
امل ان مولاه يهديه اليه فيجاري في امره
ويرتبك في شأنه - وكانت كل هذه
الافكار تمر برأسه مر الخيال آخذة بجماع
قلبه ولبه واستمر كذلك الى ان قطعوا
جبال فيندياس فاتخذوا منحدرها الشمالي
محط الرحال ازاء كوخ مخترب وكان
الوقت اذ ذاك بالغاً حد الساعة الثامنة
من الليل . وبالنظر الى ما كان في تلك
الليلة من البرد القارس التجأوا الى الكوخ
فاوقد لهم السائق فيه ناراً اصطبلوها وتناولوا
الطعام ما كانوا قد اذخروه في كالي
وما تجاذبوا اطراف الكلام بعد تناول
الطعام حتي تمايلوا بخمرة الوسن فرقد
السير كرومارني والمسترفوج وليث السائق
مسهد الجفن محافظاً على الفيل النائم

ووفقاً متوكتناً على جذع شجرة ولم يكن
يكدر سكون الليل سوى زفير القرو والنهد
واهتاف القروود ولما بزغ الصباح حد
القوم السرى وجدوا في المير في الساعة
السادسة يجنازون ما بقي عليهم من اراضي
جبال فيندياس معللين النفس ببلوغ
محطة الله اباد عند المساء فانهم كانوا قد

وقضوا في هذه البقعة مدة ساعتين
عادوا بعدها الى المسير فشطّ بهم الفيل
بين اشجار غضة ينهب الارض نهباً الى
ان دنت الساعة الرابعة فوقف مذعوراً
فسأل السير كرومارني السائق ان يبيئه
عن اجفال الفيل فاجابه انه لا يعلم لذلك
سبباً ثم انصت قليلاً فسمع رنة اصوات
تمتزج بدوي الجسيم وما لبث ان ارتفعت

وتلتها فرقة بعض آلات نحاسية وكان
باسبارتو كله آذاناً تسمع وعيوناً تشخص
الى مخرج الصوت وفيلاس فوج لا ينطق
بكلمة البتة واذذاك نزل السائق الى
الارض وربط الفيل في جذع شجرة قريبة
منه وانطلق يطلب مخرج الصوت فبعد
ان غاب قليلاً عاد وهو واقف على حقيقة
الخبر فقال لاصحابه ان ما تسمعون هو
احتفال بشييع جنازة فاذا كان في الامكان
فلتوار عن العيان . قال هذا ونك
رباط الفيل وقاده الى موضع لا تنفذ فيه
الابصار ولا تصل اليه رميات الانظار
ثم اوعز للمسافرين بالاً ينزلوا الى الارض
اما هو فوقف بجانب الحيوانات مستعداً
للفرار اذا دعاه اليه الاضطراب

وبعد هنيهة مر القوم بالجنازة امام
موقف المسافرين بحفونها بالانغام واصوات
الطبول والصنوج وامامهم طغمة من
الكهنة على رؤوسهم التيجان وعلى اجسامهم
البرفير والارجوان ومن حولهم رجال ونساء
واولاد ينشدون النحان الحزن على اصوات
الصنوج ووراءهم مركبة تجرها اربعة لفراس
من جياذ الخيل وعليها تمثال فيج الصورة

ذو اربعة سواعد مصبوغ الجسم بلون اخمر
ماثل الى السواد قليلاً مدلى اللسان
زائغ انسان العين مصبوغ الشفتين
بالحناء وفي عنقه طوق منضدبرووس
الاموات ومن حول وسطه سلسلة اياد
متطوعة . وهذا التمثال يعرف بالالهة
(كالي) ((الالهة الموت والفرام

وكان وراء هذا التمثال جماعة من
طائفة البراهمة يرفلون بافخر الملابس
ويقودون بالعنف فتاة لم يزل فيها بعض
الرمق وهي من ربات الحسن والجمال
وذوات الخمر والدلال

قد كتب الحسن على وجهها

يا عين الناس في نظري

وكان في يديها واذنيها وعلى عنقها
وصدرها وكتفيها من الجواهر الكريمة ما
لا تقدر له قيمة وعليها من اثار النعمة
وعلى وجهها من ملامح الذكاء ما لا يوصف
بلسان . وكانت لابسة ثوباً من الحرير
الهندي وخياراً من اللاذارق من نسيج
العنكبوت يلعب الهواء باطرافه ووراءها
حراس شاكو السلاح متقلدون سيوفاً
وبنادق وغدارات وحاملون جثة على

انه اذا توفي الرجل قبل المرأة يحرقون
زوجته معه فهذه الفتاة التي رأيناها ستحرق
باكراً عند بزوغ النهار
فقال المسترفوج

وكيف لم تنزل هذه العادات الوحشية
مرعية الاجراء الى هذا اليوم والانكليز
ينشرون القمدن تحت سما الهند ويدافعون
عن الانسانية

لا تزال هذه المادة متبعة مرعية الاجراء
في كثير من جهات الهند حيث لا يخفق
علمنا وحيث ليس لنا سلطة وسلطاننا
لا تمتد الى هذه البقعة حيث نحن الان
فكل هذه الارض التي قطعناها والاماكن
التي سنمر بها انما هي مسرح مثل هذه المشاهد
فقال باسبارتو بتأسف

— يستدل مما قال حضرة السير ان
هذه الفتاة لا بد انها تذوق العذاب
الوانا اذا لم تحرق
فاجابه السير كرومارني

ولا ريب في ذلك. وما راها كمن
سمع واذا لم تحرق عوملت بالسوء والغلظة
فان شعر راسها يحلق وتغذى بقليل
من الارز وتبذ من حياة الاجتماع نبذ

الاكتاف وكانت جثة الشيخ القعيد الامير
الهندي احد سلاطين القبائل وعلى هامه
علامة مطرزة بالالآ وفي وسطه حزام
مرصع بالماسر وعليه ثوب من الحرير
بمزر كش بالخيوط الذهبية وكان مقلداً
سيفه اشارة الى ما كان عليه في حياته
وفي منتهى الحفلة كان عازفو الموسيقى
يصرخون باصوات قبيحة ويرفعون اصواتهم
بما كان يفوق عزف الموسيقى

وفي خلال الحفلة التفت السير
كرومارني الى السائق وقال له
هل هذه (سوته) ضحية

فاومى اليه السائق برأسه ثم وضع
بنانه على شفتيه اشارة الى انه يريد ان
يلزم الصمت

وبعد ان مرّت المجازاة بالجموع
بين تلك الاشجار وغابت عن الابصار
قال المسترفوج للسير كرومارني
وماذا عانيت بلفظة (سوته)

هي لفظة من لغة الهندو يعبر عنها
في لغتنا بلفظة ضحية والمراد بذلك ان
تلك الفتاة التي رأيناها في تلك الحفلة
هي امرأة الشيخ القعيد ومن عادات الهندو

المحذاء المرفوع الى ان تموت ذليلة مهانة فهي
لذلك تفضل الموت على البقاء اجنبياً
لتنوع الاغذية ولحرمان الهناء
وقد تكون المرأة لذلك في بعض الاحيان
ضحية صادرة عن تمام الارادة فتضطر
الحكومة الى التدخل في الامر منعاً لحدوثها
وعند ما كنت منذ بضع سنين في
احدى وظائف الحكومة في بومباي حدث
ان ارملة في سن الصبوة انت حاكم
المدينة والتمست منه ان يرخص لها في
الاحتراق مع جثة زوجها فرفض الحاكم
طلبها ونهاها عن غيها فلم ترعو ثم خرجت
من المدينة والتجأت الى حى بعض
السلاطين المستقلين حيث انفذت مرغوبها
وكان سائق الفيل يهز رأسه كلما
سرد السير كرومار في عبارة من قصته وفي
آخر الكلام قال السائق :

اما ضحية البارح فليست صادرة
عن ارادة شخصية كما لا يخفى علينا نحن
معشر البيندلكاند فان تلك المنكودة الحظ
ذاهبة الى حتفها بالرغم عنها ولا يغرنك
منها اتيادها فانها سكرى بدخان القنب
والافيون ولا تعي الى اين سائرة فهي لذلك

قال هذا واخرج الفيل من مريضه
ثم اعلى رقبته وهم على الرحيل فافوقه
المستر فوج ووجه الى السير كرومار في
الخطاب فقال

— ما رأيك في اتقاذ هذه الفتاة
— يا للعجب وماذا يهمك امرها
— لدي من الزمان فرصة اثنتي عشرة
ساعة اود استخدامها في الدفاع عن
الانسانية
— لله درك ما اشجعك وما اثبت جناتك
— نعم ولكن في بعض الاحيان وعند
امتلاك الزمان

الفصل الثالث عشر

ويومٌ علينا ويومٌ لنا
ويومٌ نساء ويومٌ نسر
واهتم المستر فوج باقتاد الفتاة فكان
امراً شاعلاً بل كان مشروعاً محفوفاً
بالمصاعب والاهوال يتوعد حياة فيلاس

ان تدبروا الامر فانه اذا وقعنا في
قبضة الاعداء فلا شك اننا نعدم الحياة
بعد ان نذوق جميع انواع العذاب فاجابه
فيلاس

لا تدبر لك امراً

فاولوا التدبير هلكى

حقق الامر تجدنا

نحن اولى بك منك

- وارى من الملائم ان نتظر الليل

للشروع في العمل

- نعم وهذا اوفق وافضل

ثم اخذ يشرح للمسترفوج ما يعلم

من احوال القنائة فقال

- هي قنائة هندية ولدت في مدينة

بومباي وشبت على كرم الاخلاق وحسن

العادات واقتبست التهذيب والاداب

من الانكليز حتى فاقت ذوات جنسها

من بنات جلدتها فخالها الناس اوربية وهي

فاتمة الحسن بدية الجمال بارسية النسب

ولها ابوان غنيان في بومباي واسمها عائدة

ولما بليت بموت والدها زفها اقاربها

بالرغم عنها علي هذا الشيخ البندى لكاندي

وذلك منذ ثلثة شهور فبالنظر الى مكان

بالخطر او بوقوعه في اشراك الهوان وتعرضه
لنسوة معاملة الهند فيسومونه خسفاً وحيفاً
ويوسعونه ضرباً وطعنات وانا انفق وكان
من حسن حظه ان يطلقوا سبيله فيكون
قد فقد الحياة المعنوية بقصد فائدة الرحلة
وقيمة الرهان . ولكنه مع هذا وذاك
لم يتردد في الامر وقد لقي المستر كرومارني
مجبداً والفتى باسبارتو معينا غير انه خشي
خيانة السائق فعزم ان يطلب اليه
التزام الحياة اذا ابي ان ياخذ بناصره
ويرشده الى الوسائل التي تمكنه من بلوغ
الغاية باقضاء القنائة

ثم كاشفه السير كرومارني بما في
النية فقال

- تقوا بولائي وحسن وفائي وصدق

خدعتي وصفاء نيتي فان من تريدون

اثباتها هي من ابناء جلدتي فهي بارسية

مثلي لا يهون علي هلاكها ظلماً

وعند ما سمع من فيلاس هذا الجواب

الذي يشف عن موالاته واخلاص شكر

له ما اظهر من الغيرة وصفاء السريرة

فقال السائق:

ولكن يجب عليكم قبل الشروع في العمل

الهيكل او عما اذا كان يمكنهم ان يتقبلوا
الحائط ويخرجوا الفتاة من الثقب .
وطالت بينهم المناولة من غير ان يقرروا
طريقة ما وانما قرروا وجوب انقاذ الفتاة
في الليلة ذاتها قبل بزوغ الصباح فيصعب
عليهم اذ ذاك امر انقاذها

ولبت المسترفج ورفاقه يتظرون
اقبال الليل فلما خيم الغسق سكنت
التوضاء واخذ جميع الحضور من الهنود
في الثبول بالافيون المزوج بتقبع الثقب
حتى امسوا في حالة سهل معها على اي
كان اختراق صفوفهم والدخول الى
هيكل صنهم على حين غفلة منهم فهم
اذ ذاك الثلاثة للمسافرون (وكانت الساعة
السادسة من الليل) على اكتشاف موقع
الهيكل يتقدم السائق وبعد ان ساروا
عشر دقائق بلغ بهم القتي الهندي شاطئ
جدول يجري فيه ماء زلال فرأوا على
ضوء مشاعل موقدة من حطب الصنوبر
كومة احاطت بمنجعة كدسامرثودة بمنجشب
الصنديل الثمين منداة بزيت مطيب وفوقها
جثة الشيخ الفقيد مدهونة بالطيب معدة
للاحراق مع جسد ارملة الحمة ورأوا

علمت من مستقبل حظها ساعة وفاة
زوجها ركت الى الفرار من دار بعلها
وشردت نائمة في البراري والقفار ولكن
سوء حظها ساق الايدي اليها فقبض عليها
وهي الان كما ترون مسوقة الى العذاب
الاليم ولا مفر لها منه ولا مناص
وكان الشاب الهندي يتقد في كلامه
شقة وغيره ويلتهب حدة ويذوب كآبة
وغما ويقلب اوجه الحديث متفتنا في
ضروبه متقللا في اساليبه يجد فيثير
الاشجان ويمزج فيذهب الاحزان فزاد
ذلك سامعيه رغبة في انقاذ تلك الفتاة
من شدتها و اشاروا الى السائق ان يقودهم
الى مكان الضحية وان يدنو بهم من
هيكل بيلاجي ويجعلهم بقدر الامكان على
مقربة منه فلبى وسار بهم وبعد ان ساروا
نحو نصف ساعة وقف عند غابة كثيرة
الاشجار تبعد عن الهيكل خمسمائة قدم
وتحجب عنهم الانظار وهناك تباحثوا في
الوسائل التي تؤدي الى بلوغ المراد وكان
السائق يعرف مكان هيكل الصنم حيث
حجر على الفتاة فسألوه عما اذا كانوا يقدرون
ان يخترقوا المجموع وهم نيام فيلجئون ابواب

الغائب

وعلى ذلك لبثوا ينتظرون الوقت
المرغوب بالقرب من جذع شجرة وقد
طال عليهم الانتظار وشبهوا من الاصطبار
تحت غصون الأشجار والمشاعل موقدة
والحراس مكثلون بأئد السهاد والأنوار
تنفذ أشعتها من منافذ الهيكل وبينما هم
كذلك إذ تركهم السائق وتوجه لاستطلاع
ما في تخوم الغاب

وبعد أن انتظروا حصول الفرصة
الممكنة إلى منتصف الليل وكان الحراس
إلى ذلك الوقت على حالم من السهر
والإتباء عمدوا إلى اتخاذ طريقة تلائم
الحالة فاتفقوا على خرق حائط الهيكل
ولما عزموا على إجراء الضرورة راعهم شعور
الكهنة القائمون حول جسم التقدمة فترددوا
في الأمر وبعد أن استغرق تحدتهم زمناً
طويلاً أوماً إليهم السائق أن اتبعوني
فساروا وراءه وبعد أن طافوا مدة غير
يسيرة أدت بهم خاتمة المطاف إلى حائط
الهيكل بدون أن يصادفهم أحد في طريقهم
لأنه لم يكن في الطريق التي سلكوها خفراء
أو حراس كما أنه لم يكن في جهة الهيكل

الهيكل على بعد مائة خطوة من المحط
ثم بارحوا هذه البقعة بهدوء وسكينة
والسكوت لا يكدره سوى ميل الهواء
بالأغصان وساروا إلى منتهى الغاب
وهناك وقفوا مندهشين منذهلين من
رؤية جمع غفير من رجال ونساء وأولاد
سكارى بنجمة النوم منطرحين على الثرى
كأنهم صرعى في ميادين الوغى ومن
حولهم بعض سكارى الأفيون وعليهم أشعة
أنوار المشاعل وبالقرب منهم هيكل
الصنم بيلاجي تكتنفه الأشجار وعلى أبوابه
الخفراء والحرس متقلدون السيوف ومن
داخله طائفة الكهنة تقيم الشعائر الدينية
ويتلون الصلوات ففي هذه الحالة رأوا
أنه يستحيل عليهم الوصول إلى الهيكل
فارتدوا إلى الوراء عالمين أنهم لا يستطيعون
إدراك مبتغاهم ثم وقفوا يجادلون الآراء
باصوات مخفضة إلى أن قال السيد
كرومارني لرفيقه

— فلنتظر قليلاً فإنا في الجميع
الأول من الليل وفي الساعة الثامنة فإذا
تربصنا إلى أواسط الليل واستولى الكرى
على جنون الحراس طاب لنا إدراك

التي قصدوها منافذ او ابواب

وقد كان الليل وقتئذٍ مظلمًا
والظلام حالكا والتمر قريبًا من الزوال
نفثى عبياه الغيوم الملبدة وكان تكاثف
الاشجار الشامخة يزيد القنصام قتاما عند
الهيكل حيث كان فيلاس ورفيقاه مرتبكين
في شأتهن لا يدرون باي وسيلة يتقبون
الحائط وليس لديهم من الادوات ما
يستخدمونه في ذلك سوى سكين الجيب
ولحسن حظهم كانت جدران الهيكل
مبنية من الاجر والخشب فلم يكن لذلك
من صعوبة في خرقها فان اول قطعة
من الاجر اذا خرجت جرّت الثانية
وما اخذوا في العمل حتى سمعوا
صراخا من داخل الهيكل واخر تلاه من
خارجة فوقفوا مذعورين ثم ارتدوا على
انفاسهم خائبين فارين الى الاشجار بطاردون
الرب الى ان هداه روعهم فعادوا الى
استئناف العمل ولكن ابني نكد الطالع ان
يحقق امانهم بانقاذ الفتاة فان الحراس
كانوا اكثر من اسباب التحفظ محيطين
بجميع جوانب الهيكل احاطة الهالة بالتمر
او الاكام بالتمر فلما رأى السهر كرومارتي

من صعوبة الامر ما رأى صفق صفقة
الاسف وكاد باسبارتو يغيب عن الرشد
وثارت في فواد الفتى الهندي ثورة الاحزان
اما فيلاس فوج فليث ساكن الجنان
لا يجرّك ساكنا فقال له السهر كرومارتي
لقد خاب الامل من ادراك الارب
وما نحن الا نافخون الا في غير ضرم فسر
بنا نعود الى حيث كنا فقد اقترب النهار
فقال فوج

لا تنظن من رحمة الله

ولرب نازلة يضيق بها الفتى

ذرا وعند الله منها المخرج

فالحبر مفتاح الفرج والعجلة لا يعقبها
الا الندم فلندرع بدرع الصبر فان الوقت
لم يفت علينا ووصلنا الى محطة الله ابدا
مضمون قبل ظهر الغد

فتعجب كرومارتي من هذا الجواب
واخذ يأمل الامر بعين البصرة عله
يهتدي الى ما عساه ان يجي مائت الامل
في قلب فيلاس فوج ثم قال في نفسه
لم يبق الا طريقة واحدة وهي ان
يقتم الصفوف ويتشل تلك الضحية من
وسط العذاب

وعند ما اخرجها الكاهنان طافا بها في
وسط الجمع فعاودها المحمول ثنية واستحوذ
عليها المحمود من تصاعد دخان القنب في
انفها وهي تخترق صفوف الفقهاء الذين
كانوا يقابلونها بالبشر والاياس والصبيح
والانغام فاندمج في اخر الصفوف اللاحقة
بها المسترفوج ورفيقا وبعد مسير دقيقتين
وصلوا الى شاطئ الجدول فوقفوا على بعد
خمسین خطوة من كومة الحطب التي
كانت جثة الشيخ المتوفى ملتقا عليها
وهناك ظهر لهم جسد الضحية مدودا بالقرب
من جثة زوجها وبجانبيها مشعل يضي
وقوم يصون الزيت على الاحطاب
ويشعلونها فلما شاهد فيلاس فوج هذا
المنظر المحزن هاج فيه ما كان ساكنا من
الحمية فاراد ان يقتحم كومة الحطب فارقه
السائق والسير كرومارتي وبينا كان
يحاول التلصص من بين ايديهما اذ سمع
صوت مرعب مخيف من فوق كومة
الحطب خفت له القلوب جزعا وارتعدت
منه المفاصل خوفا فظن الحضور ان الشيخ
لم يكن مائتا وان فيه رمقا من الحبة ثم
احدقوا بالحطب فرأوا الشيخ يدنو من

ثم قال
ولكن هيات ان يفوز بنفسه
ومع كل ذلك لم يخالف رفيقه بل
تقدم معه نحو الغاب واقام واياء تحت
الاشجار الغضة يرقبان حركات الهنود
النيام
اما باسبارتوفائه جالس على احدى
الاشجار واخذ يتأمل فكراً طراً عليه وهو
الوثوب على زمر الهنود واقاذ الفتاة من
بين ايديهم ثم زحف بعد هنيهة كالافعى
على غصون تلك الشجرة المائلة الى الارض
وتربص

وكان الظلام لم يزل حاداً لانه
بدت في كبد السماء علام اقبال الصباح
فقام النيام وضربوا الصنوج والطبول
اشارة الى دنو اجل التضحية واحراق تلك
الفتاة المنكودة المحظ وحينئذ فتحت ابواب
المبكل ولاح من داخله نور ساطع تمكن
السير كرومارتي والمسترفوج بواسطته
من رؤية تلك الفتاة التي كان يجريها
كاهنان الى خارج المبكل وهي تحاول
البقاء فيه فرق لها قلبها ونديا حظها
وحارا في اي الوسائل يتخذانها لاقادها

امراته وبنهضها بذراعيه وينزل بها من على
الاحطاب بين الدخان المتصادفستط
كلاهما على الارض مرتجفين فلما نظرهما
القهلاء والخفراء اكبوا على وجوههم بعضون
الارض ولا يجسرون ان يرفعوا ابصارهم
لمشاهدة الاعجوبة
وما زال الشيخ سائراً والفتاة بين
نراعيه يفرق صنوف الجموع حتى بلغ
مكان فيلاس فوج والسير كرومارني
اللذين لبثا على الاقدام والسائق مخفياً
بالقرب منها فقال لها بصوت منخفض
اتبعاني

ومن هو رجل الاعجوبة . هو البطل
باسبارتو الذي انتشل تلك الفتاة من
مخالب المنون بشجاعته وبسالته وشق
الجموع سائراً بالفتاة غير مبال بامتداد
اللهيب او تكاثف الدخان وهو الذي
اقرب من مولاه ومن معه وقال لم بذلك
الصوت المنخفض ان اتبعاني فبعاه ووراءها
المسائق وساروا جميعاً بحمدون الله على
تحقق امنيتهم الى ان استولوا على ظهر الفيل
واطلقوا له العنان فسار
وبعد برهة من وقوع ذلك الحادث

الفصل الرابع عشر

في ان فيلاس فوج عبر وادي كانج العجيب
ولم يكن يأمل بمشاهدته

وبعد ان افلح السعي ونجح العمل على
نحو ما تقدم الكلام عليه قضى باسبارتو
ساعة في الفهقة كان يشتد ضحكها فيها
كلما تذكر الحيلة التي اخترعتها والمخدعة
التي تطلت على اولئك الهندود فاحلوه محل
شبحهم المخطط زوج الفتاة التي فازت بالهجرة
وقد شكر له السير كرومارني اقدمه
ونشاطه واثني مولاه المسترفيلاس على
بسالته وشجاعته فاجاب ان الفصل في

او كطوبر عند الظهر ليركب منها الباخرة
التي تسافر الى كيون كون

وفي محطة الله اباد اعد للفتاة حجرة
لستريح فيها وكلف باسبارتو بالذهاب
الى البلدة ليبتاع لها من الملابس ما هي
في حاجة اليه

اما مدينة الله اباد (اعني مدينة الله)
فهي من مدن الهند المقدسة لانها مبنية
عند نهريْن مندسين وهما نهر الكنج ونهر
جومنه اللذان يقصدها الناس من جميع
جهات الهند . وقال راما ان نهر الكنج
منبعه الفردوس وهو يجري على الارض
رحمةً بالعباد وحباً بالولي براهم

ودخل باسبارتو سوق البلدة لشراء
ما كلف بشرائه فطاف شوارعها مفتشاً
على مخازن الملبوسات فلم يجد فيها سوى
دكان واحد ل احد الاسرائيليين فيه بعض
المسوجات فاشترى للفتاة منها ثوباً وبرنسا
طويلاً وفرواً من جلد الثعلب يبلغ خمس
وسبعين ليرة انكليزية وعاد الى المحطة
وكانت صروف الحداث قد اخنت على
هذه المدينة الزاهرة فغطت تجارتها -
ودرست صناعتها ودكت حصونها

ذلك راجع الى مولاه دون سواه فهو الذي
كان باعثاً على اتقانها من مخالف الموت
الزوام

وبراً على الفتاة ساعات طوال من
غير ان تفيق من سنة الرقاد ترى
ما مر عليها وما آلت حالها اليه ولكي
تستفيق جرّعها السائق اثناء الطريق
كؤوس الرحيق ممزوجةً بالماء ولكنها
لم تستفيق بل لبنت غائبة عن الصواب واهنة
القوى لا حراك بها فإنا نزعجت عليها
الخواطر لان ذلك كان شأن من سكر
بتقيع القلب

وبناء على ذلك لم يفلق السير كرومارني
لغياها عن الرشد بل اهتم بافهام المستر
فيلاس انها اذا بقيت في ارض الهند تعود
الى الوقوع في شرك الاخطار فتقتل فوعى
المستر فوج كلامه ثم قال له انه سيستصحب
السيدة عائدة في اسفاره

وفي الساعة العاشرة وصلوا الى محطة
الله اباد التي تمتد منها الفرع الحديدى الى
مدينة كلكتوتا ويقضي القطار سبعة زهابه
اليها مسافة يوم وليلة وكان من الواجب
على المستر فوج ان يقدم اليها في ١٥

وهدمت أسوارها

وبعد أن مضى بعض ساعات على
عائدة افافت من غشوتها وعادت الى
رشدتها فاجالت، لحظتها فبين حولها ترشق
به الاقنعة فبحرّح وهرّح ولم يبق للبرء
من مطرح

بين اهل الهوى واهل الجمال

كل يوم دمّ بغير قتال
وكانت بذلك على حد قول الشاعر
من حسنهما ان ليس يوصف حسنهما

وجمالهما ان لا يجد جمالها
هي آية المحسن التي قد اعجزت

وصافها من حيث عزّ مثالها
ترنو بمقلّة جوهر نباله

وارحمته لمن نصيب نبالها
وتعزّ من تحت الغلائل قامة

من غير شك قاتل عدالها
ومن استنجار بعطفها من طرفها

ابقى له شرك الغرام دلالها
فاذا رنت واذا اثنت واذا دانت

فكنت فما من جيلة نخالها
قال فرن ، وهي احق من الملكة

احسينا جاره بوصف الشاعر انكاف .

وكان شعرها اللامع الاسود مسترسلاً
على كتفها وجبينها يفوق الثلج بياضاً
والبدن بهاء وضياء ويقطف الورد من
وجتها المستديرين وتنعكس من اضواء
البدور اشعة ساطعة على انسان عينها
البارزتين من تحت هديها الطويلين
ولها اسنان كالبرد يقتر عنها ثغرها البسام
واذنان صغيرتان بيضاوان كأنهما خلقتا
من طينة الملائكة . وفي رجليها اطواق
من افخر جواهر جزيرة سيلان واثمن
لاي جو لكند ولها خصر نحيل وقامة هيفاء
وعلى وجهها خمار من الحرير الهندي كأنه
منضد بالفضة متقوش بيد النفاش ((الاهي))
المدعوفيكما كارمد

وحدث ما استطعت عن حسن
السيدة عائدة وجمالها وتهذيبها وآدابها
وكانت متقنة درس اللغة الانكليزية كل
الاتقان وتكلم فيها بالفصح وارضع بيان
وقبل ان قام القطار من محطة الله
اباد تقد فيلاس فوج السائق اجرته على
مقنضى ما بينها من الاتفاق ثم وهبه
الفيل جزاء خدمته الصادقة واخلاصه
النام فشكر السائق وحمد ما استطاع

الله على خلاصها وإنما ازعجها ما كان لم
يزل محدقاً بها من الخطر بقاءها في ارض
الهند فرأى المستر فوج على جبينها الواضح
علاماً الأرتياك فعلم بما كان موضوع
افكارها فقال لها

يا سيدتي اننا سائرون الى كون كون
حيث تكونين في مأمن من الخطر لا يدركك
السلبه الاثنية ولا يظفرون منك بمغرم
فانجلت عن جبين الفتاة اذ ذاك غوم
الغم والاضطراب وزال عنها الوجع اذ
علمت انها ذاهبة الى كون كون . المدينة
الانكليزية التي يقطنها احد اقربائها من
يجرون ذبول الوجهة ومطارف الثروة
ويتمتعون بنعيم التجارة الواسعة

وعند الظهر وقف القطار في محطة
بينارس التي تبعد بضعة اميال عن
كون كون والتي يعسكر فيها الجيش
الانكليزي الكائن بامرة السير كرومارتي
فدنا السير كرومارتي من رفيقه فودعها
ثم ودع السيدة عائدة وانصرف عنهم جميعاً
وفي قلبه نغصة الفراق

وبعد ذلك سار بهم القطار في
وادي الكنج فشاهدوا من وراء زجاج

الى الشكر والحمد سيلاً وبعد ذلك
ركب فيلاس فوج ورفيقاه احدى مركبات
القطار واجلسوا السيدة عائدة في المجل
الاول وجلسوا هم بالقرب منها مقدمين
لها الاشربة المنبهة واستمروا كذلك حتى
افاقت من سكرتها فوجدت نفسها على
عربة يجريها البخار اسوة باقي عربات القطار
الموجه الى مدينة بينارس التي تبعد عن
محطة الله اباد مسافة ثمانين ميلاً يقطعها
القطار في مدة ساعتين فاستولى على الفتاة
عند ذلك الاندهاش واحمرت خجلاً اذ
رأت حولها اشخاصاً من الفرنجة ما رأتهم
قط يعتنون بها ويهدون لها اسباب الراحة
والصفاء وفي اثناء المسير قص السير
كرومارتي عليها ما كان من امرها واعلمها
بمن كان سبب خلاصها ونجاتها

فلما فرغ السير كرومارتي من كلامه
انفتحت عائدة نحو منقذها والدمع مل
عينيها ولم تنطق ببنت شفة تاركة للدمع
ان يعرب عن عواطفها وينوب عنها بتقديم
الشكر على النعمة والامتنان من الغيرة .
ثم اخذت تذكر المصائب الذي كاد
يفتك بها فارتعدت فرائصها وحدثت

ومن سرعة مسير القطار في قلب
ذلك الوادي لم يتمكن المسافرون من احداث
البصر فيما مرّ بانظر من المناظر التي تفر
بها النواظر ونسر الخواطر كمدينة شينار
الكائنة في جنوبي مدينة بينارس على بعد
عشرين ميلاً منها ومدينة غازيپور المحيطة
على عدة معامل لاستخراج ماء الورد
وكصريح اللورد كور واليس الكائن على
الضفة الشمالية من نهر الكنج ومدينة بانطه
الزاهرة النابغة في التجارة والصناعة والرائج
فيها سوق الافيون ومدينة موندير التي
تضاهي مدينة ليمبول في المعامل
الحديدية المنشأة لصب الحديد والسلاح
الابيض

وما برح القطار سائراً حتى هجم
جيش الليل فرفع فوق الارض راية الظلام
وحجبها عن العيون فصارت لا ترى شيئاً
موجوداً ومراً الليل على هذه الحالة وفي
الساعة السابعة من صباح اليوم التالي
الواقع في ٢٥ اكتوبر بلغ القطار محطة
كالكونافاستراح فيها المستر فوج مستظراً
حلول الظهيرة ليركب الباخرة المسافرة الى
كون كون وكان قد مر عليه من يوم

النوافذ مناظر تدهش الابصار وتجبر
الافكار ان رآوا جبلاً تنطح السماء بقممها
الشامخة يكسوها الربيع بساطاً سندسياً
وحقولاً مزروعة من الحنطة والشعير
والادره وبجيرات تسبح فيها التماسيح وقرى
تأهل سكاناً وصحارى تنبت الخضار
وهجناً ونجسلاً ورجالاً ونساءً وولداتاً
قاصدين الاستحمام في تلك المياه المقدسة
عندهم . وكان الفصل يومئذ فصل الشتاء
فكان البرد قارساً والمستحمون لا يبالون به
ويقطن هذا الوادي طائفة شديدة
الكراهة والاضطهاد لمذهب البوذيين
تعبد الاله (ابراهيم) (التجسد في ثلاثة
اقانيم) (وياشتو) اله الشمس
والكواكب و (صيفه) اله اليأس
والبطش اما براهم فهو اله الكيموت
والشرعية . وجميعهم يخدعون غضباً
ويستشيطون غيظاً ويمزقون كدراً عندما
يرون الهند انكليزية ويرون في مياه
الكنج سفناً بخارية يجفل من دويها الذباب
الحائم على وجه الماء وتهرب السلاحف
الزاحفة على ضفتيه ويرتجف النساك
المتشرون على شاطئيه

اللقاء معنا-

- نعم

ثم سار الجندي وتبعه المستر فوج
والسيدة عائدة وباسبارتو الى ان وصل
بهم الى مركبة يجرها فرسان من جباد الخيل
فركبوا جميعاً وسارت بهم في طرق
حرجة المسالك ملأى بالكواخ ناهل
من القوم الرحل سكاناً متردين بثياب
رثة واستمرت سائرة الى ان مرّت بمدينة
اوربية ذات بنايات شاهقة مبنية من
الاجر الاحمر تنفيا ظلال التجار من شجر
جوز الهند فوقفت بهم امام قصر عظيم
وهناك نزل الجندي وانزل المسافرين
من المركبة وسجنهم في احدى غرف القصر
وامرهم ان يلبثوا فيها حتى الساعة الثامنة
وانصف حيث يساقون امام قاضي اوباديه
ليسمعوا الحكم الصادر عليهم

فجلس باسبارتو على مقعد في السجن
يندب سوء حظه والتفت السيدة عائدة
باعتين اغرورقت بالدموع الى المستر
فوج وخاطبته بصوت خشنه البكا
قائلة له

- لا كنت ولا كانت نجاتي فانا

خروجه من لوندريه حتي وصوله الى كلكوتا
ثلاثة وعشرون يوماً وعلى مقتضى تعديله
لاوقات رحلته يكون قد وصل الى كلكوتا
في الميعاد الذي يجب ان يصل فيه اليها
بدون تقديم أو تأخير

الفصل الخامس عشر

في ان المستر فيلاس فوج بذل مبلغاً
وافراً من القود في سبيل حرجه
ولما وقف المطار في المحطة نزل
منه باسبارتو ثم تبعه المستر فوج قائداً
بيده السيدة عائدة الى الرصيف وهناك
عزم ان يذهب بهاتوا الى الباخرة حيث
تستريح من عناء السفر في احدى غرفها
وقد آلى على نفسه ان يرافقتها والا يفارقها
قط ما دامت في ارض الهند محفوفة بمخطر
الموت وقبل ان يسير رأى امامه احد
الجند واقفاً فقال له

- أحضرتك المستر فيلاس فوج
وهذا خادمك باسبارتو

- نعم

- اتبعاني

- أرباح لنا ان نصحب هذه

المرفوعة من الكهنة على فيلاس فوج
وخادمه باسبارتو لخرقها حرمة الاديان
وبعد ان فرغ من قراءتها اجاب فوج
وهو ينظر الى الساعة وقال

— هذا صحيح واقر بمجدوته ولكن اكاف
الكهنة بان يحيطوا بالحكمة علما بما كان
في عزمهم ان يرتكبوه في هيكل يلاجي
— وقال باسبارتو

شهد الله انهم لولانا لكانوا قتلوا نفسا
حرم الله قتلها واماتوها اشنع ميتة فوق
كومة من الاحطاب يوقدونها فتعترق
فتعجب الكهنة من سماع هذه التهات
التي وجهت عليهم وما قتها مغزاها ولا
ادركوا معناها

فسأل القاضي باسبارتو بقوله
— وهل كان ذلك في مدينة بومباي
فتلجج في الجواب ولم ينطق بكلمة فقال
كاتب الجلسة

— وشيئا لما ادعى به الكهنة من تجربته
على ما فعل هاحذاؤه الذي تركه
في المعبد

قال هذا ووضع الحذاء على مائدة
كانت امامه

السبب في شقائك وسحبك وهك وحرنتك
ولكن لا تندم يا مولاي على ما فعلته
معي من الجميل فجزاك عند ربي واطلب
البك ان لا تخلى عني لئلا يسوء مصري
واقعد المحبوة لا محالة

فاجابها المسترفوج
اني لا اتخلى عنك مها حماي امرك
من المشاق والمناعب وكبدني من النقعات
حتى نصلي الى كون كون
فقال باسبارتو

ان الباخرة تسافر من هنا عند الظهر
فقال فوج
وسنكون عليها قبل الظهر
وفي الساعة الثامنة ونصف سيقوا
الى القاضي ومثلوا بين يديه

وبعد انعقاد الجلسة نهض كاتب
القيود واستدعى بالمسترفوج وباسبارتو
فاجاباه الى الدعوة ثم دخل صاحب
الحكمة ثلاثة كهنه من الهند ووقفهم في
بيرة المجلس فلما رآهم باسبارتو قال لرفيقه
(هؤلاء هم الالباسة الذين اردوا ان يحرقوا
الفتاة عائدة)

ثم قرأ الكاتب علنا نص الشكوى

فلم يسعه غير الاقرار فحينئذ صدر الحكم
وقراءه القاضي فاذا هو ينصه هكذا
(بما ان حكومة جلالة الملكة تشمل مجامعتها)
(جميع الهنود وتدافع عن اديانهم على)
السوء وبما ان باسبارتو قد اقر بالجريمة)
(التي ارتكبها بدخوله الى معبد الصنم)
(ماليارهيل الكائن في مدينة بومباي)
(في اليوم الواقع في ٢٠ اكتوبر قد)
(حكمتنا على باسبارتو بالسجن خمسة عشر)
(يوماً واداء غرامة قدرها ٢٠ ليرة انكليزية)
(وبما ان الموالي يسألون عما يفعل)
(خدمتهم فقد اعتبر المستر فوج ايضاً)
(مجرماً ولذلك قد حكمتنا عليه بالسجن)
(مدة ثمانية ايام وبدفع غرامة قدرها ٥٠ ليرة انكليزية)

وبعد تلاوة هذا الحكم طابت نفوس
وانقبضت نفوس فاهتز فيكس طرماً
وظفح فواده سروراً لصدور الحكم على
المستر فوج بالسجن ثمانية ايام في مدينة
كلكتونا بحيث يتيسر له في خلالها تلقي
الاوامر من لندره بالقبض عليه اما باسبارتو
فانه وقف في موقف الحزن والكمد بنذب
سوء حظه ويتفلس الصعداء وما هم سوى

فلما رأى باسبارتو ذلك تذكر ما
كان ناسياً وحاق به قلق شديد لم يستطع
اخفائه فانه علم ان موضوع الشكوى هو
دخوله الى هيكل الصنم ماليارهيل في
مدينة بومباي وليس محاولته خرق جدران
هيكل جيلاجي

مر بنا الكلام على ان البصاص فيكس
قد سمع باسبارتو في محطة بومباي يقص
على مولاه ما وقع له مع كهنة هيكل
ماليارهيل فعمل على دس الضغينة في
افئدة الكهنة وحثهم على اقامة الدعوى
امام الحكومة فاتحاً لهم باب الطمع في نيل
قدر وافر من الذهب ارضاء لهم فبعثوا
برسائل برقية الى حاكم كلكتونا ليلقي
القبض على فيلاس فوج وخادمه لحماية
ارتكبوها فنجعلت الحكومة تبحث عنها حتي
وصلا الى مدينة كلكتونا وكان الكهنة قد
وصلوا اليها قبلها لكونها اضاعا زمناً في
سبيل اتقاذ الفتاة عائدة ولم يكن لفيكس
من مأرب في ذلك الا اعاقه فيلاس عن
السفر مدة حتى يصله امر القاء القبض
عليه من ادارة عموم البوليس في لندرة
وسأل القاضي باسبارتو عما يقول

الحكم على مولاه وزجه في السجن مدة ثمانية
ايام من غير ان يأتي منكراً او يقترب
ذنبا

واما فيلاس فوج فما ثار له جاش
ولا اختلج في صدره غيظ كأن لم يحكم
عليه ولم يكن له دخل في الامر ولما عمد
الكاتب الى اعلان قضية اخرى لاستماعها
طلب المستر فوج الى القاضي الافراج عنه
بالضمانة فطلب منه القاضي دفع مبلغ
قدره الف ليرة قبل فوج ودفع القدر
المطلوب من السفائح التي تحويها جعبته
وخرج موعزاً للخدمة ان يتبعه فعند ذلك
التفت باسبارتو الى القضاة ومألم بغضب
ان يرجعوا اليه حذاءه فردوه اليه ثم تبع
مولاه الذي كان يخطر كالغيد ممسكاً
بساعد الفتاة عائدة غير مبال بما فقدته من
المال وكان فيكس يتأثرهم الى ان ركبا
عربة سارت بهم الى رصيف البحر حيث
ركبا صندلاً اوصلهم الى ظهر الباخرة
رائعون التي كانت على اهبة السفر الى
كون كون . ولما تحقق فيكس سفرهم
ضرب صدغه بيديه وخطب الارض برجليه
واطلق للسانه العنان شتماً وتعديفاً ومخط

على المستر فوج وعلى الارض التي ثقله
والسما التي تظله والطعام الذي يغذيه
والماء الذي يرويه ثم هام في اودية التأمل
قصد الانتهاء الى وسيلة يوقف بها المستر
فوج الذي لا يأسف على فقد الدرهم ولا
بخش في بذله لوماً فاته انفق منذ قيامه
من لوندرو حتى وصوله الى كلكوتا ما
ينيف على خمسة آلاف ليرة بين جزاء
يؤديه وفيل باغلي الاثنان يشتريه وغرامة
يدفعها وضمانه يتقدها مما جاء مضراً
بمصلحة البصائر فيكس الذي اذا قبض
على فوج وكان هو اللص نال خمسة
في المائة من الاحوال التي تضبط منه
وذلك ما عدا المكافأة التي وعد بها
فكان لذلك يأسف على الاموال التي
كان ينفقها

الفصل السادس عشر

كيف ان فيكس تجاهل تماماً ما كان
يسأل عنه

لم تتوفر اسباب الراحة للسيدة عائدة
في الباخرة رائجون التي يبلغ مجهولها الف
وسبعائة وسبعين صنّاً وقومها اربعمائة

عائلتها الشريفة حديثها

كونها على ريب من لقاء

الرعاية في نزولها عليه في كون دور

وكان فيلاس فوج كله آذاناً مصغية

الى حديثها وهي تبدي من الدلال على

غير عدم ما كاد يجعلها صبا مستهماً

ولو لم يكن كما عرفناه من حيث التأثير

والافعال لافتتن بها واشتدت غيرته

عليها ولكنه لم يأف الهوى ولم ينق طعم

الصباة فتحول لذلك عن الافتتان بحال

هذه الغادة المحشاء الى الاعتناء بامرها

وبلازمتها على قدر الامكان لئلا يدركها

الملل من العزلة وقد اقتصر على ان يظهر

لها الملائقة والموانسة من ضمن دائرة

الادب والاحشام

وكان باسبارتو قد اعلم السيدة

عائدة باخلاق المستر فوج وبما هو عليه

من غرابة الطباع وبأمر طوافه حول

الارض في ثمانين يوماً

وما زالت الباخرة تشق العباب

والريح طوعها حتى اشرفت على جزيرة

اندامان انني تنطح السحاب يجبالها العالية

وتتخللها فلولات واسعة شاسعة يظللها

حصان وتضارع الباخرة مونجوليه في

سرعة السير لا في تمام الاتقان والانتظام

وهي من بواخر شركة الوابورات الشرقية

المتخذة خطة مسيرها بين الصين واليابان

وتسير مدة اثني عشر يوماً تنقطع في خلالها

مسافة ثلثة الاف وخسمائة ميل وهي

المسافة الكائنة فيما بين كلكتونا وكون كون

وقد قضت السيدة عائدة الابهام الاوائل

من سفر الباخرة في قص الاحاديث على

المستر فوج بما كان يذهب عنه الشجن

ويزيل عن قلبه الحزن معربة له من آن

الى آن عن مزيد امتنانها من اهتمامه بانقاذها

واعتنائها بها فانشرح بلطف كلامها صدىً

وقر بمحاسنها الفتاة عيناً

وقد كشفت له النقاب في خلال

الحديث عن حسبها ونسبها وذكرت له

لمعان تاريخ اعظم رجال عائلتها واقربائها

الذين نالوا نياشين الشرف من جلالة

امبراطورة الهند وجمعوا الاموال من اتجارهم

بالاقتان واحاطته علماً باسم الناجر

الشهير السير جامس جيبيهورى المقيم في

مدينة بومباي ابن عم المكرم جيبي احد

اغنياء كون كون واعظم اقداراً وهو من

عن ارسال الامر القاضي بالقبض عليه
ولا سباً اذا بلغ كون كون ولم يلق الامر
المتظر فان هذه المدينة هي آخر
حدود مملكة انكلتره في الهند فاذا تجاوزها
ودخل فوج ارض الصين او اليابان او
امر كاتندر عليه الفاء القبض عليه بسهولة
فان شرائع هذه البلاد تقضي باطلاق
الحرية لكل متجني اليها من مرتكبي الذنوب
في غيرها الى ان تصدر عليه الاحكام بما
يستأهله من العقاب وبهذه الطريقة يتمكن
اللص من التخلص والفرار وتكون اعاب
البصا وتنفقاته قد ذهبت ادراج الرياح
ومر على فيكس ساعات طوال
قضاها في حجرته بالباخرة متقلبا بين اليأس
والرجاء تائها في قفار الافكار والتصورات
واستمر كذلك الى ان حكم بانه اما ان
يتمكن من القبض على المستر فوج في
كون كون واما لا فان تم له الامر الاول
يكون قد بلغ اربه ومشتهاه ونال الشرف
والافتخار والا فيكون مسعاه قد اخفق
ولحق به العار والشار فلا يتجاوز تلك
المدينة في اختفاء اثر اللص
وكان في عزمه ان يكشف باسبارتو

شجر الفخل والخيزران وجوز الطيب
وغير ذلك من الاشجار الغضة التي تحجب
الاصار عن الابصار ووراء هذه الفلوات
سلسلة جبال عديدة ياوي منحدرها طير
السنة الذي يطبخ من لحمه الذلما كولات
في مملكة ابن السباء

وباسرع من لمح البصر اجازت السفينة
هذه الجزيرة ودخلت في بوغاز ((مالاغا))
المتصل ببحر الصين

وعند ما تحقق البصا فيكس
مبارحة المستر فيلاس فوج لمدينة كلكوتا
امسى مصعوقا بصعقات الخيبة فتوجه الى
ادارة الضابطة واعلمها بعزمه على الذهاب
الى مدينة كون كون وطلب منها ان
ترسل اليه ما عساه ان يرد اليه من لندره
متعلقا بوجوب القبض على المستر فوج
ثم عاد الى المينا وركب صندلاً فاوصله
الى الباخرة راتخبون وهو في حال من
القلق والاضطراب لا يعلم شدةها الا الله
وقد اخذ يتنازعه عاملان هما بذل المستر
فوج للدنيار بمقاساته مشاق الاسفار
والخوف من فرار المستر فوج من بين
يديه اذا تاخرت ادارة البوليس في لندره

ان يذهب على غير طائل حتى اذا رست
الباخرة في مياه سنجا بور في اليوم التالي اي
اول نوفمبر رفع الامر الى حكومة كون كون
بسلك الاشارة البرقية وكلفها بالقبض على
المستر فيلاس وزجه في السجن لارتكابه
جريمة السبي وانتهاك الاعراض باغتيل
فتاة يسوقها امامه على غير ارادتها ويسوءها
الخسف والعار

وعزم فيكس ان يجمع بباسبارتو
ويطارحه الحديث ليستطلع منه طلع الحالة
وقوفاً على خبر الفتاة واصطحاب المستر
فوج لها فخرج من حجرته وصعد الى ظهر
الباخرة فالتقى بباسبارتو الذي لما حانت
منه التفاتة اليه اقبل عليه وحياه تحية
المشاق بعد طول الفراق وقال له

— ما لي اراك على ظهر الباخرة العلك
تطوف مثلنا حول الارض في ثمانين يوماً
فاجاب فيكس

— لا وانما قضت علي بعض البواعث
بالذهاب الى مدينة كون كون لاصرف
فيها بضعة ايام في قضاء بعض الحاجات
وكيف حرمتني من انسك والطافك
في المدة التي مرّت بنا من حين

بما خطر له الا انه خاف سوء العقبى فامتنع
وشغل عن الاستسلام للناملات بالتعجب
والانذهال عند مشاهدته بجانب المستر
فوج فتاة حسناء تمس بحلة البهاء وتمجاذبه
اطراف الحديث فظن انها خليلته وانها
واعده بعد افتضاح امرها على الاجماع في
ارض الهند حيث يكونان بمعزل عن
العادل والرقيب واية شجرة ما هزّها الهواء
اي غصن ما حركه رياح

اي قلب لم ترمه عينان

وحاول البصاص فيكس معرفة من
تكون هذه الغادة الحسنة وابن ومنى
التقت بالمستر فوج حتى اذا ما دلته قرابين
الاحوال على كونها خليلته له مقيدة بعمل
سواء واغتالها يداه من حجر زوجها
افتتاناً بحسنها وجمالها وشى عليه ودس
الدسائس واستلفت اليه انظار الحكومة
فتقبض عليه لتتحرى امره ويكون بهذه
الوسيلة قد التى في طريقه عثرات اوقفت
اطراد مسيره الى ان يرد اليه من لوندريه
امر القبض عليه

وكان البصاص فيكس شديد الرغبة
في الوقوف على حقيقة الامر ضناً بالوقت

— لا ولكنه سيسلمها لاحد اقربائهما
 في كون كون
 فتكدر فيكس عند سماعه هذا الجواب
 وصرف باسنانه ثم دعا باسبارتو لتناول
 كأس مدام فقبل الدعوة وشرب الكأس
 على سر تلاقيهما في الباخرة رائحتون

الفصل السابع عشر

في ضروب مختلفة من الكلام
 ومَرَّت ايام السفر من كلكونا الى
 كون كون وباسبارتو يلتقي في خلالها
 بالبصاص فيكس على ظهر الباخرة
 فيصران الوقت في الحديث غير ان
 فيكس كان يتعاشى في حديثه الطويل
 والاسهاب لتلا بآتي غير مختار بما يشف
 عن ذات الصدور

اما باسبارتو فكان يتأمل البواعث
 التي قضت على فيكس باتباع هذه الخطة
 من السير وراء فيلاس فوج وبان انه من
 طبع كل انسان ان يتأمل الاسباب
 ويأولها خطر لباسبارتوان فيكس انما
 هو مكلف من قبل اعضاء الكلوب في
 في لوندريه باقتفاء اثر فيلاس فوج في

خروج الباخرة من مرفأ كلكونا
 — لأن الم البحر الم في فكدر صفاء
 عيشي والثاني على فراش العناء انقلب
 بين اليأس والرجاء بسبب انحراف صحي
 ولكن قل لي كيف حال مولاك
 — في غاية ما يرام من العافية والنجاح
 في طوافه حول الارض في ثمانين يوماً
 وباليك تعلم من نصطب معنا
 — من من

— عادة حسناء تزري بالشمس بهاء
 وبالبدر جمالاً وبالفصن اعتدالاً
 — عادة غادة ... فتاة .. فتاة ...
 و
 — اجل

ثم قص عليه ما توقع له في هيكل
 صنم بومباي واخبره بما قضى به عليه وعلى
 مولاة في مجلس كالكونا وسط له كيفية
 شراء الغيل واتخاذ الفتاة عائدة من
 الحريق فكان فيكس يسمع الكلام بتعجب
 واستغراب كأنه ليس على علم ببعضه وبعد
 فراغ باسبارتو من كلامه قال له فيكس
 — هل في عزم مولاك ان يستصحب
 هذه الفتاة الى اوربا

والخيزران وجوز الطيب التي يتفاء ظلالها
مئات من القروذ والغورة والفهود التي
تأتي تلك المراض من جهات مالاغا
بطريق البوغاز عائمة على وجه الماء

وبعد ان قضى المسترفوج والسيدة
عائدة مدة ساعتين في جوب الغيطان
يستنشقان النسيم عادا الى المدينة ذات
البنائات الشاهقة والقصور الجميلة التي
تكتنفها الحدائق من كل ناحية وصوب
بما يسر الخواطر ويقر النواظر

وكان باسبارنو قد خرج من الباخرة
الى المدينة سنجابور وبعد ان جال في اسواق
المدينة عاد الى ارضة البحر يتظر اباب
مولاه ولما ان وفد عليه مصحوباً بالسيدة
عائده دنأ من الفتاة وقد لم لها فاكهة كان
قد ابتاعها من السوق ثمراً يشبه التفاح
حررة ورائحة فتناولته من يديه واثنت عليه
وركبوا جميعاً صندلاً واحداً اوصلهم الى
الباخرة التي انموها غاصة بالركاب المختلفي
الاجناس من هنود وسيلانيين وصينيين
ومالين وبورتوغاليين وقد اقلعت بهم
بعد الساعة الحادية عشرة قاصدة جهة
كون كون التي تبعد عن سنجابور مسافة

رحله ليأتيهم بالبهاء الصحيح القاطع لقول
كل خير بكيفية اتمام الرحلة

وقد ساء باسبارنو لدى هذا التأمل
عدم ثقة رجال الكلوب بمولاه حتى انهم
الحقوا به جاسوساً سرّياً يرقب سيره ولكنه
ارتأى ان يكتم الامر لئلا يثير في مولاه
عامل الغضب

وما حلت الساعة الرابعة من صباح
يوم الخميس الواقع في اول نوفمبر حتى
اجازت الباخرة وانجوت بوغاز مالاغا
ورست في مياه سنجابور لنذر الشحم والغنم
والماكل والمشرب . وكان رسوها قبل
ميعاد وصولها القانوني بست ساعات
رقمها المسترفوج في حقل الارباح من
دفتر رحلته ونزل الى البر مستصحباً السيدة
عائدة وربما استوت قدماء على الارض
انتأجر عربة يجرها فرسان من خيول
هولانده فركبها مع السيدة عائدة والباص
فيكس يرقبها عن بعد فسارت بها في
جزيرة سنجابور بين الحدائق والرياض
والبساتين والغياض التي تجلو عن الفواد
صداء الكد حتى مرّت بها تحت ظلال
اشجار من النخل والقرنفل والفلفل

الشركة الشرقية (١) وغيرها من بواخر
شركة جوجونده وكوريه نقصاً واختلالاً
من حيث تجويفها واتساع دائرتها فانها لا
تكاد تحمل سدس ثقلها حتى تغوص في الماء
بخلاف السفن الفرنسية من سفن شركة
الميساجيري والامبراطورية والكاميادج فانها
تحمل بقدر ثقلها من المياه ولا تغوص

ولا تسئل عن اسباب توفائه كان
يخدم غيظاً على مهندسي السفينة ويسلقهم
بلسان حاد ويبري عملها باسم التعنيف
والتعريف ويشتم شركة البواخر ويدعو
بالقطع على الالدي التي انشأتها والبحر
الذي اقلها

وربما كان غيظ اسباب توفائه عن
تذكره لمصباح الغاز الذي تركه موقداً
في حجرته بشارع سافيل في لوندرة فشط
عن الرشد لعله بانه لا يزال موقداً على
نفتته ومل من طول السفر

وبينما كان ذات يوم على هذه الحالة
من الضجر والقلق سأله البصاص فيكس

(١) التي تمخر مياه الصين

الف وثلاثية ميل وفي بادئ سيرها كان
الجو صافياً والهواء معتدلاً ولكنها لم تقطع
بعض اميال حتى ثارت الرياح وازيد
البحر وتلاطمت الامواج وهبت العواصف
من الجهة الجنوبية الشرقية فهدت للسفينة
سبيل السير السريع لا سيما بعد ان نشر
الرياح شرعها

ولم يكن من متعنى المسترفيلاس
فوج سوى ان تمكن السفينة من الوصول
الى كون كون في مسافة ستة ايام حتى
يسنى له السفر على الباخرة التي تسافر
في ٦ نوفمبر الى يوكوهاما (احد مرافئ
اليابان المهمة)

واشتدت ثورة الانواء على السفينة
وهي تشق العباب حتى كادت الامواج
المتلاطمة تبلعها فانها كانت ترفعها تارة الى
ما يوازي ارتفاع الجبال الشامخة وتخضعها
طوراً الى اعماق اودية البه حتى انخلعت
قلوب الركاب واضاعوا الرشد والصواب
فاستلقوا على ظهورهم من اللع والحقوف
وشدة الاهتزاز

وهنا محال للقول ان في بناء باخر

عن سبب كدره فأجابه

- اني سئمت من طول السفر

- هل في عزم المسترفوج ان يذهب

من كون كون الى يوكوها على اول
باخرة

- لا محالة

- هل انطلقت عليك خديعة في

هذه الرحلة الغريبة

- وعليك

- معاذ الله

- بالخداع . فعليك اذن ان

تستمر مرافقاً لنا في هذه الرحلة حتى تفرق

الفث من السمين وتميز بين الشك

واليقين

- اني عازم على ذلك اذا سمعت

لي الظروف ومكنتي الاحوال

- اظن انها تسمع لك بمبارحة

كون كون كما سمعت لك بالسفر من

بومباي والمخرج من كلكتا ولكن قل

لي ماهو الربح الذي تترجمه من هذه الحرفة

- تارة يكون كثيراً وطوراً يكون

قليلاً حسب الظروف ولكن لست في

هذه المرة مسافراً على نفقتي الشخصية

- اني عالم بذلك جيداً

قال هذا وضحك حتى استلقى

على قفاه

فتبين البصاص فيكس من ذلك

ان الشاب الفرنسي اطلع على امره ووقف

على خبره فراحه اتصال الامر بالمسترفوج

وعند انتهاء الحديث انطلق فيكس الى

حجبرته فدخلها مكتئباً معتبداً رأسه بين

يديه مفكراً في شأنه وفيما عسى ان يتخذ

من التذابير بعد اخضاع امره . واستمر

كذلك الى ان خطر له ان يترصد ويتجسس

في تبادل الحديث مع ماسبارتو في هذا

الشأن حتى اذا علم من سياق الكلام ان

بين الخادم ومولاه اتفاقاً على ارتكاب

السرقه نشط الى اقفاء اثرها واما اذا تحقق

فساد ظنه وبراءة المسترفوج اوقف مسيره

في كون كون

الفصل الثامن عشر

كيف ان كلاً من المسترفوج وباسبارتو

وفيكس توجه في سبيله لقضاء

حاجاته

واشتدت على السفينة وطأة الانواء

يوكاها ما قد اقلعت اليها فيتوقف اذ ذاك

سفر المسترفوج اليها

وكان فيكس لدى هذه التأملات

غير مبال بما كانت يقاسيه من التعب

والعناء اما باسبارتو فكان شديد الخط

على هياج البحر العجاج وتلاطم الامواج

ويرتفع انفعالاً من اسباب ذلك التأخر

ويهرق بأساً من المحصول على المراد

وقنوطاً من الوصول الى كون كون قبل

ان تسافر منها الباخرة المعينة للسفر الى

يوكوها ما كأنه نفس عاقد الرهان المعرض

لخسارة مبلغ العشرين الف ليرة

وكان تارة يتأمل ثورة العواصف

وهرب الرياح فيتحول عن مصدر هبوبها

الى النظر في كيفية سير السفينة وحيناً

يذهب الى ريان السفينة ليستعلم منه عن

وقت سكون الانواء وآونة ينطلق الى

نوتية السفينة ويحثهم على الصبر والتجملد

واستمر كذلك الى ان وقف شاخصاً الى

الفضاء لا ينطق بكلمة ولا يدي حراكاً

وفي ٤ نوفمبر تغيرت الرياح وجاهت

ملائمة لاسير السفينة وسبحان مغير الاحوال

ومبدل العسر باليسر فهدأ روع باسبارتو

في الايام الاخيرة من سفرها لما اشتداد

فئارت عليها العواصف والزواج بمجة

لا مزيد عليها في ثالث ورايع نوفمبر

وتحولت الريح الى الجهة الشمالية الغربية

فحالت دون مسير السفينة ومنعتها من

الاستمرار على سيرها المنتظم فطوى ربانها

الاشرعة ما عدا شراع الصاري الاوسط

لتنتمكن من استقراء خطة سيرها على مهل

بحركة عشرة دواليب من الرفاص

ولا خفاء انه اذا دامت الحالة على

ما هي عليه من ازباد البحر وهياج الانواء

يتأخر وصول السفينة الى كون كون

مدة عشرين ساعة في الاقل وهذه المدة

كافية لان تعبط مسعى المسترفوج وترده

الى بلاده خاسراً خاسئاً اذ يقطع بها

خط المواصلات بين البواخر التي تسافر

من اماكنها في اوقاتها المعينة

ويقدر ما كان البحر مزيداً كان

البصاص فيكس فرحاً مسروراً بل كان

يبتهل الى الله ان يزيد عصف الانواء في

ذلك البحر العجاج لتتأخر السفينة عن

الوصول الى كون كون عدة ايام بعد

ميجادها المعين فتكون الباخرة المسافرة الى

يوكوهاما قبل سفر الباخرة منها الى سان
فرنسيسكو فان بين السفن التي تجاز
الباسيفيك عهداً اتتيدها بالواجبات التي
نشأ عما اذا حدث لاختارها تأخر عن
مواعيدها فتبسم المستر فوج سروراً وامتناناً
من التقادير التي احدثت هذا التأخر
غير المتظر لسفر الباخرة ثم شكر للرئيس
تعليماته الجليلة وعاد الى حجراته في السفينة
اما باسبارتو فكان كله ساعة ذلك
الحديث اذناً مصغية فزاله عند سماع تلك
الكلمات كل وجل واضطراب ثم اقبل
على الرئيس فهزّ يده دلالة على التشكر
والامتنان

وفي الساعة الاولى بعد الظهر رست
السفينة في مرفأ كون كون فنزل ركبها
الى البر وكل منهم مشتغل بشأته متوقع
للوصول الى اريو

وبما ان السفينة كارناتيك المكلفة
بنقل البريد الى يوكوهاما لا تبارح مياه كون
كون الا في الساعة الخامسة من صباح
اليوم الثاني كان للمستر فوج فرصة ١٢
ساعة يقضيها في الاهتمام بشؤون السيدة
عائدة فنزل الى البر مستحباً اياها وانزلها

وعلق اهداب آماله بنواصي التقادير
ولكن السفينة قد ابطأت كثيراً في
المسير بحيث استحال عليها ان تبلغ يوكوهاما
في ميعادها المعين اي في ٥ نوفمبر . وقد
وصلت في الساعة السادسة من صباح
سادس نوفمبر الى مدخل بوغاز كون كون
فحضر اليها رئيس البوغاز ليتولى قيادتها
في الدخول الى المرفأ قصد ان تدخله
امنة شرا الصغور

وعزم باسبارتو مراراً على الاستفسار
منه عن سفر البريد الى يوكوهاما ولكنه
كان يمتنع من ابداء ما لديه . فان شدة
الخوف كانت تمحله على الاعتقاد بان
سؤاله سيلقى جواباً يبيت فيه بقية الامل
فلبث لذلك يعافي الم الصبر اما المستر
فوج فدنا في خلال ذلك من الرئيس
وسأله عن بريد يوكوهاما فاجابه الرئيس
ان البريد جاؤراً عن ميقات سفره الى
الغد لان السفينة ((كارناتيك)) التي
كانت مزمنة ان تنقله الى المحل المعين له
طراً على بعض آلتها تعطلت مست
الحاجة الى اصلاحه قضت جاؤراً
السفر الى الغد وانها لذلك ستصل الى

منك الاحزان وبجلوعك صداه الاثنان
ثم التفت الى خادمه باسبارتو وامره
بان يذهب الى السفينة ((كارناتيك))
ويعد فيها ثلاث غرف مخصوصة فتوجه
باسبارتو الى السفينة مسروراً . اما الفتاة
فانشرحت بذلك صندراً . واقترب مبسها
عن لؤلؤ دري بعد تقطب وجه خلته
بعد الانبساط بدرأ

لم يضحك الورد الا حين انجيه
حسن الرياض وصوت الطائر الفرد
كأن فيه شفاء من صباهه
تشفي القلوب من الاوصاب والكد
لا عذب الله الا من يعذبه
بسمع بارد او صاحب نكد

الفصل التاسع عشر

كيف ان باسبارتو اهتم بشأن مولاه
بقتضى عهدة تانكين المحقة جزيرة
كون كون بالاملاك الانكليزية بعد حرب
سنة ١٨٤٢ : ومن ذلك الحين جعلها
مهاجرو الانكليز محطة الرحال فعموا فيها
التجارة والصناعة وأنشأوا فيها مرفأ تجارياً
واطلقوا عليه لقب ((مرفأ فيكتوريا))

في فندق ((الغلوب)) مشيراً الى خادمه
باسبارتو بالاعتناء بها ثم سار الى المدينة
التاس التعرف بخضرة المكرم جيجي احد
اقرباء الفتاة ليطلعه على ما كان من امر
نسيته ويسلمها له

ولهذا انصد توجه الى البورصة علماً
منه بان ((جيجي)) معدود من اعظم
تجارها ووجوه وجهائها وانه يسهل عليه
الاسترشاد اليه من اهل البورصة - ولما
بلغها استدل على احد سمسرتها فاستعلم
منه عن مقر جيجي المذكور فاجابه السمسار
انه بارح كون كون منذ عامين بعد ان
جمع منها مالاً لا تحصى ارقام ولا تحصره
اقلام فاخار الإقامة في اوربا وفي الغالب
انه استقر في هولانده

وبعد ذلك عاد المستر فوج الى
الفندق واخبر السيدة عائدة بما سمعه من
مبارحة نسيبها لمدينة كون كون فكان
من الفتاة ان لزمت الصمت حيناً ثم عمدت
الى الافتكار فامرّت يدها علي جبينها
الوضاح وسألت المستر فوج عما تجر به
فاوعز اليها بالسفر معه الى اوربا وقال
لها ان سفرك معي الى تلك الديار يذهب

السن لابسين ثياباً صفراء فرقيم بعين
الاتقاد ثم سار حتى بلغ دكان حلاق
فدخله ليحلق لحيته على الزي الصيني فعلم
فيه ان اولئك الشيوخ ما لبسوا تلك
الثياب الصفراء الا لانهم تجاوزوا حد
الثمانين

ثم عاد الى الرصيف لينطلق منه
الى الباخرة على قصد ان يتخذ فيها ثلاث
غرف وفقاً لاشارة مولاه فيوصوله الى
الرصيف ابصر عن بعد البصاف فيكس
بخطر جيئة ونهاياً وعلى وجهه علام الارتيك
فدنا منه وسأله بقوله

— هل نذهب معنا الى امركا

— نعم

قال ذلك وصرف باسنانه كدراً
وغيظاً

فقال له باسبارتو

هلم اذن بنا الى السفينة لتتخذ فيها
اربع غرف لنا

فاجابه الى ذلك وتوجه كلاهما الى
السفينة فاستأجرا فيها اربع غرف مخصوصة
ولما هما بالخروج اعلن لما كاتب السفينة
ان سفر الباخرة يكون في الساعة الثامنة

وهي واقعة عند مصب نهر كانتون على
مسافة ستين ميلاً من المدينة النورثغالية
ما كاد الكائنة على الضفة الاخرى من
النهر

وفي وسط كون كون تجري جداول
من المياه وفيها مستشفيات لذوي
الامراض والعاهات وثكنات للعساكر
ومخازن للبضائع وسرايات للحكومة
وطرقات وشوارع مبلطة على الترتيب
الهندسي وفي الجملة ان المدينة لا تخلوها
بروقها وانتظامها الاحدى مدائن الكونت
كانت او الكونت سيرري

وانطلق باسبارتو الى رصيف
(« فكتوريا ») وبداه في جيوه فاناخ فيه
الطبة واجال طرفه في البحر فرأى سفناً
فرنسية وانكليزية وامركانية وهولندية
وسفنًا تجارية ودوارع خربية وزوارق
يابانية وصينية وغيرها ثم حول نظره الى
البر فرأى هوداج ومركبات واقواماً من
الصينيين واليابانيين والفرنجة يزدهون
في الطرقات ازدحام الناس في كل كوتا
وسنغابور ويوميائي وهي المدن التي مر بها
وشاهد عدداً من المشيوخ الطاعنين في

من مساء النهار لا باكراً كما سبق اعلانه
للركاب فشكره وخرجوا

ولما انتهيا الى الرصيف دعا فيكس
باسبارتو الى تناول كأس شراب في احدى
الحانات الكائنة على الرصيف فقبل باسبارتو
الدعوة بمزيد الامتنان وسار مع فيكس
الى حانة قريبة فالفيا فيها قومًا يعاقرون
الخمرة ويشربون الجمعة (البيرا) والكونياك
وقومًا يثملون بالافيون فيفقدون الحس
والصواب ويستلقون على الارض سكارى
فعلم باسبارتو وفيكس اذ ذاك انها
دخلت حانة يجتمع فيها الرعاع لخدخين
الافيون التي تتنفع منه التجارة الانكليزية
في كل سنة بمائتين وستين مليوناً من
الفرنكات : فلحق الله حب الدينار انه
حامل للمروء على ارتكاب المنكرات

وقد حاولت الحكومة الصينية عبثاً
ان تحظر على رعاياها شرب الافيون بالظر
الى ما ينجم عنه من المضار التي تسبب الاجسام
وتذهب بالعقول ولكن
لا تنة عن خلق وتأتي مثله

عار عليك اذا فعلت عظيم
فان كبار رجال الدولة الصينية

يتداعون الى شربه تداعي الجميع الى
القصاص فاقتدى بهم صغار القوم من
رجال ونساء وادموا على استعماله حتى
صار فيهم ملكة راسخة صعبة الزوال وحتى
بات من يحاول الامتناع من معاطاته
عرضة لالام معوية لا تطاق

وبعد ان دخل فيكس وباسبارتو
الى هذه الحانة طلب فيكس زجاجة من
نيبذ ((بوردو)) فاتاهم بها صاحب الحانة
فشر بها مع باسبارتو الذي اعجبه جودة
صنفها وبعد ان شرباها هم باسبارتو
بالذهاب ليعلم مولا بميعاد سفر الباخرة
فامسك به فيكس وقال له

البث قليلاً لاحدثك برهة بشأن
مولاك

١- تكلم

٢- هل اكتشفت على امرى

٣- نعماً

٤- احسنت فبقى عليّ ان اشرح لك

بالتفصيل كل

٥- لا لزوم لذلك فاني عرفت كل ما

تريد ان تقوله لي ولكن اولئك الأشخاص

قد كبدوا انفسهم من النقائل ما لا تطيق

ولا كلف الله نفساً فوق طاقتها

— يظهر من حديثك أنك تجهل

جسامة المبلغ

— لا أجهل شيئاً فالمبلغ قدره عشرون

الف جنيه

— أنت في خطأ مبین فان قدر المبلغ

خمسة وخمسون ألف جنيه

— خمسة وخمسون ألف جنيه ...

فاذا تقول ... هل تجراء المسترفوج

على ... فاذن صار من الواجب ان

استفزه للذهاب الى الباخرة حذراً من

التأخر

— أمكث قليلاً

فجلس باسبارتو وعند ذلك طلب

فيكس زجاجة من الكونياك ثم اخذ في

الكلام فقال لرفيقه

— اعلم ايها الصديق اني اود تأخير

فيلاس فوج بضعة ايام في كون كون

فاذا فزت بهذه الامنية رجحت جائزة قدرها

الف ليرة واعطيتك منها مائتين اذا

ساعدتني على بلوغ اربي

— ألا قاتل الله حب الانراء . كيف

حرّضوك اولئك الرجال على انيان هذا

المنكر . وكيف تأمل ان اساعدك والي

في سبيل مولاي عثرات تؤخره عن اتمام

الرحلة التي اراه الان يتما بكل صداقة

واستقامة فاقطع عن غيك ولا تأمل

مني ذلك

— فمن هذه الاجوبة التي كانت تارة

نصيب المرمي وطوراً تخطئ الموضوع

ارتبك البصاص فيكس في امره وإزالة

لارتيابه سأل باسبارتو قائلاً

— من انا

— أنت جاسوس من قبل اعضاء

((كلوب ريفورما)) في لوندريه أرسلت

لتقتني اثرأ وترقب رحلة مولاي وتلقي

في سبيله عثرات الاعاقة

— اخطأت اخطأت فاني ايها الصديق

بصاص مرسل من قبل ادارة البوليس في

لندريه فلما حدثت في ٢٨ ديسمبر سرقة البنك

انني اضاع بها مبلغ خمسة وخمسين ألف

جنيه أرسلتني الحكومة الى مدينة السويس

لاكتشف على الفاعل وهذه هي اوراق

التي تثبت لك قولي وهذه هي علامات

اللص المرسلة اليّ فانظر كيف انها مطابقة

تماماً لهيئة مولاك — ثم قال — وقد رج

ايضا

فاطرق ياسبارتو في الارض وجعل
يفكر في مولاه ويراجع ما مرّ عليه من
احواله فما تبين له منها ما يشينه بل مرّ
عليه منها ما يستحق الثناء من اجله كاتخاذ
السيدة عائدة من مخالف المنون
وبعد ان فكّر برهة التفت الى فيكس
وقال له

— والان ماذا تريد

— اريد ان تساعدني في اعاقه مولاك
في كون كون مدة من الزمان حتى يرد
اليّ من ادارة الشرطة في لوئدره امر
القبض عليه

انك لسائلٌ غير محيب

ولماذا . فاني اتخشم معك مبلغ
الالفي ليرة الذي اقبضه من بنك الملكة
على سبيل المكافأة
فاجابه متطليجا

لا اخون مولاي ولو اعطيت
مال الدنيا قاطبة فاني ما لقيت منه سوى
المعروف والاحسان و... وقد عرفته
كريما محسنا محبا للخير و... واني من
ارض لا تنبت من يكفر بالنعمة ويحمد

لديّ الان ياباسبارتوان المسترفوج هو
اللس بعينه واثرة من وجه العدالة
بهذه الهجة الساقطة وهي حجة الطواف
حول الارض في ثمانين يوما

فضرب ياسبارتو الارض برجله
والمائدة التي امامها بيديه ثم التفت الى
فيكس بعين الغضب وقال له

— قد ساء ظنك بمولاي فهو اكثر
استقامة من كل من شب ودب . فقال
له فيكس

— من اين اتصل بك ان مولاك بمكان
من الاستقامة وانت لم تعرفه الا في اليوم
الذي تعبدت فيه بخدمته وظهر لك بهذا
المظهر اي الطواف حول الارض فلا
اخالك بعد ذلك الامتراكا معه في
الجرمة حتى انك اكثرت من
ضروب الحديث فالتهمت حدة وذبت
تصوراً تخدعني بفصاحة لسانك وحسن
بانك وتفتي عن مولاك الشبهة وانالست
من محسبون الآل ماء وينغدعون بظواهر
الكلام وما علت الان من احوالك
وبعد افحك عن مولاك اصبحت مشتبهاً
فيك فيحق لي لذلك ان اقبض عليك

اهتم المسترفوج باعداد ما يحتاج اليه
الفتاة من الملابس ومعدات السفر وذلك
بعد ان قبلت ان توجه معه الى اوربا وكان
قد تأمل الفرقى الكائنين بين الرجل
والمرأة من حيث قوة البنية والعزم ورأى
ان من كان مثله يقدر ان يطوف الارض
بحجاب في يده ويصبر على احتمال المشاق
بخلاف السيدة عائدة فانها لا تستطيع
الصبر على الضنك ولا الثبات على
المصاعب فكانت لذلك تشكره بكل
جوارحها على جزيل فضله واعضاء بها
وبعد ان تجولا برهة عاد الى الفندق
فدخلت الفتاة حجرة التماس الراحة وهي
المسترفوج غائصة في مطالعة جرائد التمس
والايلوس وستراند لندن نيوز وقد فات الجمع
الاول من الليل وهو يقراء ولم يبال بتغيب
خادمه فانه كان عالما ان الباخرة لا تسافر
الا في الغد وفي الصباح استدعى بخادمه
فلم يجب قفرع له الجرس مرارا فلم يجضر
فطن انه نام في المدينة وانه ربما يلقي به
على رصيف الميناء فاحمل جعبته واهبط
السيدة عائدة من نومها وخرج معها فركبا
العجلة وسارت بهما الى رصيف الميناء وكان

المعروف و... و... فلم فيكس ان باسبارتو اكثر من
تناول السكر بما كان فوق الطاقة فطلب
له زجاجة اخرى من الكونياك وملاءة
المكاس منها ثم دفع اليه غايوتا مملوءا
بالافيون فاخذه باسبارتو ودخل منه
فلعب في لبه وغيبه عن الحواس ثم انطرح
على الارض فاقد الرشد والصواب فسر
البصيص فيكس بذلك وتركه في الحانة
على حاله وتوجه بعد ان دفع ثمن المشروب
وفي قوامه حزازات

وسار وهو مفترض احد امرين اما
ان المسترفوج لا يعلم بسفر الباخرة
(كارنايك) في تلك الليلة فتسافر
بنذره واما انه يعلم بميعاد سفرها فيسافر
تاركا خادمه في المدينة

الفصل العشرون

في ان فيكس تكلم مع المسترفوج مباشرة
بينما كان البصيص فيكس والشاب
باسبارتو مشغولين بالمحدث الذي تعلم
كل المسترفوج والسيدة عائدة بتخطران
في شوارع المدينة طلبا للمنزلة المخرج وقد

الوقت قد بلغ اذ ذاك حد الساعة الثامنة
ونصف من الليل

وكان المسترفوج موهلاً ان يلقي
خادمه ويمجد السفينة على اهبة المسير فلم
يمجد الخادم ولا السفينة لانها كانت قد
سافرت في الليلة الماضية ولما خاب امله
نظرت اليه السيدة عائدة بقلق فسكن
خاطرهما وقال لها

— لا تقلقي فهاذا الامر عارض وما الامر
العارض الا سحابة صيف لا تلبث ان
تنتشع

وكان فيكس وراءهما يرفقهما من غير
اقتطاع فتقدم الى المسترفوج وبعد ان
قام لديه بواجب التحية والسلام وجه اليه
الكلام فقال

— لعلك يا مولاي مثلي قد حضرت
بالامس على الباخرة رائنجون
فاجابه

— نعم ولكني ما تشرفت بمشاهدتك فيها
— نظرتني يا مولاي خادمك عليها
— فدألتها عائدة بتلهف

— ولين هو
— لا علم لي يا مولاي بمقره فربما يكون

قد سافر على الباخرة ((كارناتيك)) التي
اتمت تصليحاتها بالامس وسافرت بدون
ان تشعر المسافرين بتغيير الاجل الذي
ضربت له سفرها اولاً فانه كان يلزمه ان
يسافر عليها والان قضى على سفرها ان
اتربص هنا مدة ثمانية ايام حتى يسافر
البريد الثاني

— ونحن ايضاً كنا عاقدين العزيمة
على ركوبها فتأخرنا مثلك .

فلما طرقي اذني فيكس لفظ التأخر طمح
فواده سروراً فغبط نفسه على الفوز بتأخير
المسترفوج في تغركون كون مدة ثمانية
ايام على النفس ان يرد اليه في خلالها
امر القبط عليه من لوندرو

وبعد فترة من الزمان انطلق المستر
فوج بالفتاة عائدة واخذ بمحيطه على رصيف
الميناء املاً بأن يعثر بباخرة تكون مسافرة
الى بوكوهاما فتأخذها اليها

ولحقه فيكس خائف القلب تائه
اللب يقالب الغم والكدر ويطلب من
الله تعالى المعونة والممدد على ذهاب ابائي
المسترفوج ادراج الرياح

وطاف المسترفوج مصحوباً بالفتاة

ويسافر به الى يوكوهاما فقال له فوج
- اعطيك اجرة مائة ليرة عن كل
ساعة واعطيك ايضا جائزة قدرها ٢٠٠
ليرة اذا اسرعت، في المسير ووصلت في
الي يوكوهاما في رابع عشر الشهر الحالي
فاضطربت في نفس الرئيس نار
الطمع فهرع الى مطلة تشرف على البحر
ليرى هبوب الريح وبعد برهة وجيزة
عاد وقال للمستر فوج

- ليس من الصواب يا مولاي ان اتى
بنفسي وبذاتك الكريمة وبسفيتي وعالمها
في مهاوي الاخطار طعاً في المال فليس
المخاطر محموداً ولوسلم فسفيتي صغيرة ولا
تحمل اكثر من عشرين طنّاً والمسافة بين
كون كون ويوكوهاما طويلة تبلغ الف
وسمائة وخمسين ميلاً ونحن الان في فصل
يكثرفيه هبوب العواصف والزوايع وهياج
الامواج في قلب البحر العجاج وليس امامك
يا مولاي سوى طريقتين فاما ان تسافر
الى ناجاساكي التي تبعد من هناك الف
ومائة ميل واما ان تذهب الى شنغاي
التي تبعد ثمانمائة ميل فقط وهذا لا يخل
بحسابك لان يوريد امركا لا يسافر الى

عائدة مدة ثلاث ساعات متواليات بدون
ان يجذب باخرة مسافرة الى يوكوهاما وبينما
كان راجعاً يخفى حين اقترب منه احد
رؤساء السفن وبعد التحية قال له
- لعل مولاي يبحث على سفينة
- اصبت وهل لديك ما اطلب
- نعم لدي سفينة رقم عليها ٤٣٥
تقطع في الساعة مسافة ثمانية ايام او تسعة
اميال فتفضل وانظرها
فسار معه وبينما هما سائران سأله
الرئيس

- اظنك تطلب التنزه على ظهر البحر
- لا وانما اقصد السفر الى يوكوهاما
فوقف الرئيس موقف المذهل ثم حمل
بعينه في المستر فوج وقال
- اما زح انت بما تقول
- لا وكيف ظننت اني امزح فان
اشغالي تقضي عليّ ان اكون في يوكوهاما
في ١٤ الشهر الجاري وقد فاتني امس
الباخرة كارناتيك وسافرت على غير
علم مني يسفرها
فلما سمع رئيس السفينة مقاله اغلدر
اليه على كونه لا يستطيع ان يلي طلبه

كيف تترك ياسبارتو ولا تسأل عنه
وتحت رحمة من تتركه

سافعل لاجله ما يمكنني ان اقوم به
قال هذا وانطلق معها الى مركز
الضابطة فاعطى مأمور الشرطة علامات
ياسبارتو وترك له عنده مبلغاً من النقود
يكفي لنفقات سفره الى الاوطان ثم توجه
الى القنصلية الفرنسية فاعلم القنصل بما
اجراه متعلقاً ياسبارتو وعاد الى الفندق
ومنه الى المينا وكانت السفينة تانكادير
مستعدة اذذاك للسير

اما السفينة فباخرة صغيرة محمولةها
عشرون طنّاً محكمة الصنع طويلاً وعرضاً
سريعة السير تامة النظافة يلمع نحاسها
كالشمس وسطحها ابيض كالعاج وهي
ذات صارين منخبيين قليلاً الى الورا
وكاملة المعدات من قلوب وحبال
ومستهدفة الى الرياح من الورا وقد
حازت قصب السبق والجوائز العديدة
في سرعة السير على سائر ما مثلها السفن
وتؤلف هيئتها من صاحبها واربعة
اشخاص اخرين اقوياء واشداء خبيرين
في فن الملاحة عارفين بالطرق البحرية

سان فرنسيسكو من بوكوها ما بل من
شنغاي رأساً ويعرج في طريقه على
ناجاساكي وبوكوها ما فقال له المسترفوج
— هل انت متأكد ذلك
— نعم اني متأكد جداً

— ومتى ييارح البريد شنغاي
— في الساعة السابعة من مساء ١١
الشهر الحالي واذا خدمتنا الريح تمكنا من
الوصول اليها في هذا الميعاد بانن الله
— ومتى تسافر

— بعد ساعة واحدة
— وانت صاحب السفينة
— نعم يا مولاي انا جان بوسي صاحب
السفينة تانكادير
— اتريد عربوناً
— نعم اذا حسن لديك

ها ٢٠٠ ليرة
ثم التفت الى الورا وقال للبصاص
فيكس اذا اردت السفر معنا فاضل فقال له
— شكراً لمعرفك وجميلك ومتى الرحيل
— بعد نصف ساعة

وقلقت السيدة عائدة لغياب ياسبارتو
فالتفت الى المسترفوج وقالت له

مسيرها حانت من المستر فوج والسيدة
عائدة النفاة نحو البر ليرى ما اذا كان
باسبارتو على الرصيف فيستدعون به
ولحسن طالع فيكس لم يكن باسبارتو في
الجهة التي التفت اليها فوج وعائدة
وما لبثت السفينة بعد ذلك ان
ثارت عليها الريح فسارت تشق العباب
باسم الله مجراها

الفصل الحادي والعشرون

كيف ان صاحب الباخرة تانكادير
خاطر بنفسه طمأ بمجازة مائتي ليرة

وكانت هذه السفرة محفوفة بالمصاعب
والاخطار محدقة بها من كل جانب
خصوصاً وان السفينة صغيرة ومحبوها
٢٠ طناً وامامها مسافة ثمانمائة ميل تجازها
في فصل يشتد فيه هياج بحر الصبت
وازياده مع تعادل الليل والنهار في
شهر نوفمبر

وقد كان الاجدر بصاحب تانكادير
ان يذهب بركاب سفينته الى يوكوها ما لان
سفينته مأجورة بالمياومة ويقدر ايام السفر

والمسالك المودعة الى الجهات المطلوبة
اما صاحب السفينة جان بوسي فهو رجل
ناهز الخمسين من العمر شديد البنية عالي
الهمة حاد النظر تلوح عليه مخائل الشجاعة
وعلائم الذكاء اسمر اللون من مؤثرات
اشمس اثناء الاسفار

ونزل المستر فوج والسيدة عائدة
الى السفينة فوجدا عليها البصاص فيكس
وبعد مبادلة التحية ساروا جميعاً الى غرفة
في مؤخر السفينة مربعة الزوايا تقست
جدرانها بنقوش مستديرة وفيها مقعد
للجلوس وفي وسطها مائدة فوقها مصباح
صغير وريثا يستقر بهم المقام التفت المستر
فوج الى فيكس وقال له

— اعذريا صاحبي فما الجود الامن
الموجود

— فطأطأ له فيكس رأسه احشاماً
ثم قال في نفسه

— يا لك من لص توفرت فيه شروط
الاداب

وفي نحو الساعة الثالثة والدقيقة ١٠
نشرت اشعة السفينة وخفت فوقها العلم
الانكليزي فسارت والريح تغدما وقبل

فيرتدش قلبها وتنظر الى السماء فتري فوق
رأسها اشعة بيضاء تخفق خفوق النواذ
الولهان من حر نار الهجران

واقبل الليل فنشر فوق الافق خيام
الظلام ثم لاح البدر فتحلى في كبد السماء
وانار ظلمات الفضاء ولكن نوره كان
ضعيفاً لانه كان في المنزلة الاولى من
لياليه ثم اخفى عاجلاً وراء الشفق اخفاه
البرق بعد وميضه

واعد صاحب السفينة المصايح وشلقها
على حبال السفينة موقدة فانارت طريق
السفينة تفادياً من الاصطدام

وكان فيكسر ملازمًا للزلة طالبًا
الانفراد معتصماً بالسكوت علماً منه بأن
المستر فوج قليل العلاقات والصلات
يأتي قتل الاوقات في قص القصص
والحكايات ولو مها كان موضوعها جليلاً

وكان قد امتعض من اسراع السفينة
في المسير لانه موافق لرغائب فوج فناجها
ان قفي او سيري الهوينا ولم يكن يرتاب
في تقاعس رجل الرحلة عن المسير متى
بلغ يوكوهاما بل كان واثقاً بمبارحته لما
على الفور ويوجهه الى سان فرانسيسكو

يتناول الاجرة الا ان الغفلة ارخت على
غله برقع الجهل فلم يسلك طريق الكسب
والانتفاع شأن من لا يفرق بين النفع
والضرر او بين الحلو والمر فاقصر على
السفر الى شنتغاي دون سواها وربما كان
مصيباً في عدم انقياده للطبع ولكن سفيته
كانت طافية فوق الماء كالعشب الاخضر
وقد قضت السفينة في اجنيز بوغاز
كون كون بقية اليوم الذي سافرت فيه
وكانت حركة مسيرها سريعة ولما دنت
من سطح البحر استدعى المستر فوج
بصاحبها وقال له

— اعلم اني قد شددت قصور آمالي على
هتك وعقدت نواصي الاماني على عظام
جذك واجتهادك فلا تخيب فيك رجائي
فانهب البحر في السير نهبا وطربس فيبتك
فاجابة

— مولاي ساخلص لك الخدمة واسير
السفينة على قدر ما تسع به حالة الريح
وزيادة

— وكان فوج وفتشد ينظر الى البحر
متأملين تلاعب الامواج فيه وكانت السيدة
عائدة جالسة وراءه تنفوس في الاوقيانوس

فقطاً قدمه ارض امركا فيخلو له الجو
 فيبيض ويصفر افعلاً بجمل الهناء جأراً
 مطاراف الصفاء وقد طاف ثلاثة ارباع
 الكرة ليلغها ناعم الببال لا يلقى في طريقه
 عيوناً بخلاف ما لو جاءها عن طريق
 الولايات المتحدة فتحدى به الانظار ولا
 يتمكن من الفرار وقد حتم فيكس على
 نفسه ألا يفارقة ايان سارو الا يتعد عنه
 مسافة قاب قوسين مخافة ان يولى عن
 العين وقد حمد الله على انفصال خادمه
 باسبارتو عنه وتقال بافترقه عنه خيراً
 وقد كان غياب باسبارتو لدى سيده
 والسيدة عائدة باعثاً على القلق والارق
 فصرفاً قسماً من الليل في التفكير بشأنه
 وتخمين الحالة التي صار اليها وما سكن
 جأشها من قبله الا حين رجع لديها
 امكان سفره على الباخرة كارناييك الى
 يركها ما حيث عللاً الامل بلاقائه

وعند منتصف الليل انطلق المستر
 فوج والسيدة عائدة الى الغرفة الخامس
 الرقاد وتبعها فيكس للغاية نفسها وبات
 الربان وملاحوه مكتئبين بالسهاد
 يرعون نجوم الليل ويرقبون هياج البحر
 واستمروا كذلك الى ان اطلع الصبح ونجحت
 الغزالة باشعة انوارها الساطعة وكانت
 السفينة قد اجازت أكثر من مائة ميل
 بمعدل سيرها من ثمانية الى تسعة اميال
 في الساعة (حسب ارشاد الاسلاك المنصوبة
 في البحر للدلالة على القياس) بحيث اذا
 لبثت الريح تخدم السفينة على هذا المتوال
 بلغ المستر فوج مرامه وادرك صاحب
 السفينة مراده وتال المجازة التي وعد بها
 وعدد الظم سكنت الريح مدة سائنين
 ثم ثارت واستأنفت الهبوب من ناحية
 الجنوب

وكان المستر فوج والسيدة عائدة
 ياكلان تقابلية عظيمة وما ذلك الا لجودة
 هواه البحر وبينما كانا يتناولان بعض
 الماكل كالحبز السكري وغيره دعيا فيكس
 لتناول الطعم ام معها فاجاب الدعوة
 شاكرًا ثم تناول شيئاً يسيراً باطراف بنانه

وما حلت الساعة العاشرة حتى
 عصفت الريح فتفتحت اشعة السفينة
 وزادت مسيرها بما حمل صاحبها على
 الخوف عليها من غدرات الامواج فاهتم
 لذلك باتخاذ الطرق والتدابير لوقايتها

بأوفر سرعة أملاً في الحصول على الجائزة
المعهودة وكلما مرت دقيقة كان يتقعد الحبال
وبشدها ويعرض الأشرعة للرياح وعند
المساء علم الریان من أسلاك القياس في
الماء ان السفينة قطعت منذ مبارحتها
لكون كوين مسافة مائتين وعشرين ميلاً
وقد تقال المسترفوج خيراً من
سير السفينة بهذه السرعة وأيقن انه يبلغ
يوكوهاما بدون تقديم أو تاخير يرقه في
جريدة رحلته

وفي نحو غلس ذلك الليل دخلت
السفينة بوغاز فوكيان الذي يفصل جزيرة
فورموز عن حدود الصين في منتهى دائرة
الانقلاب وكان البحر مزبداً في ذلك
البوغاز والأمواج تتلاعب بالسفينة فتقبل
بها ذات البين وذات اليسار بحيث
لا يستطيع من يكون عليها ان يلبث واقفاً
على ظهرها

وعند الصباح سكنت الريح فخبين
الرئيس تغييراً في الهواء وتبدلاً في الجو
فعمد في الحال الى ميزان الوقت ليستعلم
منه عن العوارض الجوية فوجد في حركته
اليومية غير الدقة الاعتيادية اذ رأى فيه

وامسك عن الأكل لانه كان قد استصعب
ان يسافر على نفقة المسترفوج ويتغذى
من غذائه ثم يخونه متى تمكن من القبض
عليه وبعد الفراغ من تناول الطعام
خطر لفيكس ان ينفرد بالمسترفوج فانفرد
به وقال له

— مولاي . لقد تكرمت عليّ وأنا شاكر
لفضلك ذاكر لجميل لطفك وإما الان
فاظروا لا تسع لي ان اقبل فضلك
بنثله فاعذر واسمح لي ان ادفع ما يصيبني
من النفقة فاجابه فوج

— لا شيء يستحق الذكر لاني دعوتك
فقبلت دعوتي واجبت فشكري لك واجب
وثنائي عليك ضربة لازب

ففي لسان فيكس عند هذا الجواب
بالخوس ثم سار الى مقدم السفينة وصرف
نهاره بدون ان ينطق بكلمة

وفي مدى ذلك اليوم تقدم الرئيس
جون للمسترفوج دفعات متوالية فكان
في كل دفعة يشره ببلوغ ارب الوصول
الى شنغاي في الاجل المضروب

ولا تسل عن خدمة السفينة فانهم
كانوا باذلين الجهد في تسيير السفينة

— اهلاً بالزوجة الشمالية فانها تدفعنا
الى الامام

فقال الرئيس

— اذ كنت تترحب بالرج المعاكسة
لنا فاعليّ سوى ان انا اهل بها على الرحب
والسعة

قال المؤلف — اما الزوابع في بداية
هذا الفصل من العام فتمر فوق البحار
باسرع من لمح البصر وتعدد الى الحق
انحدار الاشعة الكهربائية الى الارض او
انحدار الشهب وانحدارها وقد يخشى من
شدة هبوبها في فصل تعادل الليل والنهار
فانها تكون اشد وطأة فيه من اشتدادها
في غير اوقات

ودفعاً لوثبات الرمح عن السفينة
وخوفاً من ان تزجها العاصفة في اعماق
البحر طوى الرئيس قلوبها ما خلا قلع
واحد صغير مثلث الشكل ابقاه منشوراً
حفظاً للاغنية من التأخر الى الورا ثم
خفف الصواري وجعل لوحاً فوقها كغطاء
لها لئلا تنفذ اليها المياه وجملة القول انه لم
يدع وسيلة الا استخدمها في سبيل وقايتها
وقد حذر على المسافرين الخروج

ارتجاجاً عظيماً في الزئبق فحوّل عنه النظر
الى البحر فرأى على ظهره هياجاً وفي قلبه
اضطراباً بادياً من الجهة الجنوبية الشرقية
ورأى اشتداداً في الامواج وتجمعاً استدل
منها على قرب هبوب عاصفة شديدة
فان الشمس بالامس كانت قد غربت
وراء سحابة حمراء في وسط الامعان فوسفوريك
الاقويانوس

— فساء الرئيس تبدل الهواء واتقلب
الريح على سفينته شر انقلاب فصرف
باسنانه وقذف من بينها الناطا سمعته
الاذان وما وعته الاذهان ثم ندم الى المستر
فوج وقال له

— مولاي ائد 'تقلب الرمح علينا واخذت
نعا كسنا في المسير واماننا على ظهر البحر
زوجة شديدة

فقال فوج

— ومن اين مصدرها . امن الشمال
ام من الجنوب

— فاجاب الربان

— من الشمال . وقد رأيتها تتجمع كيش
يستأنف القتال بعد طول التزل

فاجابة فوج

فيكس خوفاً وارتعدت فرائصه رعدة
وجزعاً اما عائدة فكانت تحاول اخفاء
خوفها وتظهر البسالة والثبات وترعى
المستر فوج بلحظ الانتقاد فلا ترى منه
غير الرصانة وقلة الاكثراث بهياج البحر
كأنه لم يكن لديه امر اذا مال

وما برحت السفينة سائرة مع طيار
العاصفة والرعد يهزم والمطر يجمع والبرق
يلمع حتى اشرفت في صباح ١١ الشهر على
بقعة من الارضين تبعد عن مدينة شنغاي
مائة ميل بعد ان اشرفت على الفرق
مراراً

وما بقي على السفينة بعد وصولها
الى تلك البقعة الا ان تقطع المسافة
الباقية في مدة ذلك اليوم فشر الرئيس
الاشرعة ورفع الصواري وشد الحبال
وأطلق للسفينة العنان فسارت كما يشاء
الرياح لا كما يجب حتى صارت عند الظهر
على بعد اربعين ميلاً من شنغاي وهي
مسافة تستطيع ان تجازها في سبت ساعات
من الزمان

على ان هذه المدة كانت بمثابة ايام
واعوام لدى الرئيس ونوتية السفينة وقد

من غرفتهم لثلاث يروعهم منظر الزوينة
الهائل وبما ان الغرفة كانت ضيقة
الجنائب وقليلة الهواء ابي المسافرين ان
يمثلوا لاشارة الربان فلبثوا جالسين على
ظهر السفينة

وعند الساعة الثامنة اشرايت اعتناقهم
الى السماء فراءل الجو مظلماً والغيوم سوداء
والغيث يهيم والبالاً متدفقاً كافواه القرب
وقد هبت العاصفة وحجبت الرعود
القاصفة ولامت سيوف البرق على صفحات
الافق فطارت السفينة بغير جناح من
شدة الرياح وارتفعت في الفضاء ارتفاع
الريشة في مهب الريح واذ قلنا انها كانت
سائرة بأسرع من سير سفينة بخارية باربعة
اضعاف نكون قد بخسناها حقها

وقد لبثت طول النهار سائرة نحو
الجنوب ومن شدة تضيق العاصفة عليها
اوشكت على الفرق نيفاً وعشرين مرة
ولولا حذق رئيسها وادارته للدفة بزيد
الدريفة والاتباه لغرفت وراح فوج وعائدة
وفيكس فريسة الاسماك

وكانت المياه ترتفع فوق السفينة
جبالاً شاذجة حتى انخلع من هولها قلب

ولكنه لم يأت بفائدة وإخيراً اطلق مدفعاً
كان في مقدم السفينة فراح دويبه مع الهواء
بدون أن يترتب عليه نفع ما

الفصل الثاني والعشرون

كيف أن باسبارتو احس بضرورة الديار
في تلك الديار

في الساعة السادسة ونصف من مساء
سابع نوفمبر غادرت الباخرة كارباتيك
مياه كون كون وسارت على اجنحة البحار
تشق قلب البحار قاصدة جهات اليابان
وفيها كربة وإفرة من الارزاق وعليها عدد
عديد من الركاب ضاقت دونه غرفها
وفسحاتها ما عدا حجرتين كانتا برسم فيلاس
فوج والسيدة عائدة

وعند الصباح خرج باسبارتو من
غرفته الكائنة في الدرجة الثانية وخرق
صفوف المجموع حتى وصل الى متعد
جلس عليه وكانت قدماه ترتجفان وعيناه
زائغتين ورأسه مستلقى الى الوراء فاندهل
الركاب من حالته وشدة كربه واخذت
بعضهم الشفقة عليه ومنهم من سخروا به
وضحكوا منه

تمنوا ان يقطعوها بسفيتهم طيراً لو
استطاعوا وذلك خوفاً من تاخر وصولهم
الى المدينة عن الاجل المضروب فيضيعوا
جائزة المائتي جنيه التي وعدوا بها والمحق
يقال انهم ما تركوا وسيلة أثناء السفر الا
عمدوا الى استخدامها تسييراً للسفينة بالسرعة
المطلوبة حتى اذا لم يدركوا الرغائب يكون
فلك من نكد الطالع وليس في الامر من
توان وإهال

وعند الساعة السادسة صارت
السفينة على بعد عشرة اميال من ميناء
المدينة وحلت الساعة السابعة وهي على
بعد ثلثة اميال فيمشد قد الربان الصبر
والجهد وتولاه اليأس والقنوط قطع الرجاء
من بلوغ المراد وقد نظر الى السماء فرأى
وجهها قد غشيه دخان حالك السواد
فغفر فاه وقذف منه الشنائم والتجاذيف
فسأله المسترفوج عن سبب كدره وغيبظه
فاجابه ان البريد اقلع الان من شنغاي
فانظر الى دخان السفينة فقال له فوج
ارفعها الاشارات وراية الاستغاثة والضيق
فلعلها ترى ذلك تنقف لاستطلاع الخبر
ففعل الربان ما اوعز اليه فوج بفعله

على ظهرها اذ انه كان لا يستطيع قبل
قدميه ولا يبي شيئاً

فلما رآه عمال السفينة على تلك
الحالة احملوه الى غرفته الكائنة في الدرجة
الثانية فرقد فيها ولم يستيقظ من رقبته
الا في الغد اي بعد ان اجعدت السفينة
عن كون كون مسافة مائة وخمسين ميلاً
هذا ما مرّ على ياسبارتو الى الصباح
الذي خرج فيه من غرفته كاتقدم القول
الى ظهر السفينة وجلس على متكاء وطلق
يتذكر ما حدث بينه وبين فيكس في تلك
الحانة ويخاطب نفسه قائلاً

— ما افجع السكر وما اوخم عواقبه
فانه يضر بصحة الابدان ويحبط من شأن
كل انسان ويلحق بتركبه العار والبشاعة
والهوان والاحقار فلو خجله من مولاي
فماذا عساه ان يقول ولكن ((لا تكرمه))
شيئاً لعله خير لكم)) فهذه امثلة يستخدم
نفعها مدى العمر وما فيكس الذي حاول
ان يفرقني عن مولاي بما فعله معي من
الامور المنكرة فقد رد الله كيده في نحره
وسهل لي سبيل الحضور الى ظهر الباخرة
قبل سفرها وانقذني من شر ذاك

وانني الزم لك ايها القارئ جانب الامتياز
في الكلام واتلو عليك ما وقع لياسبارتو
حتى انه بات على تلك الحالة

مرّ بنا الكلام ان البصا ص فيكس
بعد ان حمل ياسبارتو على الاكثار من
شرب الخمر حتى كاد يفيب عن الحواس
ناولته غليوناً من الافيون فتعاطاه الى ان
اندس في رأسه سم مفعوله اثنان فخر على
الارض صريعاً فاقد الرشدا والادراك

ومضى عليه ثلاث ساعات طوال
وهو على هذه الحال من الانهيار ثم افاق
قليلاً فرأى نفسه على سرير من العاج
بين اقوام لم يبق الافيون فيهم ولم يذر
مخجل من حالته وتذكر الباخرة كارنايك
فنهض من مكانه وحاول المسير وما زال
بين نهوض وسقوط وقيام وقعود حتى
خرج الى ما خارج الحانة فصرخ
((كارنايك)) ((كارنايك))

قال المؤلف . وكانت السفينة
راسية على مقربة من الحانة التي كان
ياسبارتو واقفاً امامها وكانت اذ ذاك على
اهية السفر فنشط ياسبارتو للذهاب
اليها ولا نعلم باي طريقة بلغها فانطرح

فلم يفتح لهبطه منه وسخطه عليه فاوشك
 ان يقع على الارض غائباً عن الصواب
 ولكنه تجلد فسكن جاشه وكرر قرع
 الباب ثم فتحه فلم يجد مولاه من داخله
 فخطر له انه ربما يكون قد ثي اناساً على
 شاكلته مغرمين بلعب الويست فراح
 يقتل الاوقات معهم بهذا اللهو وظن ايضاً
 انه ربما كانت السيدة عائدة لم تنق من
 نومها حتى الساعة فانطلق الى قاعة السفينة
 الكبرى فلم ير مولاه فيها فقصد فراش
 الباخرة يسأله عن مولاه فاجابه انه لا يعرفه
 فقال له ان مولاي طويل القامة اشقر
 اللحية قليل العلاقات بالغير تصعبه فتاة
 حسناء وهو يعرف باسم المستر فوج فاجابه
 الفراش لم اعرف هذا الاسم بين الركاب
 كما انه لا يوجد عندنا رجل تصعبه فتاة
 حسناء او شعاء وهاك دفتر اسماء المسافرين
 فانظر فيه ما اذا كان لمولائك اسم بين
 ركاب السفينة

فتناول باسبارتو الدفتر بيديه واخذ
 يقرأ ويكرر قراءته فلم يعثر على اسم مولاه
 فيه فتوهم ان السفينة ربما لم تكن نفس
 السفينة المعروفة باسم كارتانيك المسافرة

اللعين فيكس الذي لا اشك في كونه
 اني الى الباخرة لكونه صار بما رأيته منه
 في حالة لا يجسر بها ان يرني وجهه
 المنقوت ولكن هل من الصواب ان اعلم
 مولاي بما وقع لي معه او بما كان في نيته
 ان يجربه اضراراً به فكيف هو يقتني اثرا
 وباية حجة فلا لا . فلربما اكد منه المخاطر
 وارجع منه البال فالافق والافضل ان
 اطلمه على هذا جميعه متى وصلنا بالسلامة
 الى لوندري فانه لاشك يضحك من جراه
 ذلك حتى يستلقي على قفاه واما الان
 فمن الواجب ان امثل بين يديه واعتذر
 له عن سوء سلوكي واقول له اني تبنت
 الى الله فان الله ثواب كريم

ثم قام لساعته وانطلق الى حجرة مولاه
 في موعده الباخرة وهو في حالة لا توصف
 من الجوع والاستحياء لا يعرفها الا من
 يعانيها او يقع في مثلها ولما وصل اليها لم
 يجدها ان يقرعها بل وقف شاخصاً الى
 بابها ينتظر انتظار المتهم لقضاء المحاكم .
 واستمر كذلك وقتاً طويلاً الى ان اندفع
 الى الباب فترعه فلم يجبه احد من داخله
 فظن ان مولاه علم انه هو قارع الباب

الى يوكوهاما فسأل الفراش بقوله

— ما اسم السفينة

— كارناتيك

— والى اين ذاهبة

— الى يوكوهاما

فلما تحقق ياسبارتو عدم وجود مولاه في السفينة اطرق في الارض وتذكر ان كارناتيك اقلعت قبل الميعاد الذي تمحدد لسفرها وان ليس لمولاه علم بذلك فلام نفسه حتى سقط على الارض مغشياً عليه

وبعد مدة افاق من غشيانه وطفق يندب سو حظه ويتف شعور رأسه ندماً على ما جناه على نفسه ويلطم خديه ويرفس برجليه ويتوعد فيكس بالموت الزوام اذا وقع بين يديه ولعمري ان اقلام افصح الكتاب لتعجز عن شرح حالة ياسبارتو وما استحوذ عليه من الغم عند ما علم بعظم خطائه وما سيلحق بمولاه من الخسارة بسببه وبعد ان قضى حيناً من الزمان مستسلماً للحنن مستهدفاً للكروب عاد الى الصواب وتأمل الحالة التي وصل اليها ولم يكن يجسد عليها اخذ يكي بكاء مرّاً

ويرسل الدمع من عينيه سيلاً عورماً على سو مسيره وشووم مصيره فانه كان سائراً الى اليابان صفر البدن لا يملك درهما ولا يعرف فيها احداً من الناس وفي غلس الثالث عشر من الشهر

السابق الذكر دخلت السفينة (كارناتيك) ميناء يوكوهاما المعدودة من مين الباسيفيك والمعروفة مرسى لجميع الوابورات القائمة بخدمة البرد بين امريكا الشمالية والصين واليابان وجزائر ما ليزيا اماموقعها في جون يادرّو وهي اعظم مدائن مملكة اليابان وقد كانت كرسي الملك على عهد الملك كايكون قرية من المدينة الشهيرة مياكو التي يقطنها الملك الروحاني ميكادو الذي يعتقد به اليابانيون منزلاً من السماء

ورست ((كارناتيك)) بالقرب من رصيف يوكوهاما وقبالة الجمرک ومخازنه وفي وسط سفن كثيرة تخفق فوقها اعلام جميع الدول

وبعد رسوها خرج ياسبارتو الى البر واندفع هائماً في مسالك المدينة هيام عين الناظر بادھش المناظر وسار في طرق لا يعرفها لغاية لا يدركها حائر الفكر

المارة

وكانت تلك الطريق موهدة الى المدينة
يطرقها المارة ذهاباً وإياباً من غير انقطاع
وقد رأى فيها باسبارتو حفلات زفاف
وكثيرة يضربون الطبول وجنوداً من
حرس الجمارك يبيع مرصعة بصمغ اللك
يتقلد كل منهم سيفين ورأى فيها أيضاً
جنوداً لابسين أردية زرقاء من المنسوجات
القطنبية عليها شريط ابيض ومقلدين
البنادق ورجالاً آتين من مدينة ميكادو
مدججين بالسلاح وعلى رؤوسهم دروع
حديدية ورأى جنوداً من جميع الصفوف
والدرجات العسكرية لان وظيفة الجندي
عند اليابانيين وظيفة شريفة يدعى اليها
الناس بخلاف الصينيين فانهم يحقرونها
احقاراً شديداً (ورأى رهباناً مجتمعين
الاحسان وغرباء باردية طويلة ومدنيين
يشعر مضغول حالك كالليل ورؤوس
ضخمة مستديرة وقدود رشيقة نخيلة وانفاذ
رفيقة ووجوه بلون النحاس ليس فيها
احمرار بخلاف وجوه الصينيين
ولم باسبارتو في تلك الطريق عربات
ومركبات وهوداج وخيولاً وجمالين

شارد العقل مسلوب اللب مخطوف
الصواب يظن نفسه في منام وما يسمعه
اضغاث احلام وبعد ان طاف الشوارع
ومرّت على انظاره مشاهد مدهشة اخذ
يتنقل في حارات المدينة مستسلماً للتقادير
واستمر كذلك حتى ساقته التقادير الى
الحجارة اليابانية المعروفة عند سكان يوكوهاما
بجارة بتتين (الاهة البحار التي يعبدها اهل
الجزائر المياورة) فطاف جولابها حتى مرّ
تحت دهاليز كثيرة قائمة من خشب الصنوبر
والارز ووصل الى ما امامها كل عظمة
ذات ابواب مزخرفة باثقان بديع بأخذ
بمجامع الابصار فرأى في بعض زواياها
قوماً من كهنة البوذيين التابعين لديانة
كونفشيوس . اما الهياكل فتنفيا ظلال
اشجار من الارز قديمة العهد فوق باسبارتو
فترة من الزمان ينظر الى الهياكل والاشجار
ثم سار في طريق طويلة يكاد ان لا يكون
لها حد فرأى فيها زمراً وجماعات من
صبيان ورجال قصيري القامة محمري
الوجوه موددي الوجنتين يمشون في تلك
الطريق مرحّابين كلاب قصار الساقين
طوال الشعور متطوعي الاذئاب يألون

عليها خفراء من تماثيل خشبية ينصبونها
وبينما كان باسبارتو جائلاً في وسط
الحقل اذ عثر بين اعشابه على نبات من
البنفسج فقال في ذاته • ويرزقكم من
حيث لا تعلمون • ان هذا النبات يصلح
اليوم لان يكون غذاء لي ولما ان اشم
رائحته ولم يجد فيه رائحة البنفسج قال
اعوذ بالله من افول نجم السعد

وكان باسبارتو قد تناول الطعام
في صباح ذلك اليوم على مائدة الباخرة
كارثانيك بشراقة فائقة الحمد علماً منه
بانه سيفضي النهار بدون اكل ولكن
معدته لم تلبث ان هضمت كل ما كان
قد اكله بطوافه المستمر في شوارع المدينة
وطرقها

وعندما كان يجول في الاسواق كان
يدقق النظر فيما اذا كان في الدكاكين
لحوم ضأن او معز او خنازير فلم يجد شيئاً
من ذلك لان اللحم نادر الوجود في اليابان
وقد حظر فيها نحر الثيران اعتقاد انها
خلقت لحرارة الارض فكان اهلهما لذلك
يتغذون بلحوم حيتان البحار وطيور الغاب
ووحوش الغفار

ونسوة يتعلمن احذية مصنوعة من القش
وقباقيب خشبية وعلimen اردية من الحرير
الاصفر بشرط من الحرير ايضاً ويشدون
وسطهن بشرائط مسترخية الى الوراء بأبن
غير محبوكة (وقد اتخذت النساء الباريزات
هذا الزي عن النساء اليابانيات)

وقضى باسبارتو زماناً في اختراق
صفوف اولئك المجموع ويرمي كلاً منهم
بنظره حتى وصل الى شارع يدهش منظره
الابصار ويسمر الالباب بما في دكاكينه
ومخازنه من اللؤلؤ والمرجان والماس
وغير ذلك من الحجارة الكريمة واصناف
الحلى والمجوهرات وكان بالقرب من هذه
الدكاكين حانات توقهاو للشاي والدخان
المجيد ولا اثر فيها للافيون

وما تقدم باسبارتو طائفاً بين هذه
الحوانيت والمحانات حتى بلغ منتهى الشارع
واشرف على حقل كساء الربيع حلاًلاً
خضراء وشبت فيه يافعات الاشجار المكلفة
بالازهار اليبانة الاثار كالكرز والنخوخ
والنقاح التي يتفاخر الوطنيون بازهارها
لا بثمارها التي لا يذوقونها وهم شديداً
الحرص على ازهار هذه الاشجار يقيمون

تخلصاً من خطر الموت جوعاً ولكن شق
عليه الامر واستصعب عليه النجاة ببيع
الساعة ثم اخذ يحدث نفسه فقال
وهون عليك فان الامو

ر يكف الله مقاديرها
وبعد ذلك عزم ان يسعى في طلب
الرزق بممارسة مهته القديمة وهي انشاد
الاغاني على قارعة الطرق فيطرب برخم
صوته ويشنف الاذان بشجي انغامه وما
يتبع له القدر من الكسب يذله في سبيل
سد عوزه ولكنه رأى ان ملابسه تضر
بمصلحته اذا ظهر بمظهره الجديد بملابسة
الاناسيد في اندية اليابان الذين يملون
كل الليل الى سماع الاحان ويقبلون
عليها اقبال الظاء على مولد الماء فعمد
لذلك الى تغيير ثوبه بثوب ادنى قيمة
واقبل روثاً وبعد مزيد التأمل لقي تاجراً
يتجر بجميع الاصناف فعرض عليه ثوبه
بغية استبداله فقبله منه بطيب خاطر
واعطاه ثوباً على الزبي الياباني وكان
رثاً قذراً ودفع اليه فرق الفين
عدداً قليلاً من الدنانير فاخذ باسبارتو
الثوب والدنانير وانطلق على الفور

وعند المساء عاد باسبارتو الى المدينة
شارداً في طرفاتها المزينة بالمصابيح والانوار
معرجاً على مضارب العاب الصراع واندية
النجيين الفاصة بالمتفرجين واستمر كذلك
الى ان بلغ شاطئ البحر فرأى هناك عدداً
من الصيادين يطرحون شباكهم في قعر
البحر لصيد الاسماك ويستنضئون بانوار
موقدة من خشب الصنوبر

وعند الهيج الاخير من الليل تفرقت
الجموع وخلت المدينة من الضوضاء وانتشر
الحرس العسكري (عسس الليل) في
اربابها يحافظ على الاعناق والارزاق

الفصل الثالث والعشرون

عنى الكرب الذي امسيت فيه
يكون وراءه فرج قريب
وقضى باسبارتو ليلته متقلباً على حجر
كدر اخر من جمر الغضا ويقاسي الم
المجموع وعلم الظاء حتى زهقت منه النفس
وكادت تبلغ التراقي فقال في ذاته
يا ليتني كنت تراباً وما اشرقت شمس النهار
حتى تمض من مضجعه وجلس يفكر فيما
يسد به جوعه فخطر له ان يبيع ساعة جيبه

او شهادة تدل على سابق خدمته وحسن استقامته

وبينما كان سائرا في طريقه تتجاذبه عوامل الافكار اذابه رأى رجلاً قروياً يطوف باعلان انكليزي العبارة وهذه ترجمته

الجوق الياباني

برئاسة ويليام باتونكار

الليالي الاخيرة من الشخص

قبل مبارحة الجوق نفريوكاهاما
الى الولايات المتحدة الامركانية

رواية الانوف الطويلة - الانوف الطويلة
باستدعاء الاله طينجو

ويهلو الشخص مناظر تدهش العقول
وتسر الخواطر

فتبع باسبارتو ذاك القروي وسار ورائه طائفاً اعظم شوارع المدينة حتى ادت بالاثنتين خاتمة المطاف الى دار فسجعة الجوانب تخفق حولها الرايات الواثقا وعلى جدرانها الداخلية نقوش ورسوم

في طلب الطعام فدخل حائوفاً واكل فيه من لحوم الطيور والارز ما اشبعه ثم شرب حتى ارتوى فعاد بعد ذلك الى التأمل في مستقبله فقال في ذاته - اما الان وقد شبت وارتويت فلا يليق بي ان اطوف في ارض مملكة ابن السماء طوفان الحماحم حول الماء بل الاجدر بي ان ابارح هذه الدمار خوفاً من الويل والدمار ومنى اجزت مسافة اربعة الاف وسبعائة ميل على ظهر البحار ووصلت الى سان فرنسيسكو بفرجها علي خالق الليل ومبدع النهار والحال نهض وسار الى جهة البحر مستعلماً عن البواخر المسافرة الى امركا حتى اذا عثر على واحدة منها عرض نفسه الى ربانها لعله يقبله فيها بصفة خادم او طبّاخ يشتغل بدون اجرة حتى يبلغ سان فرنسيسكو ولكن ما لبث ان خطاء هذا الدور محتجاً عليه بقوله - اية سفينة مستعدة للاسفار تحتاج خداماً وعمالاً وان فرضنا الحال واحاجت سفينة ما الى خادم فهل يقيد بخدمتها كل من يمرض نفسه عليها بدون كتاب توصية

- وضور بعض المشعوذين مرسومة بلون
 بنفسجي. وكانت تلك الدمار مسكًا لباتولكار
 مدير جوق المشعوذين والقرويين والعب
 تمرين الابدان جناسنيك، فوَلج باسبارتو
 باب الرواق الخارجي من الدار واتمس
 مقابلة المستر باتولكار فحضر اليه وسأله عما
 يتغبه فاجابه باسبارتو بذلك وقلب
 منكسر
 - ألت محتاجًا الى خادم امين
 يرضى لرضاك ويفض بلفضك بصافي
 احبابك ويعادي اعداءك
 فقال له باتولكار
 - لديّ خادمان قائمان بفروض
 خدمتي حق قيام ولا يكلفاني غير
 الطعام وها
 قال هذا وراه ذراعيه القويين
 النافرة منها العروق كالحبال فقال له
 باسبارتو
 - اود من صميم الفواد ان اسافر
 معك
 - من اي جنسية انت
 - من الجنسية الفرنسية
 - ولماذا انت متزي بالزي الياباني
- هذا قضت الايام
 - أنت باريزي
 - نعم
 - هل تعرف ان تعوّج وجهك
 وتكثر انيابك
 - نحن معشر الفرنسيين ما اختلفنا
 فيما نقول عن الامركان
 - يمكنني ان استخدمك عندي بوظيفة
 (مضحك) فهل لك بضروب الغناء الملام
 - في غاية ما يرام
 - فانت منذ الان في خدمتي
 فعند ذلك دخل باسبارتو الى دار
 المستر باتولكار واندرج في سلك المشغفين
 يتأمل مناظرهم ويضحك من ملابهم
 وقد كان موعد التشخيص في دار
 باتولكار في الساعة الثالثة من النهار وقبل
 حلول الاجل بزمان قليل تقاطرت
 الجموع من الاربين والصينيين
 واليابانيين من رجال ونساء واطفال
 يشاهدون غرائب التشخيص وبدائع التمثيل
 واتقان ضروب الالحان وشنفون الاذان
 باستماع عزف آلات الطرب واصوات
 الصنوج والطبول

الصنوج ثم رفعت الستارة وشرع في تمثيل
الدور الاول من رواية الانوف الطويلة
وهي رواية تأخذ بجميع العقول
وبرز الشخصون الى وسط المسرح
فسحروا الابواب برشيق الحركات وحسن
الاقاء وادهمشوا الانظار بتنوع المشاهد
واخلاف المناظر فانهم ظهروا بلباس
الابطال في ساحات القتال ثم تبدلوا
باحقة عريضة مسترسلة الى الاكتاف
وانوف من الخيزران طولها من خمس الى
عشر اقدام بعضها معوج وبعضها مستقيم
وظهر اثنا عشر شخصاً يجنبشون تحت الاجنحة
ولا يرى منهم سوى انوفهم وقوم يندنون
منها ويضربون عليها بقوة وعزم ثم يجتمع
جمهور الشخصين ويدورون في وسط
المسرح فيرقصون ويعقدون وينهضون
آتين بضروب الهزل في معرض المجد بما
سرت به الخواطر وفرت به النواظر
وفي الدور الثاني اندمج باسبارتوفي
سلك اللاعبين فارتدى بلباسهم وعندما
شرعوا في الالعب استلقى فريق منهم على
الظهر ورفعوا انوفهم نحو السماء ثم جاءت
فرقة من المتوازنين (ايكليريست)

وما حلت الساعة الثالثة المذكورة
حتى ضاقت فمحات الدار المعلومة على
سعتها بمن وفد عليها من المخرجين تخطر
في وسطهم ربات الجمال
كالورد خدًا والهلل نباعدًا
والظبي جيدًا والفضيب تأودا
ويمايلن تمايل الاعصان فشخصت
اليهن الاحداق وتناولت الى مقاماتهن
الاعتاق فارسلن اسهم مقلهن الى قلوب
العشاق وقد كان
بين السيوف المرففات ولحظها
عهد على سفك الدماء وموثق
ويحق للقلوب ان تهوى تلك الحسان
وقد فتن المحور نخورًا والخيزران خصورًا
وخطرنا اغصانًا ولحن بدورا ومسنا
تيها وعجيا واكتحلن قدورا وملن فارخين
على الخصور شعورا ثم توارين عن العيان
بعد هذا الدلال فدخلن الى قاعة
خصصت لذوات الخدور فرافقتهن قلوب
اهل الغرام
وبعد ان اكتمل المجمع استوى
عازفو الالات على كراسيم فشدوا الاوتار
ونفخوا بالمرمار وضربوا الطبول وقرعوا

رئيس المحوق طالبا تعويض الاضرار
فطبيب المستر فوج خاطره واعطاه كمية
من سفاج البنوكه

الفصل الرابع والعشرون

في اجنيار الاوقيانوس الباسيفيكي

بعد ان نكست السفينة تانكادير
اعلامها على ما مر بنا بانياته واطلقت
مدافعها التماس للمعونة والمدد من باخرة
البريد المقلعة الى يوكوهاما تواليت بعض
الساعات على حالة هذه السفينة وهي في
انتظار الاسعاف ثم اقتربت الباخرة منها
فاخذت ركبها وعادت الى طريقها سائرة
الى يوكوهاما فوصلت اليها في ١٤ نوفمبر
ومارست في مياها حتى خرج المسترفوج
منها وانطلق مصحوبا بالفتاة عائدة الى
السفينة (كارناتيك) يستطلعان خبر
باسبارتو فعلموا بل المسرة ان باسبارتو
كان فيها وانه خرج منها ساعة وصولها
الى المينا

فبعد ان علم المسترفوج بخروج
خادمه الى مدينة يوكوهاما خرج الى البر
نصحه الفتاة وساروا سوية في شوارع

فوقفت على ذيول طويلة وانت فرقة
اخرى فوقفت على اكتافهم وتلاها فرقة
رابعة ثم قام على انوفهم الطويلة ضريح
اتصل بافريز المرح

فسر الحضور بهذه المناظر وكثر
تصفيقهم وضجيجهم وعزفت الموسيقى باصوات
ضارعت هزيم الرعد ثم صدحت بانغام
كانغام الاطيار حتى اسكر العازفون
حضور الرواية بنجمن الانشراح وبينما
كانت هذه الحالة جارية على اتم مرام
والعيون ترصد اللاعبين اذ بهولاء فقدوا
التوازن فسقطوا على الارض وسقط
الضريح وكان مرجع الذنب عائد على
باسبارتو فانه ترك مكانه واخترق صفوف
المخرجين ثم اقترب من احدهم صارخا
- مولاي مولاي

فاجابه من بين الحضور صوت قائل

- الخفي الى الباخرة

وكان الصوت صوت فيلاس فوج
وبجانبه الفتاة فلما اعز فيلاس الى
باسبارتو بان يلحق به خرج فوج وعائدة
من المرح وتبعها باسبارتو وبعد ان
تجاوزوا الدار لحق بهم المستر بوتوكار

يرتفع نارة ويخط أخرى وعلى احد جانبيها
يتحرك ذراع (البستن) وعلى الثاني يدور
رأس (الكرنك) فيأتي بدل الحركة
المستقيمة بحركة مربعة يصلها يعود
العجلات. وبالنظر الى ما كانت السفينة
عليه من سرعة المسير عدل المستر فوج
انه يصل الى سان فرانسيسكو في ثاني
ديسمبر والى نيويورك في ١١ منه والى
لوندرة في ٢٠ بدل ٢١

ثم افلعت السفينة من مرفأ بوكاهاما
غاص بالركاب من أنكليز وامركان
وضباط عسكريين من جيش الهند يقضون
مدة اجازتهم السنوية في الطواف حول
الارض. وفي هذه الرحلة كانت
السيدة عائدة عنهم بشأن المستر فوج
اهتماماً خارق العادة وتزجج من الموانع التي
نحول دون اربه في رحلته وتنتظر اليه
نظرة الحب لا نظرة الصديق وتفرس
وجهه فتري فيه جمالاً فائق الوصف
يقيد قلبها بقبود الغرام فتطرق هيبه
واستحياء

اراك فاستحي فاطرق هيبه
واخفي الذي لي من هراك واكهم

البلد باحثين عن مقر الخادم فاستعلما عنه
من قنصليتي فرنسا وانكلترة ولما لم يقفاه
على خبر ومضى على بحثهما وقت طويل
عاد الى الباخرة المسافرة الى سان فرانسيسكو
وفي اثناء عودتهما عرجا على مرشح باتولكار
ليشاهد فيه الالهاب فعثرا بباسبارتو اذ
رأياه يلعب على نحو ما تقدم لنا الكلام
عليه فخرجا به كما اوضحنا وتوجه الجميع
الى المينا وفي اثناء الطريق قص باسبارتو
على سيده ما وقع له ولكن بدون ان
يذكر البصاص فيكس وبعد استيفاء
حديثه دفع اليه موله قدرأ كافياً من
التقود لبتاع لنفسه ثياباً فاخذها بعد
ان خلع عنه انفة الطويل وجناحيه
العريضين

وكانت الباخرة الذاهبة من بوكاهاما
الى سان فرانسيسكو من اتقن بواخر شركة
البريد الياسيفيكي واسرعها سيراً وهي
تعرف باسم (الجنرال غرانت) وهي من
ذوات العجلات تحمل الفين وخسمائة
طناً وتسير اثني عشر ميلاً في الساعة ولها
ثلاثة صواري تامة اقنشة القلوع
وكان فوق سطحها زفاس خديدي

قد مضى على طواف المستر فوج منذ قيامه
من لوندرة حتى الان اثنان وخمسون يوماً
ولم يقطع سوى نصف المسافة فكيف به
يقطع النصف الباقي في مدة الثانية
والعشرين يوماً الباقية له من مدة
الرهان

اقول : نعم ان المستر فوج ما بلغ
حتى الان سوى نصف الطريق ولكن
اذا وجهنا النظر الى المسافة جميعها نراه
قد اجاز اكثر من ثلثي الرحلة لانه يوجد
مسافة طويلة بين لوندرة وعدن وكلكتوتا
وسنجابور ويوكاهاما واما الان فالطريق
مستقيمة ليس فيها عقبات ولا مصاعب
تحول دون المراه

وحدث انه في الثالث والعشرين
من شهر نوفمبر افتقد باسبارتو ساعته
للاستدلال منها على الوقت فراها منطقة
على ساعة السفينة فطرب وفرح وسر
وانتهج كأنه ملك سعادة عظي وقال
بالعلى صوته اين فيكس وماذا يقول الان
لقد جحصص الحق وظهر لكل ذي عينين
وانضع كذبه ونفاقه لحاء الله وخزاه فكم
حاول اقناعي بما تقنن به من ضروب

وهيات ان يخفى وانت جعلتني
جميعي لساناً في الهوى يتكلم
وقد كانت مشغلة بما كان يرأسها
من التصورات وبخاطرها من عواطف
الحب والقيام فتتقاد لانفعالات النفس
لان المستر فوج كان قد تملك فوادها
بجزيل احسانه ووافر جميله . وكانت هي
ايضاً والحق يقال تأخذ بالالباب وتعظم
في العيون فانها مليحة الشباب كاملة
الحاسن بهية الرواء رشيقه الحركة بلا
تصنع وكان المستر فوج كلما نظر اليها
يتهلل سروراً وكانت كلما كلمته ابدت له
اتسامة لها في تغوير الحسان معانٍ لا يفهمها
الا المحبون

دلائل الحب لا تخفى على احد
كحامل المسك لا يخلو من العبق
وبعد مبارحة يوكاهاما بتسعة ايام
كان المستر فوج قد بلغ من طوافه حول
الارض نصف الكرة الارضية لان الباخرة
(الجنرال غرانت) كانت في ٢٢ نوفمبر
داخلة في النقطة المائة والرابعة والعشرين
من دائرة نصف الكرة الشمالية المقابلة
للوندرة وهناسبيل للقول انه اذا كان

بسجن احد قبل محاكمته وصدور القرار
القضائي عليه فتميز حبشه من الغيظ
وصرف وقتاً طويلاً في الاستسلام الى
الغضب واستمر كذلك الى ان افاق من
غفلة غيظه وقال قد سبق السيف العذل
فباطلاً اقبل الاوقات في الكدر وسوف
اشفي حزازات صدري من فيلاس عندما
يصل الى انكلترا ولو وصلها حاوي الرفاض
لا اجد معه من السفائح التي اخناسها شيئاً
فانه قد انقمت في الاسفار والدعاوي والهبة
ومشترى الاقيال وغير ذلك شأن من
يسرف مال غيره ولكن فلا بأس قال
البنك عزيز

وعاد فيكس الى الباخرة (الجنرال
غرانت) قبل عودة المستر فوج فصعد
على سطحها يتأمل امواج البحر مبدداً
جيوش الافكار التي طرأت على رأسه
في ذلك النهار ثم رمى الزوارق القادمة
الى الباخرة بالركاب فرأى في احدها
المستر فوج والسيدة عائدة والشاب
باسبارتو فسأه لقاء باسبارتو ونهض على
الفور فانطلق الى غرفته ليتوارى عن عينيه
وفي ذات يوم حدث ان باسبارتو

الكلام اذ قال لي ان ساعتي تتقدم كثيراً
وانه يلزم تطبيقها على ساعة كل جهة
بلغناها فليأت ولينظر الان فان الله يحق
الحق ويزهق الباطل ان الباطل كان
زهوقاً

اما باسبارتو فكان هذه المرة في
ضلال مبين تأمها في مفاوز جهله الفاضح
فان عقرب ساعة السفينة كان دالاً على
الساعة التاسعة من الصباح وعقرب
ساعة باسبارتو كان دالاً على الساعة
التاسعة من المساء ولو كان لساعة باسبارتو
مينا رقم عليها ٢٤ ساعة لكان ميز الفث
من السمين

اما فيكس فما وصل الى بوكوهاما
حتى انطلق الى دار القنصلية الانكليزية
فاستلم منها امراً وارداً اليه من لوندرة
بالتبض على لص البنك المستر فيلاس
فوج فلما اطلع على الامر ونظر الى تاريخ
صدوره وعلم انه قد مضى عليه نيف
واربعون يوماً وان مفعوله لذلك بات
باطلاً بالنظر الى طول المدة التي مرت
عليه وبالنظر الى كون المستر فوج يدوس
الان ارضاً غير انكليزية لا تسلم شرائعها

— لا ولكننا رفيقان في السفر واعلم
جيداً اذا ظهرت لي منك خيانة ولو طفيفة
أكسر رقبتك لا محالة
— لا بأس

وفي الساعة الحادية عشرة من ليلة
٤ ديسمبر دخلت الباخرة بوغاز (البرودو)
المؤدي الى سان فرنسيسكو وكان وصولها
في الميعاد القانوني بدون تقديم أو تأخير
يرفة المسترفوج في دفتر الرحلة

الفصل الخامس والعشرون

في براز ويزال

وطئت اقدام المسترفوج والسيدة
عائدة والشاب باسبارتو ارض الامركان
في الساعة السابعة من صباح رابع ديسمبر
ومن عظم ما استمخوذ على باسبارتو من
الفرح والسرور بوصوله الى ارض امركا
وثب الى البر ساعة خروجه من الصندل
فستط على رصيف خشبي يغمره السوس
فصرخ صرخة هائلة جفلت منها طيور

كان سائراً على سطح السفينة فالتقى
بنيكس وجهاً بآزاه وجه فكر عليه كره
الابطال وقبض على عنقه فصد الفتك
به ثم رفع يده عن عنقه وجعل يلكمه
حتى اسال الدم منه مظهرًا للفرجين
من الامركان ان اللكم الفرنسي (البوكس)
يفوق اللكم الانكليزي شدة وعزماً وعندما
اروى باسبارتو غليله منه سكن جأشه
قال له فيكس

— هل شفيت غليل فوادك مني
فاجابه باسبارتو

— لا ولكن تعبت الان يداي من
اللكم

— اسع لي الان بالانفراد معك
لاخبرك بانني لم اعد التي في سبيلكما
العقيات وانه صار من مصلحتي ان تعودا
الى لوندرة عاجلاً وفيها تعلم يا باسبارتو
انك تمخدم لصاً

فكان باسبارتو يسمع ذلك بكل
اصغاء متبينا بغض الصحة في قوله انه
انقطع عن اضطهاده لما افي انكثرة ثم
قال فيكس

— هل نحن ضديقان حيان

الخشب وقد رأى في فسحات طرقاتها
العربات والهواذج سائرة ورأى قوماً من
الأمركان والأوربيين والصينيين والهنود
يزيد عددهم على المائتي ألف عدداً

وكان الفندق الاجنبي شديد المائلة
لفنادق انكلترة في البناء واصطلاح
العادات وهياة المبابث حتى ان باسبارتو
ظن نفسه فيه انه لم يخرج من لوندرة
وعلى الخصوص عندما وجد في طبقته
السفلى حانة ومائدة للطعام تقدمان
المشرب والمأكل للسافرين مجاناً

ودخل المستر فوج والقناة الى حجرة
الطعام فأكلا مرثياً وشربا هنيئاً وبعد ان
شبعوا ارتووا نهضوا وانطلقوا الى دار التنصلي
الانكليزية قصد تسجيل تذكرة المرور وفي
اثناء خروجها من باب الفندق التقيا
باسبارتو فقال لمولاه

— ارى من الحكمة ومن الصواب
ان تتقني اسلحة كالمدي والغدائر لن دفعها
شر الشوكس والباونس اذا عارضونا في
الطريق ووثبوا على القطارات الحديدية
يريدون توقيفها واقتلاع عجلاتها
فقال فوج

البط والجمع الحائمة حول تلك الارصفة
المتحركة المنددة في البحر والمياه حولها ترتفع
وتنحط بحيث ان البضائع تسخن منها وتفرغ
عليها بسهولة كلية وبالقرب منها ترسو
سفن ومراكب وزوارق وبواخر تخفق
فوقها الاعلام المتنوعة الالوان فان هذه
المينا تكثر الواردات اليها من الاصناف
والبضائع برسم البلاد الخارجية كالمكسيك
وبيرو وشيلي والبرازيل واوروبا واسيا وغير
جزائر من جزائر الاوقيانوس الباسيفيكي
وريثا صعد المستر فوج الى البر

توجه الى محطة السكة الحديدية مستعملاً
عن ميقات قيام القطار الاول الى نيويورك
فاخبر انه يذهب اليها في الساعة السادسة
من مساء اليوم ولكي يقتل الاوقات
بدون ضجر وانزعاج اكرى عربة بثلاثة
ريالات وسارت حتى بلغت بهم النزل
الاجنبي وحيث ان باسبارتو كان راكباً
على كرسي العربة بجانب السائق تمكن
(بالنظر الى ارتفاع مكان جلوسه) من
رؤيا المدينة وبنائها الشاهقة وهياكلها
العظيمة وقصورها الباذخة التي بعضها
مبني من الاجر والبعض الاخر من

٣ افعل ما شئت

ثم ساق القدم الى دار الفنصل وما
ثقل قدمه مسافة مائتي خطوة حتى عثر
بفكس الذي لما رآه أجدره بالتحية فسلم
عليه تسليم المشوق وايدى له الدهشة
والانذهال من هذا اللقاء غير المتظر
واوضح له كونه مسروراً سعيداً بتلك
المشاهدة ثم طلب ان يرافقه في زيارة
المدينة فاجابه المسترفوج الى ذلك وساروا
جميعاً في الشوارع والاسواق حتى وصلوا
الى شارع فسج الجوانب غاص باقوام
تخفق فوق رؤوسهم الاعلام وتذف
اقوامهم هذه الالفاظ

كوراح الى كاميرفيلد.

كوراح الى مانديوس.

فوقفوا متفرجون على حركات اولئك
الناس وبعد برهة اظهر البصاص فيكس
للمسترفوج عدم ملائمة اختراقهم لصفوف
تلك المجموع خوفاً من الزحام وتسايق
المزاحمين فيصيحهم لكلمة اورفسة فاستحسن
المسترفوج رأيه ولكنه كان على جهل
تام بسبب الازدحام يسأل عن سبب
تجمع الناس وما كانوا يبدونه من البشر

والاناس والتهليل باصوات ترتفع في
الفضاء بنغمت تثير الاشجان الا انه نظر
في وسط الجمع بطلين هامين يتباريان
في ميدان المصارعة واسم احدها كاميرفيلد
والاخر مانديوس ، وبينما كان مرسلأ
نظره الى هذه المباراة انطلق البصاص
فيكس ليستعلم من كانوا على بعد دقيقتين
منه من الاوربيين عن الباعث على هذه
المسرات واذا بالمجموع هاجموا وثاروا
وتضاربوا وتلاكهوا واوقفوا العربات
وقذفوا الاحذية والقلانس في الفضاء
واطلقوا العيارات النارية اشارة الى الفوز
والظفر

وكان اولئك المجموع منقسمين الى
حزبين احدهما مبال الى مانديوس
والاخر الى كاميرفيلد المتصارعين ولا بد
ان يكون احد هذين البطلين قد استظهر
على رفيقه فنثار حزبه متفخراً على الحزب
الثاني على ما تقدم القول

وحدث انه من شدة هياج القوم
وازدحام الاقدام وجد المسترفوج والسيدة
عائدة والبصاص فيكس انفسهم مندحمين
في وسط اولئك المجموع الشاكي السلاخ

وبعد برهة يسيرة سكن الهياج
فتخلص المستر فوج ورفيقاه من مركزهم
المخرج وحمدوا الله على نجاتهم ثم انطلقوا
سائرين الى النزل الاجنبي فأولاً عند
مدخله الشاب باسبارتو منتظراً وصولهم
مدججاً بالسلاح الجارحة والناربة فلما
رأى فيكس أتياً وراء مولاه نظر اليه شزراً
وضرب عنه صفحاً ثم سأل مولاه عما شاهده
من العجائب في ارض الغرائب فقصت
عليه الفتاة عائدة ما وقع لهم جميعاً وكيف
ان فيكس اعانها (اي اعان عائدة وفوج)
فالتفت اليه باسبارتو وشكره بافصح لسان
واجلى بيان وبعد ذلك دخلوا جميعاً
حجرة الطعام فبعد الاكل استحضروا عربة
تحمّلهم الى المحطة وعندما هم المستر فوج
على الركوب سأل فيكس عما اذا كان
نظر الكولونيل بروكتور فاجابه فيكس
سلباً فقال فوج لا بد من الرجوع الى
هنا بعد اتمام رحلتي لكي اتم من هذا
الكولونيل اللثيم الذي اهان الشرف
الانكليزي واساء معاملتي بما فعل ولسوف
ينال جزاءه

وعند الساعة الخامسة والدقيقة ٤٥

المنتقلي الهراوات الرصاصية والفضبان
الحديدية فحاروا في شأنهم وطلبوا النجاة
ولا مناص لهم ما وقعوا فيه فجعلوا يدارون
الفتاة من الصدام وبينما هم كذلك اذا
برجل طويل القامة احمر اللون تقدم اليهم
وابتدر المستر فوج بضربة كادت تكون
القاضية لو لم يلقها البصاص فيكس
بساعديه فحملق المستر فوج بعدوه
وقال له

— اف عليك من امركاني

فاجابه الخصم

— اف عليك من انكليزي

فقال فوج

— سوف ترى من طعنات حسامي

عند اللقاء ما يُثيب الطفل الرضيع

فقال الخصم

— لا لا: ما كل من رفع السلاح

كان لرفعه اهلاً

فقال فوج

— ما اسمك

— الكولونيل ستامب بروكتور وانت

ما اسمك

— فيلاس فوج

وسنة وثمانون ميلاً يجازها القطار في
مدة سبعة ايام فكان المسترفوج لذلك
يأمل ان يصل الى نيويورك في الشهر
ويركب منها الباخرة المثقلة منها الى
ليفربول

وحدث انه بعد قيام القطار بساعة
من الزمان تلبدت الغيوم واطلم البحر
وهزم الرعد وهت عيون السحب بمدامع
الغيث للدرار ثم برد الهواء وامطرت السماء
ثلجاً فكست الارض ثوب البياض

وفي الساعة الثامنة طاف المأمور
(الكوميساري) عربات القطار واعلم
الركاب بحلول ميعاد الرقاد وحيث
مدت على الكرسي التي يجلس عليها
المسافرون شراشف تفوق الثلج بياضاً
ووضعت عليها الوسادات والاعطية
وأرخت على المنافذ ستارات تحجب النور
حتى خيل للركاب انهم في غرف من
سفينة على ظهور البحار وما كانوا الا ناهيين
الارض عدوا على مركبة تسير على قضبان
الحديد سير البرق لمعاً وبياضاً في بطون
فلوات واسعة ممتدة بين سان فرانسيسكو
وساكرامنتو وتجه بما يمكن من السرعة نحو

وصلت العربات بهم الى المحطة وكان القطار
على اهبة المسير وبينما كان المسترفوج ينقل
قدمه الى احدي العربات اذ نظر احد
مستخدمي المحطة فسأله قائلاً

— ما هو السبب الباعث على الزحام
الشديد اليوم في شوارع المدينة
— في هذا اليوم تم انتخاب قاضٍ
للصغ في المدينة

وبعد ان اتى المستخدم هذا الجواب
الى المسترفوج قام القطار وسار يطوي
القفار

الفصل السادس والعشرون

في ركوب قطار الاكسبريس
في سكة (الباسيفيك)

تقسم السكة الحديدية الى فرعين
وهما فرع الباسيفيك ويمتد بين سان
فرنسيسكو واولدجين وفرع اتحاد
الباسيفيك ويمتد بين اولدجين واماها
التي يتشعب منها خمسة خطوط قائمة
بذاتها تصل اماها بنويورك

وسان فرانسيسكو ونيويورك يتصلان
بخط حديدي مسافته ثلثة الاف ومبعمائة

الى محلاتهم واحدقوا في تلك الارض
ومروجها الخضراء واديتها وجبالها
والحيوانات الهائلة فيها الشاردة في ضواحيها
كالابقار البرية التي كثيراً ما تنف في
طريق القطار فتعوقه عن السير

وفي الساعة الثالثة من مساء ذلك
اليوم انتشر في طريق القطار قطيع من
البقر مؤلف من ١٢ الف رأس وكان
يمشي الهويناء على جسر السكة لا يخيفه سير
القطار ولا شرار النار المتصاعد من ثم
الخلقين ولا سواد الدخان الخارج من
المدخنة وكانت تلك الابقار ضخمة الحجم
قصيرة الاذنان بارزة الاكتاف ذات
قرون مقوسة ورؤوس ورقاب مغطاة
بناصية ذات شعر طويل

وقد اندهش الركاب من منظرها
فوقفوا امام منافذ العربات وفي مطلات
القطار ينظرون اليها ويسجون خالتها
اما المستر فيلاس فوج فما تحرك من
محل بل لبث فيه ينتظر استئناف السير
وقد كدر باسبارتو هذا الوقوف وهم مراراً
ان يطلق على هذه الحيوانات العبارات
النارية

الشرق لتلتقي بالقطار الذي يقوم من
اوماحافاته يند من سان فرنسيسكو الى
عاصمة مملكة كاليفورنيا فرع حديدي
على طول نهر . امركان . الذي يصب
في خليج سان بابلو ومسافة طوله مائة
وعشرون ميلاً يجتازها القطار في مدة
ست ساعات وعند منتصف الليل مر
القطار وركابه نيام بمدينة ساكرامنتو بعد
ان عرّج على عدة محطات وعند الساعة
السابعة صباحاً مر بمحطة سيسكو وفي الساعة
الثامنة نهض الركاب من النوم ووجدوا
خالق الليل ومبدع النهار واطلوا من
منافذ العربات ينظرون الى القفار التي
يشق كبدها القطار والى عرائس النبات
التي يميل بها الهواء والى جمال الطبيعة
ومناظرها البديعة

وعند الساعة التاسعة كثر القطار
في وادي كارسون ماراً باراضي نيفادا
سائراً في الجهة الشمالية الشرقية حتى اقترب
من محطة رينوفوق نحو عشرين دقيقة
تناول الركاب في خلالها الطعام
وبعد الفراغ من تناول الطعام
عاد المستر فوج والسيدة عائدة ورفيقاهما

ولما اقبل الصباح وقف باسبارتو
 في الساعة التاسعة قبالة مظلة القطار
 يستنشق النسيم فبهت عليه ربح الصبا
 فانهشت قواه وكان الجواذ ذاك ذا
 لون اسخفيوني اشبه بلون البنفسج وكانت
 الشمس في كبد السماء مغطاة بيرقع من
 السحاب فظهرت من خلاله كقطعة
 ذهبية رائتة الصفرة وهو ما جعل باسبارتو
 ان يرتبك بجزئتها الى ليرات أنكليزية
 وبينما كان مشغلاً بذلك الحساب اذا
 به رأى شخصاً تلوح عليه علائم الاثراء
 والشرف وملامح الوقار والجلال وكان
 طويل القامة اسمر اللون اسود الشاربين
 وكانت يده مستورتين بكفوف سوداء
 وعلى رأسه قبعة من الحرير الاسود وعلى
 جسمه لباس اسود وفي عنقه رباط من
 الحرير الابيض وكان بالاختصار مستكماً
 لمظاهر الترف والثروة وعلو المنزلة وكان
 يقترب من باب كل مركبة من مركبات
 القطار ويلصق عليه اعلانات مكتوبة بخط
 يده فدنا باسبارتو من الاعلان فقراه
 واليك ترجمته
 انا الموقع على ذيل هذا الاعلان

اما سائق القطار فقد اتخذ هذه الحكمة
 دليلاً ومنع القطار من المسير بين صفوف
 تلك الحيوانات خيفة ان تنك بها
 العجلات وتكون عائقاً للقطار عن اتمام
 مسيره اذا مر عليها وخرجت العجلات
 عن القضبان الحديدية ولذلك أثر الانتظار
 على السير

وقد مضت على انجلاء القطع عن
 الطريق ثلاث ساعات طوال اذن
 بعدها باطراد المسير

وما حلت الساعة الثامنة حتى عبر
 القطار مضيق جبال هومبولدت وظل
 ماراً بها يطويها حتى دنت الساعة التاسعة
 ونصف فبلغ ارض او طاح ومقاطعة بحيرة
 (صالي) بلاد غرائب المورمون

الفصل السابع والعشرون

في مرسل مورموني

وسار القطار اثناء ليل سادس
 ديسمبر في بقعة من الارض تبلغ
 مساحتها ٥٠ ميلاً وما لبث ان تحول
 عنها الى الجهة الشمالية الشرقية حتى
 اقترب من بحيرة صالي اعظمه

عالٍ فقال :

أقول ولا أخشى في الحق تعنيًا أن
(جون سميث) مات شهيداً وهو الآن
في جنة الأبرار نعم الأخبار وأقول لكم أيضاً
أن أخاه هيرام مات شهيداً أيضاً وهكذا
سميت الشاب برايم فمن منكم يتجرأ
ويقول بعكس ذلك . لا اظن أن أحداً
يقدم على عكس هذا القول . وأعلموا
جيداً أن الإيمان يتأيد في زمن الاضطهاد
وأن الديانة تنمو في زمن الضيق انظروا
إلى حكومة الولايات كيف انها لما استولت
على مقاطعة أوطاح سمحت لجميع المورمون
وفي جملتهم الشاب برايم وهم الآن يقاسون
مرّة العذابات بفرح وسرور

أن الديانة المورمونية موجودة منذ
الازل وقد تلقاها من السماء نبي من
سبط يوسف وأودع وصاياها في كتاب
سلمه لولده مورمون وبعد قرون ترجم
الكتاب إلى لغة المصريين حضرة الفاضل
يوسف جونيور الذي كان صيدلياً ورفّع
إلى السماء عام ١٨٢٥ هـ

وكان هذا المرسل يتوقد في كلامه
نطقاً وبلتهب حدةً ويزوب نصوراً

المرسل وليام هتش اغتم فرصة وجودي
في القطار المرقوم عليه عدد ٤٨ وأشرف
بان أعلن لحضرات المسافرين الكرام أنني
عينت ساعة واحدة تبتدى من الساعة
الحادية عشرة صباحاً وتنتهي في الظهر
لا لقاء الدروس المقدسة في العربة المرقوم
عليها عدد ١١٧ وذلك في الديانة
المورمونية وأشرح بالأسهاب أفضال
القديسين الذين ظهروا في الأيام الأخيرة
فاحت الركاب للحضور واني لم من
الشاكرين الامضا

وليام هتش احد مرسلي
الديانة المورمونية

ولما قرأه باسبارتو هذا الاعلان

قال في نفسه

— لا مانع من نهائي إلى مقر تلك
الدروس لاحضر تعاليم وليام الديانة
فاعرف شيئاً من تقاليد هذه الديانة
التي من مبادئها الأولية اكثار الزوجات
ومادنت الساعة المعينة حتى ازدحمت
العربة (١١٧) بالحضور واجتمع فيها ما
ينيف عن الثلاثين شخصاً عدا فقام فيهم
المرسل هتش خطيباً وافتتح الكلام بصوت

ويسيل رقة ملباً أوجه الحديث متفتاً
 في ضروبه متقللاً في أساليبه باسطاً للعلم
 بحيث يقال عنه هذا آية الدهاء والذكاء
 مظهرًا للجهل بحيث يقال هذا مثال
 السذاجة والبله ولكنه اطال الكلام حتى
 ضجر الحاضرون فاخذوا في الخروج من
 العربة ولم يبق منهم الا عشرة أشخاص
 لبثوا يسمعون حديثه حتى النهاية
 وكان القطار اثناء ذلك سائرًا
 بسرعة لا مزيد عليها وما حان اوان
 الظهر حتى اقترب من بحيرة صالي التي
 تصب في اردن امركا وتدفق ماؤها
 على صخور قائمة من حولها محدبة
 مسترسلة الى الارض التي يمد الربيع
 عليها باسطًا سندسياً مدبجاً بلالي ازهار
 تكتسح الاقدسة بطيب شذاها . اما البحيرة
 فظولها يبلغ سبعين ميلاً بوجه التقريب
 وعرضها ينيف على الثلاثين ميلاً وهي
 تبعد عن البحر مسافة ثلاثة آلاف
 وثلاثمائة قدم
 وفي الساعة الثانية وصل القطار
 الى محطة اجدين فوقف فيها اربع
 ساعات متواليات خرج المستعمر فوج في
 انهم انهم مورمونيات . وهنا عجل للقول
 ان عدد بعض المورمون (لا جميعهم)

خلالها الى البر مضجعين برفقته وساروا
 نحو مدينة (القديسين) قصد التفرج
 على ظرائفها ولطائفها وقد وصلوا اليها
 في الساعة الثالثة فطاقوا شوارعها
 وطرقاتها وزاروا اجل قصورها وابنيها
 كدار الندوة وبلاط الملك والمساحة
 وسائر ما تحتوي عليه من الانوار اما
 ابنة هذه المدينة فجميعها مبنية من
 الاجر المائل الى الزرقة وامامها ليوانات
 وماش . وحولها بساتين فيها عرائس
 الرياحين واشجار النخل والخروب
 بتخللها النبات الاخضر ويكتنف هذه
 المدينة سور مبنية من الخرف
 منذ عام ١٨٥٣ ثم طافوا عدة شوارع
 يدون ان يلقوا في طريقهم انساناً كان
 المدينة دار يقع لا تأهل سكاناً . ولما
 وصلوا الى شارع الهيكل التقوا بنسوة
 كثيرات مارات بالطريق ورأوا
 الغنيات منهم يلبسن وشاحاً من
 الحرير الاسود خالياً من بهارج الزينة
 فاستدل باسبارتو من كثرة عددهن
 على انهن مورمونيات . وهنا عجل للقول
 ان عدد بعض المورمون (لا جميعهم)

جاهلاً للباعث الذي آخر هذا الرجل
عن ركوب القطار والداعي الذي اضطره
الى هذا السفر المجهل وما علم ان المورموني
كان هارباً من الزواج

وبعد ان وصل المورموني الى القطار
واستراح اقترب منه باسبارتو وسأله بقوله
— كم لك من النساء

فاجابه المورموني رافعاً ذراعيه الى
السما

— واحدة فقط وهي حسي وكفي

الفصل الثامن والعشرون

في ان باسبارتو اخفى على مولاه
امراً اذا بال

وبعد مبارحة القطار لمحطة البحيرة
(صالي) ومحطة (اجدني) سار ساعة
طويلة نحو الشمال الى ان وصل الى نهر
فيير. وكان قد قطع تقريباً تسعمائة
ميل من حين قيامه من محطة سان
فرنسيسكو

وبعد قيامه من نقطة نهر فيير
سار في مضيق جبال واحشاش
في بقعة فاصلة بين هذه الجبال وبين

سنة اكنثار الزوجات خصوصاً عند
اهالي مدينة اوطاح فانهم يتكرون على
البنات العذاري البقاء في العزوبة
ويسوقونهن الى الزواج قسراً كالنعايج
وعند الساعة الرابعة عاد المتفرجون
الى المحطة ونزلوا الى محلاتهم في عربات
القطار وعندما صفر القطار دلالة على
السير واخذت العجلات تكرر على القضبان
الحديدية علا في الجحوصوت ينادي السائق
ان قف ولا تسر

وبما ان قانون السكة الحديدية
لا يرخص لمهندسي القطارات في الوقوف
متى سارت ظل القطار لذلك سائراً بينما
كان ذلك الصوت ينادي السائق ان
: اقف المسير: وبعد ثمانية من الزمن
رؤي صاحب الصوت راکضاً ثم
والجأ فمحة المحطة ومنها انطلق عدواً الى
الرصيف فقفز منه الى سلم اخر عربية من
القطار وكان هذا الرجل من اهل الديانة
المورمونية

وكان باسبارتو مشاهداً لذلك
الحادث فاعجبه من المورمون خفتهم في
التماس وسرعتهم في السير ولكنه كان

كان الاجدر بولاي ان يجنار من الصيف
لهذه الرحلة تخفيفاً للمصاعب التي يصادفها
في زمن الشتاء ومجانبةً للموانع التي يلقاها
في طريقه حيناً بعد حين من غير انقطاع
وفي اثناء وقوف القطار نزل منه
بعض الركاب الى رصيف المحطة لتمضية
الوقت ومن جلستهم الكولونل ستامب
بروكتور وكانت الفتاة عائدة وقتئذ
مترعة في عربتها متقبضة الصدر مشتتة
البال قلقة الفكر من جراء الموانع التي
كان يصادفها المسترفوج في رحلته ودفعاً
للم دنت من نافذة العربته واحدقت
بصرها فيما خارجها فرأت اناساً يخطرون
على الرصيف وبينهم الكولونل ستامب
الذي اساء معاملته المسترفوج في مدينة
سان فرنسيسكو فتوعده بالاعتصاص منه
ايما قصاص فلما نظرت الفتاة ارتدت
عن النافذة لئلا يراها فيعرفها فجلست
مستسلمة لتبارج القلق ضاربة في وهاد
الاضطراب جازعة من فكر مشاهدة المسترفوج
لهذا الكولونل فيشتبك معه بقتال
تسو عاقبته سوا ظفر فوج اولم يظفر
فأنة يؤخره عن اطراد السفر

جبال روشيز حيث عانى المهندسون
الامر كان مزيد التعب في تخطيط السكة
المحددية وعقدوا مع الحكومة اتفاقاً
على اجرة تبلغ ٤٨ الف ريال عن
كل ميل في الجبال مع ان اجرة
الميل في السهول ستة عشر الف ريال
قط

وعند الساعة السادسة مساءً وقف
القطار في محطة : فور برايدجير وبعد
برهة وجيزة بارحها وما اجاز عشرين
ميلاً حتى بلغ ارض ولاية : رومينج :
وسار في وادي جون : پتر : وفي
صباح سابع ديسمبر وقف القطار في
محطة : جرين ويفر : نحو من ربع
ساعة كان الثلج في خلالها يتساقط
كثيفاً بما يبعث الركاب على الخوف
من ان يكون سبباً في وقوف القطار
ولكن بحسن الطالع امسكت السماء
قليلاً ثم امطرت غيثاً مدمراً فاذا بالثلج
وقد اضطرب باسبارتو لذلك
وكما احس في الارض ويشاهد فوقها
الثلوج تلالاً كان يجالها تيميد به في
الطول والعرض ثم يقول في نفسه : اما

— اصحح ما تقول من انك تدافع
عن مولاي

— اجل فاني افرغ جعبة جهدي في
سبيل سوقه الى اوربا سالماً

فهاج عامل الغضب في فواد باسبارتو
من هذا الجواب ثم صرف باستانه ولزم
الصمت . وبعد ذلك التفت فيكس الى

المستر فوج وساق اليه الكلام فقال
— ان الساعات التي تصرفها قطارات

السكك الحديدية في السفر لطويلة وقد
كنت بامولاي تقتل الاوقات على السفن

البخارية في لعب . الويست . فالسيد
عائده تنقن هذا اللعب وانا ايضاً اعرف

بعض ضروبه وفي القطار يباع هذا الوزق
فاذا شئت مضينا الوقت في اللعب تخلصاً

من الضجر المستعوز علينا فاجابه فوج
— لا مانع من قبلي

فتوجه باسبارتو واجام ورق اللعب
واحضره الى مؤلاه قائلاً في نفسه : الحمد

لله فقد تمكنا من حصر المسترفوج فيما
داخل القطار . وذلك لانه كان يخشى

ان يخرج منه ويعرض نفسه لبعض اسباب
الاغتيال

وعند قيام القطار من المحطة اغتنمت
عائده رقاد المسترفوج واخبرت فيكس

وباسبارتو بوجود الكولونل بروكتور في
القطار واطلعتها على سوء العاقبة اذا التقي

بالمستر فوج فقال لها فيكس
— ان هذا اللثم ساء في جداً وسينال

جزاءه مني
وقال باسبارتو

— ساخذ عيب هذا الامر على عاتقي
فقاتلت لها الفتاة

— ان شهامة المسترفوج تأتي ان
تأخذ بناؤه وهو رجل شديد الساعد

قوي البنية ونحن الان في حالة يجب ان
نكتم فيها الامر على المسترفوج والا ندع له

فرصة يخرج بها من القطار حتي يصل
الى نيويورك فلربما لا يشاهد عنوه في

القطار ومتى بلغنا نيويورك لانعدم طريقة
اخرى لللافاة الامر

فوقع كلامها في الاذان موقع الاستحسان
وعندها استيقظ المسترفوج فقطعوا الكلام

وبعد التزامه السكوت مدة لم يفه في
في خلاها احد بكلمة اقرب باسبارتو من

فيكس وهمس في اذنه قائلاً له

وارى الاجنر بك ان تصرف المدة في الذهاب مشياً الى المحطة التي لا تبعد سوى مسافة ميل لو لم تكن في الضفة الشالية من النهر الذي لا يمكن اجتيازه بواسطة الزوارق لان المياه متجمدة فيه وبعد ان علم باسارتو جميع ذلك عاد ليطلع مولاه على الاسباب التي اجأت الى وقوف القطار في تلك النقطة وفيما كان سائراً سمع صوتاً قائلاً : ايها السادة الركاب يمكننا ان نعبّر الجسر على هذا القطار ولي ملء الامل في اتمام السير بدون حدوث ادنى ضرر للقطارات والركاب والطريقة الوحيدة لذلك هي ان يسير القطار سيراً سريعاً يحاكي وميض البرق ماراً فوق ذلك الجسر المنهدم فيعبره غائماً سالماً وكان صاحب هذا الصوت مهندس القطار

فضح هذا الرأي جميع الوقوف باصوات الاستحسان وعادوا الى محلاتهم في القطارات ثم عاد باسارتو بدون ان يخبر مولاه بشئ وما جلس في مكانه حتى صفر القطار وتأخر الى الورا مسافة ميل ثم تقدم الى الامام سائراً بسرعة لا يعبر عنها

وعند الظهر مد سباط الطعام في احدى عربات القطار للمسترفوج ورقمائه فاكلوا وشربوا حتى اكثفوا ثم نهضوا واستأنفوا اللعب وبيفاهم يلعبون اذ سمعوا صغيراً شديداً خارجاً من آلة القطار فزع باسارتو الى الباب ونظر الى الامام فلم يرى شيئاً مانعاً من المسير ثم نزل الى الارض ليتحقق الخبر فرأى نحو اربعين راكباً نازلين من القطار وفي جملتهم الكولونل ستامب بروكتور وكان القطار قد وقف امام علامة حمراء فنزل منه السائق والمهندس فوجدا وكيل محطة : هو : القرية من تلك النقطة واقفاً فسألاه عن سبب ايقاف القطار فاجابها ان هذا القطار يقتل بالركاب ولا ينبغي ثقله جسر : هو : فلما سمع الكولونل بروكتور هذا الجواب قال للسائق او ملء الاتقادرونا هنا عرضة للبرد والتلج فاجابه السائق ان قد طلب من محطة (اوماجا) قطار صغير لنقل الركاب وسيحضر بعد ست ساعات فصرخ باسارتو مردداً قول السائق (بعد ست ساعات) فقال له السائق نعم

لسان فعبر الجسر بأسرع من البصر وبعد عبوره بأقل من رمشة عين اندك الجسر دكا وسقط سقوطاً مربعاً

الفصل التاسع والعشرون

في مقابلة المسترفوج مع الكولونل ستامب بروكتور

وقضى القطار الليلة برمتها سائراً حتى قطع صحارى : صودير : واجاز مر : صيان : فوصل الى مر : ايفان : حيث يبعد الخط الحديدي عن ساحل الاوقيانوس مسافة ثمانية الاف واحدى وتسعين قدماً كان القطار يجنازها بكرات متواصلة ولم يقف الا في محطة الثلاثيك الكائنة في وسط فدفد منبسط شاسع تلتقي فيه الخطوط الحديدية الممتدة الى مدينة ديفروهي اعظم مدن : الكولورادو : وفيها معادن كثيرة ذهبية وفضية وتأهل من السكان نيفاً وخسين الفا

اما القطار فكان قد قضى الى ذلك الوقت من يوم قيامه من محطة سان فرنسيسكو مدة ثلاثة ايام قطع في غضونهما مسافة الف وثلاثمائة واحداً وثمانين

ميلاً والقطارات تصرف عادة مدة أربعة ايام فقط من سان فرنسيسكو الى نيويورك وفي الساعة الحادية عشرة من الليلة نفسها دخل القطار ارض نيبراسكا ومر بالقرب من سيدجويك وعرج على جويسبورج الكائنة عند فرع الخط الجنوبي من نهر بلات الذي كان النقطة الرئيسية لاتحاد السكة : باسفيك رود : ففي ٢٣ اكتوبر من عام ١٨٧٦ حضر الى شاطئ النهر المهندس الشهير الجئرال دورج بتسعة قطارات ثقل قوماً كراماً وكان بينهم المستر توما والمستر دوران الشهيران فحضروا افتتاح السكة ومدت لهم الموائد واقامت لهم الالعاب النارية عبيد شاطئ ذلك النهر

وفي الساعة الثامنة من صباح الغد هب الركاب من الرقاد واقترعوا من المنافذ طلباً لاستنشاق الهواء وكان القطار سائماً في الضفة الشمالية من نهر : بلات : وعند الساعة التاسعة بلغ بهم المدينة العظيمة : نورث بلات : القائمة بين نهرين يجناطان بها احاطة السوار بالمصم ويتنزع ماؤها بماء نهر : ميسوري :

لولا اشارة مولاه اليه بالعدول عن
الهجوم عليه . وكان فيكس ايضا
قد نهض وخطب الكولونل بقوله

— هل ذهب عنك انك اسأتني
ولكمتني . فقال فوج

— اصغ الي سمعاً بانكس فان

الكولونل قد اهانتني وحدي الان
بقوله ان ليس لي الحق بلعب . اليك .

ومن مقنضيات شرفي ان اتقص منه
على هذه القحة

فاجابه الكولونل

— اين ومتى تروم استرجاع شرفك

فلما سمع المسترفوج هذه الكلمات نهض
على الفور بالرغم عن محاولة عائدة

لمنعه من مصادمة الكولونل وخرج الى

ما خارج العربة مع الكولونل وقال له

— لولا قصر الوقت وما تقضي

عليّ به اشغالي من العود الى اوربا

عاجلاً لكنت نزلت معك ميدان القتال

وعندما صدرت منك ضدي تلك

الاهانة في مدينة سان فرنسيسكو عزمت

على العود للفائك متى وفرت عندي

الفرص وسحنت لي اشغالي بالعود اليك

وعاد المسترفوج ورفيقاه الى لعب

(الويست) فقضوا الوقت من غير ضجر

وملأ من طول الطريق وقد لقي المستر

فوج في هذه المرة ما يحسد عليه من حسن

الخط فكان الورق طوع رغائبه يأتيه

حسب مراده وبينما كان على وشك ان

ينثر ورقة اليك اذابه سمع صوتاً خارجاً

من قرب باب العربة فحانت منه الحفاة

نحو مخرج الصوت فشاهد الكولونل

(ستامب بروكتور) واقفاً بالقرب منه

يقول له

— تروم ايها الانكليزي ان تلعب

بيك ، ولا تعرف هذا اللعب ايها البعير

فالعاب (كارو) اذا اردت

فاجابه فوج برصانة

— ومن يتفن هذا اللعب مثلي

ثم رمى بعشرة الديناري الى الارض

واحتفل للقيام

فاصفرت وجتا الفتاة عائدة خوفاً

على متخذها وامسكت بذراعيه منعاً له

من القيام باللاكمة الكولونل فدفع يدها

برقة ولطف دفعاً خفيفاً وكان باسبارتو

اذذاك على وشك الوثوب على بروكتور

وسيكون ذلك عاجلاً أن شاء الله بحيث لا يضي ستة شهور حتى تراني عائداً لبحث عليك

قال الكولونل

— ولماذا لا تقضي اليوم ما عزمت على تأجيل قضائه الى حين وتكفي مؤنة التعب في العود الى ديارنا ف نحن لان متبلون على محطة (بلوم كريك) فعندما يقف القطار فيها ننزل الى الارض ونبادل اطلاق الغدارات فينتهي كل امر بيننا

فاجابه فوج

— اصبت . قال هذا وعاد الى عربته على مقتضى عادته من السكينة والهدوء ثم هداً بال القادة واستأنف اللعب . وعند الساعة الحادية عشرة اقترب القطار من محطة (بلوم كريك) فنهض المستر فوج وتقدم زوجاً من الغدارات واصطبغ فيكس كشاهد وانطلق كلاهما الى درج القطار فالتقيا بالكولونل وشاهده وعند ذلك هم الجميع على النزول الى الارض فنعمهم سائق القطار من النزول بقوله ان القطار لا يقف في هذه المحطة

حسب عادته لاننا اطينا بتأخير عشرين دقيقة يجب علينا ان نعوضها واذا كنتم مضطرين الى النزال فما الذي يمنعكم من القتال في قلب القطار حال مسيره فانه يوجد في مؤخر القطار عربة فسيحة الجوانب اخلوها لكم لتكفروا فيها عن سيأتكم ثم مشى امامهم حتى اوصلهم الى العربته المعهودة وادخلهم اليها قائلاً — من هذه العربته لا يخرج احد منكم وتركهم وراح يسوق القطار

فوقف المستر فوج في العربته وفيكس الى جانبه بصفة شاهد ووقف قبالة الكولونل بروكتور و الى جانبه شاهده ثم اتفق الكولونل والمستر فوج على الشروع في اطلاق الغدارات حال تصغير القطار وما اذف الوقت المعلوم حتى علت في الجو وضوءة يغلها قرعة سلاح ودوي بنادق وصراخ هائل فارتعدت فرائص الكولونل فخرج الى ما خارج العربته وتبعه المستر فوج وفيكس فأول قوماً منتشرين كالبحراد على الخط الحديدي مدحجين بالسلاح معتقلين البنادق والمراوي يهجمون على درجات القطار ويصعدون

— لان (السيوس) ضاربون بين
حصن كبير في المحطة الآتية وهناك
يوقفون القطار ويهلكوننا جميعاً

فعند ذلك هم فوج على الوثوب
من القطار فلما رأى باسبارتو ذلك قال
لمولاه قف وقفز على الأرض ثم سار
بالقرب من عجلات القطار والسيوس
يرمونه برصاص بنادقهم حتى وصل الى
اول عربة مربطة بالآلة فحمل الزنجير
الذي يربطها بالآلة فلبثت الآلة سائرة
وبعد بعض كرات وقف القطار على بعد
مائة خطوة من محطة كبيرتي

وقد شعرت حامية الحصون بدوي
البنادق فانت لاغاثة الركاب . اما
السيوس فقبل وقوف التطار شعروا
بقدوم الحامية فولوا الادبار

وبعد وقوف القطار في المحطة نزل
الركاب الى الرصيف واخذوا كل المحطة
يعدم يعرف من فقد منهم . واستدعاهم
لكل باسمه علم ان عدداً كثيراً قد قص
منهم وفي الجملة الشاب الفرنسي باسبارتو
الذي كان السبب في نجاة الجميع

اليها وقد صعد رئيسهم الى حيث المهندس
فاوسعه ضرباً وثخنه جراحاً وقبض على
مفتاح الآلة فحاول ايقافها ثم حرك المتاح
على غير دراية فطار القطار وسار سير
البرق

وهؤلاء الاشقياء يعرفون بقوم
(سيوس) وقد جعلوا حرفتهم منذ نشأة
السكة الحديدية في بلادهم ان ينهبوا
القطارات ويخطفوا العجلات ويذبحوا
الركاب ويرجمون

واستمر ذلك القتال نحو عشر دقائق
كان الركاب في خلالها يدافعون عن
انفسهم بكل بسالة وثبات ولا سيما السيدة
عائدة فانها كانت قابضة بيدها البيضاء
على غدارة ذات ست طلقات نطقتها على
الاعداء حتى جندلت منهم ثيقاتاً وعشرين
قتيلاً ما عدا الذين جرحتهم وقد اصيب
بعض الركاب بجراح بليغة تنذر بالخطر
وبينما كانت الحالة على ما تقدم عليه
الكلام قال السائق للمستر فوج

— اذا لم يقف القطار قبل خمس
دقائق هلكنا جميعاً لا محالة
— ولماذا

الفصل الثلاثون

في ان فيلاس قام بحق الواجب
وقد كان غياب باسبارتو داعياً للغم
والحزن عند المستر فوج والسيدة عائدة
وقد تبادلوا الاراء في شأن البحث عنه
وكيفية الوصول الى افراج كرتيه اذا كان
اسيراً

اما الذين اصيبوا بمجرع البية من
الركاب فكانوا كثيرين وفي جملتهم
الكولونل بركتور فانه اصاب برصاصة
في فخذه فمر على الارض صريعاً فقتل
كباقي الجرحى الى المحطة لمذارة جروحهم
قبل ان يتعسر شفاؤها

واما السيدة عائدة وفيلاس فوج
فكانا سليمين لم يصابا بجرح خطير مع
انها قاتلا كالاسود الكاسرة بشجاعة وبأس
وبسالة وثبات

وكانت قارعة الطريق وجسر الخط
الحديدي ملتظين بالدماء وعليها جثث
القتلى المشوشة الوجوه مجندلة تحوم عليها
عقبان الغاب ووحوش الفلاة

وقد شق على المستر فوج فقد
خادمه باسبارتو وعظم عليه هذا الخطب

حتى هان عليه اخفاق الرحلة وفقد ثروته
فاطرق في الارض مفكراً بجاول اخفاء
ما به عن الفتاة عائدة لئلا تنوسم فيه قلقاً
فحكاه من جرائه عناء مرّاً وبينما هو على
هذه الحالة قبضت الفتاة على يديه وجذبتها
الى صدرها فغسلتها بماء مقلتها وقالت له
- وما بك جعلت فداك . فاجابها

- ليس لي صبر على فراق باسبارتو
الذي بذل حياته في سبيل انتاذا ناجيها
من مخالب اولئك القوم الاشقياء وقد
اخلى لي الخدعة في كل المدة التي قضائها
معي فلا بد من افراج كرتيه والسعي في
انتقاذه اذا كان عند السيوس اسيراً

وبعد ان فرغ من كلامه تقدم الى
فائد حامية كبير في الذي كان قد اتى
لتجديدهم بمائة جندي وقال له ان ثلاثة
منا اسرهم السيوس وعار علينا ان تتركهم
بين انياب هولاء الوحوش يتقلبون على
شوك القنادر ويجرعون كأس الذل
والخسف فالشرف والمروءة يقضيان علينا
باتخاذهم مها ترتب على ذلك من اراقة
الدماء وضياع الرجال والاموال وازد
انتاذهم فرض لا بد من وفائه ودين

القتال

وطالب فيكس من المسترفوج ان يلحق به ايضاً فشكره وكلفه بان يبق مرافقاً للقناة عائدة وان يعتني بشأنها اذا مات شهيداً في سبيل الدفاع عن الانسانية فشق على فيكس ان يفارق فوج لص البنك الذي تأثره من السويس ولكنه اجاب طلبه مضطراً فاطرق في الارض مصفراً الوجه من الخوف على حياته اذ يكون تعبته قد راح سدى .

ثم تقدم فوج الى القناة عائدة وسلمها جعبة السفر التي تحتوي على السفاتج وهز يدها هزة الوداع الى حين الاجتماع وسار بحملته الى حيث اراد ان يتخذ باسبارتو وكان قد سبق فوعد الجنود اللاحقة به ان يعطيهم جائزة الف ليرة اذا انقذوا الاشخاص المراد انقاذهم

وبعد ذهابه انفردت القناة عائدة في خجرة بالمحطة واستسلمت للغم متفاداً للعذاب شأن الواقع في البلاء الجسيم والخطب العظيم وكانت تتكرر بالمستر فوج وما طبع عليه من الشهامة وكرم النفس فيزداد حبها فيه وشغفها به ثم تقتل

لأمناس صاحب المروءة من قضائه ولاسيما ان الشاب باسبارتو بينهم وهو الفتى الذي انقذنا جميعنا من الهلاك فقال له القائد

— ليس لدينا قوة كافية للهجوم وليس من الحكمة ان تراق دماء خمسين رجلاً في سبيل انقاذ ثلاثة فقط

فحيثذ الفف فوج الى المحضور وقال لم

— اي حراً بفضل الموت على العار ولا يدع انصاره في حالتي اليأس والحمول فيلحق بي لتنجي رفقاءنا الذين لاشك انه قد مر عليهم الى الان من العبر ما هو جدير بان يكتب بالابر على امامي البصر وما اتم كلامه حتى اضطربت في رأس القائد شعلة المروءة فالتفت الى جنوده وقال لم

— من منكم يدافع عن الانسانية بحياته

فلباه خمسون جندياً بصوت واحد فاخار منهم ثلاثين وامرهم بالذهاب مع المسترفوج بقيادة قائد طاعن في السن ولكنه مدرب مروض الجسم في ميادين

كبرني وعندما تبين الركاب ذلك فرحوا
واذهبوا وسروراً لا مزيد عليه
وعند الساعة الثانية بعد ظهر اليوم
دنت الآلة البخارية من القطار فارتبطت
بها وأخذت في التأهب لجره فلاحظت
ذلك السيدة عائدة وأقبلت على السائق
تسأله

- متى يسافر القطار
- في الحال يا مولاي
- اتسمع لك شهادتك بترك المستر
فوج مع حملته في هذه القطار
- ان واجباتي تقضي عليّ بالسفر
ولا سباً بعد ان تأخر القطار ثلاث
ساعات عن ميعاده الميعين
- ومتى يمر من هنا غير هذا القطار
- في مساء الغد فتفضلني يا سيدي
- واركي القطار اذا كنت مسافراً
- لا لا اسافر لا اسافر
- وكان فيكس مصغياً لهذه المحاوره
وبعد ان كان شديد الرغبة في السفر
شعر بمحرك مجهول يدفعه نحو ركوب
القطار وينمعه من التقدم والخروج من
مكانه

من ذلك الى افتراض ان يفتك السيوس
به فتتند النار في مهجتها وتظلم الدنيا في
عينها وتزداد غمًا وعذاباً على غمها وعذابها
وعند الساعة الثانية بعد ظهر اليوم
بينما كان الثلج يتساقط على الارض اذ سمع
الركاب عن بعدٍ صغيراً آلة بخارية فوجهوا
الاذن نحو مصدر الصغير ثم اجالوا ابصارهم
في الفضاء فابصروا عن بعدٍ آلة بخارية
نشق البيداء قادمة اليهم على عجل
فوقفت على بعد عشرين ميلاً من محطة
كبرني

وحدث انه عندما استولى السيوس
على القطار كما تقدم الكلام وقبض رئيسهم
على الآلة التي تقوم انقطارات كان
المهندس والوقاد قد وقفا في مكانها
غائبين الرشد من شدة الضرب الذي ذاقاه
ولما فصل باسبارتو الآلة عن القطار
على ما مرّ بنا من الكلام ارتد السيوس
الى الوراء ونزل من كان منهم على الآلة
الى الارض لاحتين برقائهم ولما اطفئت
النار في الخلقين وقفت الآلة في وسط
الصماري ثم انه عندما افاق مهندسها
ووقادها من غشوتها عادا بها الى محطة

وبعد ان ثقلت الجرحى الى عربات
القطار وفي جلتهن الكولونل بركنور سار
القطار باسرع من لمح البصر وعادت السيدة
عائدة الى الحجرة المعدة لها بالمحطة فوقفت
امام نافذتها الزجاجية تنظر الى ما يمر بها
وتحسب كل من تراه في لباس فوج ولما
اقبل الليل ولم يعد اشتد فيها عامل
الاسى والاسف فاسترسلت للبكاء حتى
تفرحت منها الجفون ومن شدة ما استولى
عليها من الاضطراب سقطت على متكأ مكتبة
وبدلت شدة الحزن هيئتها وغيرت محاسن
خلتها وقد لبثت صائمة تصغي الى حليلة
الرجود وحركة تساقط الثلوج حتى بزغ
الصباح فخرجت الى رصيف المحطة تنظر
بينة وشالاً ولما لم تنظر المسترفوج عادت
الى حالتها من القلق والاكتئاب والخوف
والاضطراب

ويا غيماً كيف لا تذوب اشي على
منفذ حياتها من الموت ومثثلها من
افواه الهلاك

اما فيكن فبعد مبارحة القطار
للمحطة جلس على متكأ فيها لا يدي
حراكاً فاقد الرشد غائباً عن الحواس

لا يشعر بالبرد الفارس ولا تساقط الثلوج
وقد لبث في مكانه حتى صباح اليوم التالي
وكان قائد حامية كيرني قلقاً مضطرباً
على عدم اياب السرية التي ارسلها مع
المستر فوج وقد حار فيها بجريه هب
يشفعها بشرذمة اخرى من جنوده لتبحث
عنها لم يلبث متظراً ثم انه لما فرغ صبره
امر ضابط القلعة باستكشاف ناحية
الجنوب وبعد وقت يسير حضر الضابط
من موقع الاستكشاف واخبر ان فوج
عائد بالظفر والغنية

وبعد برهة يسيرة من الزمان وصل
فوج الى المحطة مصحوباً بالشاب باسبارتو
والاثنين الاخرين الذين اسرهم السيوس
وكانت الجيوش من حوله تنني على
بسالته وحسن تدريبه في الفنون العسكرية
وقد تقدم المجائزة حسب وعده

ولما بلغ فوج رصيف المحطة
تقدمت السيدة عائدة لاستقباله راقصة
فرحاً لا تدري كيف تعلن سرورها وتفصح
بسعادتها ولما وضعت يدها في يده وبادلته
الحية رأى منها ما كاد ينظفها بلسان
القاتل

حيث اريد وبها انني كنت في انتظارك
فماوفقت على كيفية سير تلك الآلة فاكثفت
بان اجيب ذاك الامركاني بقولي له ان
يجضر اليّ في هذا اليوم وهو يقطن كوخاً
لا يعد من هنا اكثر من عشرين خطوة
- وابن كوخه

- بالقرب من حصن كبير
فتوجه المسترفوج الى حيث الكوخ
ورأى الآلة فوجدها غاية في الاتقان
والانتظام فاكثرها من صاحبها بقدر
معلوم من الدنانير
وما ادراك ما هي هذه الآلة في بلاد
الامركان

هي مركبة ليس لها عجلات تسع من
ثمانية الى تسعة اشخاص تسير فوق الثلوج
بقوة الرياح باسرع من سير قطار
الاكسبرس . يقوم في مقدمها صارٍ طويل
مشدود بحبال معدنية ومعزز بدعائم
حديدية وفوقه قلع كبير مربع وفي مؤخرها
دفة على شبه المجذاف تستعمل لتسير
المركبة في الطريق المقصودة وفي جوفها
مناقب لحرق الثلوج وكثيراً ما تستعمل
في تلك الديار لنقل الركاب عندما ينزع

وحياتكم وحياتكم قسماً وفي
عمري بغير حياتكم لم احلف
لوان روحي في يدي ووهبتها
لمبشري بقدمكم لم اسرف

الفصل الحادي والثلاثون
في اهتمام البصاص فيكس بشأن
المستر فيلاس فوج
وكان وصول المسترفوج الى المحطة
بعد قيام الافطار منها بعشرين ساعة صرفها
في انقاذ باسبارتو من اسره وبينما كان
يبحث على وسيلة تمكن بواسطتها من
استئناف المسير ومتابعة السفر وتعويض
الوقت الذي فقده اقترب منه فيكس
وحلق في وجهه ثم سأله قائلاً
- من اللازم ان تبلغ نيويورك في
١١ الجاري لتتركب الباخرة المسافرة من
مرفائها الى ليفربول في الساعة التاسعة
مساءً

- ومن يمكنني من ذلك وقد صار
لديّ ضرباً مستحيلاً
- ان احد الامركان المدعوموخ
عرض عليّ بالاس آله تملني الى

تكاثف التلوج القطار من المسير
وقبل ان تسير المركبة في وسط تلك
القفار الشاسعة اراد المسترفوج ان يترك
السيدة عائدة تحت ملاحظة باسبارتو
فيقودها الى اوربا بدون ان تقاسي المشاق
التي يقاسيها هو فأبى الفتاة الافتراق
عنه ولومها عانت من المصاعب والاهوال
فسر باسبارتو باباءهما لذلك وعظمت في
عينيه

وعند الساعة الثامنة كانت المركبة
مستعدة للمسير فركبها المسافرون وجلس
سائتها امام الدفة وبعد فترة نشر لها
قلعين فقط فسارت بها سير البرق على
صفحات الافاق تقطع في الساعة مسافة
اربعين ميلاً. وإذا استمرت الريح تخدمها
ولم يطرأ عليها حادث غير متظر بلغت
لأحالة محطة اوماحا قبل قيام القطار
منها الى شيكاكو

وقد كان لصاحبها همة وفيه في
تسييرها ورغبة شديدة في البلوغ بها الى
اوماحا في الاجل الذي ضربه له فوج
حتى ينال الجائزة التي وعد بها علاوة على
الاجرة فلا عجب لذلك اذا رأينا ناشراً

جميع قلوها بقصد الاسراع في المسير
وليثت الريح تخدم سير المركبة وتنفع قلوها
الكثيرة بشدة حتى جعلت لمسيرها سرعة
يعجز عن وصفها اليراع ولا تضاهيها سرعة
الخار وقد قطعت اليد والقفار باسرع
من لمح البصر حتى إنه من فرط سرعتها
وشدة اهتزازها لم يستطع الركاب اثناء
الطريق ان يفوهوا ببنت شفة وعند الظهر
اقتربت من نهر بلات التجمد الذي
لا تبعد عنه محطة اوماحا سوى عشرين
ميلاً

وكان السائق قد علم بقرب الوصول
الى اوماحا ولكنه كتم ذلك عن الركاب
قصد ان يباغتهم السرور

وما حلت الساعة الواحدة بعد
الظهر حتى طوى السائق التلوج واوقف
مسير المركبة وهول الى الركاب فقال لم
- بشراكم بشراكم قد بلغت المارد ووصلتم
الى محطة اوماحا وها القطار على اهبه
المسير فاسرعوا بالنزول

فصيح الجميع باصوات السرور وقد
المسترفوج السائق اجرته والجائزة التي
وعدة بها وانطلقوا جميعاً الى القطار وما

مصاعب حتى تدميه اخرى كانه هو وحده
في الارض عدو للزمان

ولم يبق فيه سفر الباخرة شائنا ولم
يذر فقد ذهب ببقية امله وقطع رجاءه من
نجاح رحلته بعد ان كابد من اجلها المشاق
والآتاع ولما بلغ هذه الدرجة من سوء
الطالع عول على مكافحة نخسه بثبات لعله
يظفر به فواعجباء من يضيئون ذرعاً
ويفرغ صبرهم عند وقوعهم في احدى
التكبات ولا يشطون للتخلص منها كأنهم
لا يجدون لهم مخرجاً منها وهو داب الجبناء
الاغبياء

واخذ المسترفوج بخطر على رصيف
الميناء ويسأل كل من وجده عن ميعاد
سفره البواخر الى ليفربول رأساً في تلك
الليلة فلم يأتيه احد بالبناء الشافي لغليل
فوادء فانه لم يكن في المرفأء بواخر برسم
السفر رأساً الى ليفربول وإنما كان فيه
سفينة فرنسوية من شركة الترانساتلانتيك
على عزم ان تسافر في ١٤ دسمبر الى مياه
الهافر لا رأساً الى ليفربول ولوندره وكان
غيرها ايضاً سفن اخرى من شركات
متعددة عازمة ان تسافر ايضاً في الميعاد

ركبوه حتى قام وطار يطوي السهول
ويعد المسترفوج ورفقاءه ببلوغ المأمول
كأنه عالم بالضرورة القاضية على المستر
فوج بسرعة الوصول الى نيويورك

اما القطار فوصل في الساعة الرابعة
من مساء اليوم التالي اي عاشر دسمبر الى
محطة شيكاكو التي تبعد عن نيويورك
مسافة تسعمائة ميل وقد قام بعد برهة
من هذه المحطة فصار نحو نيويورك ووصل
اليها في حادي عشر الشهر المذكور عند
الساعة الحادية عشرة وربع من المساء اي
بعد قيام الباخرة شائنا الى ليفربول
بخمسة واربعين دقيقة

الفصل الثاني والثلاثون

مثل الفريق نجاء وافي ساحلاً
فاذا الاسود روابض بجواره
في كل يوم حادث جديد يلقي في
سبيل المسترفوج عقبات التأخير كأن
الايام آتت الا ان تضرب عليه حجاباً من
الموانع كثيفاً أو كأنها آلت على نفسها
ان تجعل له اليأس حليفاً فهو لا يداوي
جرحاً حتى تسيل جروح ولا يذال

ذاته الى المافر

وبعد ان سذر المستر فوج غور جيج
البواخر العازمة على السفر ولم يجد بينها
واحدة مسافرة على الفور قال في نفسه
شرُّ الصباح ولا خير المساء

دع التقادير تجري في اعتها
ولا تننَّ الا خائِيَّ البال

ما بين غمضة عين وانتباهتها
يغير الله من حال الى حال

وقد اكترى مركبة احتملة بن معه
الى فندق القديس تقولا . حيثما عدت لهم
فيه المبيت فنام المستر فوج تلك الليلة
مل جفنيه شأن من ليس لديه شغل
يشغل افكاره فيقذح لاجله زناد فكرته
اما السيدة عائدة والشاب باسبارتو فقد
صرفا الليلة بتمامها يقتلبان على حجر الارق
خافقي القلبين خامدي النفسين آسفين
على اخفاق رحلة المستر فوج

واليوم التالي كان يوم ١٢ دسمبر من
الساعة السابعة من صباحه حتى الساعة
الثامنة والدقيقة ٤٥ من مساء اليوم الثاني
والعشرين يبقى للمسترفوج تسعة ايام
وثلاث عشرة ساعة و٤٥ دقيقة من ايام

رحلته المعينة فلو سافر على الباخرة شانبا
لكان وصل الى لوندرة في الوقت المطلوب
وعند الصباح نهض المستر فوج
من رقادته واستدعى اليه باسبارتو فاخبره
بمخروجه واوصاه بملاحظة الفتاة وإيقاظها
من النوم وخرج من الفندق سائراً حتى
وصل الى شاطئ هيدسول فرأى السفن
والبواخر راسية في مياه هذا النهر بالقرب
من الرصيف وبينها باخرة تجارية تصاعد
الدخان من مدخنتها اشارة الى قرب
سفرها فتوجه اليها المستر فوج بسرعة لم
ينطلق بها احد من قبله وما وصل اليها
حتى انفرد من ربانها وكان رجلاً قد
ناهز الخمسين من سنه واسمه القبودان
اندر اوس سييدي دي كارديف واسم
باخرته . هارنجه . فسأله المستر فوج بقوله
الى اين انت مسافر بالباخرة

الى بورديو
كم ميل تقطع هذه الباخرة في
الساعة
من ١١ الى ١٢ ميلاً
انريد ان توجرنى اياها الى
ليفربول

— أربعة أشخاص

فلما سمع الريان لفظة التي ربال
عن كل راكب هاج فيه عامل الطمع
فأمرّ يده على جيبه شأن المتروى في
الامر ولما نيين جسامه الاكتساب بدون
ان يلحق بسفره تغير ما التفت الى المستر
فوج وقال له

— استعد للسفر في الساعة التاسعة
وكانت الساعة اذ ذاك ٨ ١/٢ فنزل
المستر فوج الى البر وسار في مركبته الى
فندق . القديس نقولا . فاحضر عليها
الفتاة عائدة والشاب باسبارتو والبصاص
فيكس الذي بات رفيقا لم غير مفارق
فوصلوا الى الباخرة في ميعاد سفرها
وعندما علم باسبارتو بالاجرة التي
يقدها مولاه عن كل راكب صعد زفير
التحسر والتأسف على المبالغ التي بذلت
بسببه ولكن فيكس كان شفيظ غيظا من
اسراف المستر فوج وتبذيره حرصا على
مصلحة بنك ائلكثرة لان مصاريف فوج
بلغت الى الآن فوق سبعة الاف ليرة
استرلينية

— ليس ذلك بإمكانني لاني مسافر
الى بوردو

— ولو هما دفعت لك من الاجرة
— نعم
— اذالم تردان تؤجرها فاني اشتريها
منك

— كيف ابيعها وهي باب رزقي
فحار المستر فوج في امره ولم ينفعه
الاسراف في هذه المرة ولا الدرهم الواضح
كما نفعه في كون كون فاكترى به السفينة
نانكادير

ثم قدح زناد فكرته في ايجاد الطريقة
التي تمكنه من استئجار الباخرة من ربالها
فخطر بباله ان يطلب من الريان ان
يقبله مع رفقاته الى بوردو فطلب ذلك
من الريان فاجابه بقوله

— ان باخري لا تحمل ركابا ولو
تدني الراكب مائي ربال

فقال فوج

— اني ادفع لك التي ربال عن
كل راكب اي عبارة عن ١٠٠٠٠ فرنك

فقال الريان

— وكم يبلغ عددكم

الفصل الثالث والثلاثون

وقد سافرت بالافاق حتى

رضيتُ من الغنية بالاياب
وبعد مرور ساعة من الزمان مرت
الباحرة بالسفينة البخارية الراسية في
مدخل البوغاز لارشاد البواخر والسفن
الشرعية الى طريق المرور فيه وتحولت
نحو نقطة ساندي هول الى ان اعتلت
ظهر الم فالتجهمت نحو الشرق بعد ان
اجازت طول الجزيرة التي تقذف المواد
النارية من براكينها وظلت سائرة في
عرض البحر تشق العباب وتخترق الامواج
حتى اقبل ظهر الغد الواقع في ١٢ دسمبر
فصعد الى سطحها رجل واستلم قيادتها
فحول سيرها الى نقطة يقصدها من سفره
وما ادراك من هو ذاك الرجل -
هو المستر فيلاس فوج الذي يتغني السفر
الى ليفربول على ظهر الباحرة هانترجه وما
مكنه رئيسها من مقصده فاستعمل
التخديعة والدسيسة في مدة الثلاثين
ساعة التي مضت على وجوده عليها حتى
استمال اليه خواطر ملاحيكها بالمالينة
وبذل الديار فبنوا طاعة ربانهم ظهورياً

وغدا لاوامره مطيعين طوع البنان فلما
تبين الرئيس منهم التمرد والعصيان
تمزق غيظاً وتركهم وشأنهم خوفاً من شرهم
وانزوى في حجرته كئيباً حزينا فعند
ذلك صعد المستر فوج الى ممشى الباحرة
يسوقها الى ليفربول بالسرعة المطلوبة

وسارت الباحرة لازمة حد الاعتدال
في سرعتها القانونية تقطع في الساعة
من ١١ الى ١٢ ميلاً وإذا لبثت الريح
خادمة لها ولم يحدث في البحر انواء ولم
تثر زوايع ورياح ولم يطرأ على الاتهام
تعطيل تصل بحول الله الى ليفربول في
٢١ دسمبر

ووقف باسبارتو على خديعة مولاه
فغبطه على افلاح مسعاه وانطلق سعيداً
فرحاً يمشي على سطح السفينة مرحاً ويخطر
بين نوبتيها مغم القلب هناءً وسروراً
فتحولت اليه انظارهم واباحوا له ان يتكلم
معه حتى امتزج بهم امتزاج الارواح
بالابدان وكان يقضي معظم الاوقات معهم
بالضحك والمزاح فيقص عليهم النوادر
الهزلية والقصص المضحكة مظهرًا لهم ما
لديه من العلم وما فيه من الذكاء بافصح

لسان واعذب بيان وكان في بعض
الاحيان يدير عليهم كؤوس المدام ويدعوهم
بارق الالفاظ حتى استسلم اليه بما فطر
عليه من حسن الاخلاق وطلاقة الوجه
ولين العريكة وقد كان الملاحون
يبدلون ما في وسعهم في سبيل تسبير
البخرة بنشر القلوع وشد الحبال ابتغاء
لمرضاة باسبارتو الذي تملك حبه قلوبهم
اما فيكس فكان جاهلاً للامر لا يدري
لقيادة فوج للبخرة سبياً ولا يعرف لاتياد
الملاحين لاوامره سرّاً والذي خيل له
والحالة هذه هوان المسترفوج كما تمكن
من سرقة ٥٥ الف ليرة من بنك انكلترة
تمكن الان من سرقة البخرة فاخذ
يقودها الى حيث يشاء ويريد فلما خطر

سبق المسترفوج فعلم في الليلة الماضية
من ميزان الهواء انه سيحدث تغيير في
الجو وتبدلاً في الرياح التي ما لبثت ان
هبت بين الشرق والمجنوب وبناء عليه
اشار الى النوتية بطي القلوع لئلا تلعب
بها الرياح فتقود السفينة الى حيث تشاء
وعندما هبت الرياح وثار الامواج
باشد هياج في ذلك البحر العجاج وقع
باسبارتو صريعاً يقاسي الم البحر والخوف
من فقد الحيوية وتأخر البخرة عن
الوصول في اليوم المعين فيحقق مسعى
مولاه ولا عجب اذا كان مكشئاً حزينا
مضطرب البال متقبض الصدر منفعل
النفس يروم للبخرة خروجاً من موقعها
الحرج

وفي الواقع ان البخرة كانت في
خطر شديد من الفرق لان الرياح
شدت عليها الوطأة والامواج ثارت
عليها بشدة فكانت ترفعها وتخفضها وتندفع
على سطحها وتقلبها تارة يمينا وطوراً اشألاً
وقد ابدى المسترفوج شجاعة كلية فاقمة
اذ لم يكب له جواد جهدي ولم يخفق له
قلوب ولم يضطرب له بال بل كان

ومرت البخرة في ثالث عشر دسمبر
بذيل كتيب من الرمال واقع في نقطة
غير جيدة من البحر المخناط بالارض
المجددة يكثر فيها هياج الامواج وتكاثف
الضباب خصوصاً في فصل الشتاء وقد

من الفحم على وشك النفاد ضرب اخماساً
لاسداس وانصرف عنه الالم الذي كان
معترياً اياه ثم اخذ يفكر في الفحم والسفينة
حتى تقابل مع فيكس فاطلعه على الامر
فقال له فيكس

- اتظن ان المسترفوج يسير بالباخرة

الى ليفربول

فاجابه باسبارتو

- لا بحالة

فهز فيكس كتفيه وطوى عنه كتيهاً

بعد ان قال له

- يالك من الله مغرور

(عودت الى فوج) اما المسترفوج فكان

واقفاً على سطح الباخرة يفكر في الوصول

الى طريقته تضمن للسفينة اطراد السير

وبعد استغراق بضع ساعات في التأمل

استدعى بالمهندس الذي حالما امتثل

بين يديه تلقى منه التعليمات اللازمة وعاد

الى مكان الآلة فاشعل الفحم في جميع

خلايقها فصعد من المدخنة دخان كثيف

حجب وجه السماء عن الابصار وبعد مضي

يومين سارت بها السفينة بسرعة لا توصف

نفد منها الفحم فاقبل المهندس على المستر

واقفاً يلقي الاوامر الى مهندس الآلة
والامهازات الى ملاحي السفينة بدون ان
يعباء بالمخطر الذي يبعده والشدة التي
كان فيها وبدون ان يطلب من السماء
تفريج الكربة الدهاء

واستمرت الحالة على ما تقدم الى ان

اقبل اليوم السادس عشر من شهر ديسمبر

وكان هذا اليوم هو اليوم الخامس والسبعون

من مبارحة المسترفوج لمدينة لوندرة ففي

غضونه صعد مهندس الباخرة الى ظهرها

وتقابل مع المسترفوج ودار بينهما الحديث

وطال فما وعى منه باسبارتو غير الكلام

الآتي

فوج . هل تاكد لديك ان الباخرة

تقدمت كثيراً في سيرها

المهندس . اني على يقين مما قلت

لانا اوقدنا النار في جميع خلايقها ولذلك

فالشم اوشك ان ينتهي لانه لم يكن في

سابق علمنا ان الباخرة ستقلع الى ليفربول

ومن ثم لم نذخرها المؤنة الكافية لابلغها

الى بورودو فقط

فوج . ساندبر الامر

ولما عرف باسبارتو ان مؤنة السفينة

السلم وبالسلة الحجم ان لا تكلمني في مثل
هذا الشأن فكيف اسمح لك باحراق
باخرتي وهي باب رزقي وقد كلفني من
النقات خمسين الف ريال

فوج ٠ مديك فيها ٦٠ الف ريال
(٣٠٠٠٠ فرنك) ثمنها وما عدا ذلك
فاني عندما اصل الى ليفربول اهيك
الآلة البخارية وحديد السفينة وسائر ما
يغجو فيها من الحريق ولا تعين من
اسرافي فللضرورة احكام لا بد من الرضوخ
اليها والحالة تضطرني ان اكون في ٢١
دسمبر عند الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥
ليلاً في لوندريه واذا اخطأت هذا الميعاد
اخسر مبلغ عشرين الف ليره

فتناول الامركاني السفائح بيده وخمدت
في قلبه نار الغضب المستعرة وابتهج بحياه
وابتم ثغره وطفق يحسب قيم السفائح
وبعد ذلك دسها في جيبه ولا تسلم
عن البصاص فيكس فانه عندما رأى
الامركاني يعد قدراً عظيماً من السفائح
اصبح كمن اصاحه جنة وتأجج فواده بنار
الغضب والخط على فوج الذي كان
يئذل الدينار من غير حساب

فوج يقول له قد نفذ الفحم فاعمل
فاجابه : ضع ثقلاً على لولب الآلة ولا
تخفف النار بل انتظر امامها حتى يأتيك
ما توقده قال هذا واستدعى في الحال
بمخادمه باسبارتو وأشار اليه باحضار
الربان سيدي فذهب الى حجرة الربان
لاستدعائه رغماً عن ارادته لانه لم يكن
بجهل غيظه وحنقه على مولاه وفي الواقع
ان الربان كان مستشيطاً غيظاً فخرج
من حجرتة لمقابلة المستر فوج كئيد خارج
من مريضه او كصاعقة قريية الانفجار
ثم خاطب المستر فوج عن بعد
بجدة ومقت وقال له :

— اين نحن

فاجابه فوج

— نحن في نقطة تبعد عن ليفربول

مسافة مائة وسبعين ميلاً

الربان : وماذا تريد مني اذا كان
لك دراية تامة في فن البحر ولماذا استدعيتني
اليك

فوج : اريد منك ان تبيني هذه
الباحرة لاحرقها لان الفحم فرغ منا
الربان : يا الجنون استخلفك بملائكة

من كينستاون في الساعة الواحدة ونصف
من الصباح فسار بهم الى دوبلين ومنها
ركبوا باخرة صغيرة فوصلوا الى ليفربول
في ٢١ ديسمبر عند الظهر

وما وطئوا ارض ليفربول حتى تقدم
فيكس الى المستر فوج ووضع يده على
كفنه وقبض في يده الاخرى على الامر
الذي تلقاه من لوندرو بتوقيفه وقال له
- انت المستر فوج بشخصك

- نعم

- اني التي قبض عليك باسم
جلالة الملكة

الفصل الرابع والثلاثون

ومازلت اقطع عرض البلا
د من المشرقين الى المغربين
وادرع الخوف تحت الدجى
واستصحب النسر والفرقد
واطوي واشر ثوب الهمو

م الى ان رجعت بخفي حنين
ولا قبض على المستر فوج ادخل
الى احدى غرف سراي الجيمرك في ليفربول
على عزم ابقائه فيها مسجوناً الى ان تر

وبعد ان قبض الريان سيدي
ثن باخرته صار المستر فوج حراً بان
يصرف فيها كيف شاء وبناء عليه امر
بتكسير اخشاب الغرف وسطح السفينة
وتقديمها للنار فاجتمعوا للهب عاجلاً وفي
تاسع عشر ديسمبر قدموا للنار الصواري
وخشب العنابر وقوارب السفينة وكان
الملاحون يوقدون الاخشاب باجتهاد
وباسبارتو يكسر القطع الكبيرة الضخمة
وفي العشرين من شهر ديسمبر نفذت
اخشاب السفينة وما بقي فيها سوى الصاج
والحديد والآلة الا انها كانت قد اشرفت
على مدينة كينستاون من اعمال ارنلده
فساقها المستر فوج نحو المرفأ فدخلته
سائلة فخرج منها مع رفقائه الى البر وقد
ودع الريان سيدي وقد التوية
والوقادين والمهندسين الجوائز التي
وعدم بها

وما نزل المستر فوج الى الارض مع
رفقائه حتى اخذ فيكس بتدبير الحيلة في
انقبض عليه ولكنه استعجب ذلك بالنظر
الى ما عامله به فوج من المعروف
والاحسان ثم ساروا جميعاً فركبوا القطار

ست ساعات في الذهاب من ليفربول
الى لوندريه ويستريح في داره الكائنة في
شارع سافيل الى حلول الوقت الذي
عينه لوجوده في الغلوب وبعد ان اصبح
على يقين من نجاح رحلته العجيبة التي
شهد فيها الاهوال ولقي المصاعب وذل
العقبات امسى في حالة اليأس لان
فشله يجلب عليه العار والشنار وخراب
الدار فانه يتقد قيمة الرهان ويصير مضغة
في فم الزمان ويدوق طعم الذل والهوان
ويقاسي الم القتر المدقع وبعد ان دخل
الى سجنه جلس على متكائه فيه ووضع
ساعته على مائدة امامه فنظر الى حركة
عقربها بدون ان يفوه بينت شفة او
تبدو على وجهه علام القلق والاضطراب
والغم والاكتئاب وبعد ان اغلق عليه
باب سجنه اتقبض منه الصدر وتأجج في
فواده سعي الغضب فكان ينهض من
مكانه ويمشي في الحجرة طلباً لمخرج يهون
له سبيل الفرار فيلقى على المنافذ قضباناً
حديدية تخطر عليه الخروج ويثني الباب
متيناً لا يستطيع كسره فيعود ويجلس في
مكانه ويخرج من جيبه دفتر رحلته

الاولى بقله الى لوندريه وعندما كان
البصاص فيكس يلقى القبض عليه ثم
باسبارتو على الفتك به فردعه الشرط
بالتهديد والوعيد اما السيدة عائدة فكانت
واقفة موقف المذهل إجماع ولما اطلعها
باسبارتو على كنه المحالة تمزق فوادها اسفاً
على متعتها المستر فوج ولما رأت نفسها
عاجزة عن اتقائه جعلت دأبها النوح
والبكاء

وكان باسبارتو يلوم نفسه اشد اللوم
لكمائه عن مولاه امر فيكس فكان يقول
في نفسه لو انذرت مولاي بالامر وبجت
له بالسرماء عدم وسيلة من اتناع البصاص
ببرأته وعلو مكائته وترفعه عن التهمة التي
بوجهها عليه ولكن ماذا ينفع الندم وقد
سبق السيف العذل

وجلس باسبارتو مع السيدة عائدة
على مقعد تحت رواقٍ مستهدفٍ للريح
الباردة والبرد القارس

وكان وصول فوج الى مدينة ليفربول
في الساعة الحادية عشرة والدقيقة ٤٠ من
يوم ٢١ ديسمبر اي قبل انتهاء مدة رحلته
بسبع ساعات و٤٥ دقيقة يصرف منها

فيقرأ السطور الآتية

(٢١ ديسمبر) ٠ (السبت) (ليفربول)

(٨٠ يومًا) ٠ (الساعة ١١) (والدقيقة

٤٠ صباحًا)

ثم أعلن جرس ساعة الكمرك ان
الوقت بلغ الساعة الاولى من بعد ظهر
النهار فنظر المستر فوج الى ساعته فوجد
فيها تأخيرًا يبلغ زهاء الدقيقتين فافترض
حينئذ انه اذا ركب الاكسبريس القائم
في الساعة الثانية يصل الى لوندرة
ويبلغ غرفة القلوب قبل الساعة الثامنة
وعند الساعة الثانية والدقيقة ٢٢

سمع ضوضاء ثم صرير ابواب نفخ ثم صوت
باسبارتو ثم صراخ فيكس فنظر الى باب
السجن فرآه مفتوحًا والسيدة عائدة داخلة
منه ركضًا فاقتربت منه وقبضت على يديه
وورعها باسبارتو فتوجه معها فوج الى
الباب فرأى البصاص فيكس مرخي شعور
الرأس غائبًا عن الحواس فلما رأى فوج
اطرق في الارض خجلًا منه وقال له
بصوت متلعج

عفوًا... عفوًا... يا مولاي... فيك
تشابه كلي... وقد قبض على اللص منذ

ثلاثة ايام... وانت مطلق السبيل

فحملت فوج في وجهه واندفع نحوه
فلطمه لطة كادت تكون القاضية فقال
له باسبارتو

— عافاك الله يا سيدي وحيّاك لا
شلت يداك ولا اثمت بك اعداك اوسع
هذا اللثيم ضربًا فبالحقبة يا مولاي
اذا انت اكرمت الكرم ملكته

وان انت اكرمت اللثيم تمردا
فوضع الندى في موضع السيف بالعدى

مضرًا كوضع السيف في موضع الندى
وبعد ذلك انطلق فوج بالسيدة

عائدة والشاب باسبارتو الى محطة ليفربول
فاستخبر عن ميعاد قيام الاكسبريس فقبل
له انه قام منذ ٢٥ دقيقة فطلب من

وكيل المحطة قطارًا مخصوصًا فاعد له
قطارًا عند الساعة الثالثة (بعد ان

خلت السكة من القطارات الاعيادية)
فركبه مع رفيقه (بعد ان انفرد بالمهندس

وروعه بجائزة تقديده اذا طار بالقطار الى
لوندرة) وسار بهم وفي ظرف خمس ساعات

ونصف ساعة اوصلهم الى لوندرة
ولما خرج رجل الرحلة من العربى مع

السيدة عائدة وخادمه ووطشوا محطة لوندرة
دقت الساعة ثمانى دقائق والدقيقة ٥٠
في انحاء لوندرة فكان تأخره عن الزمان
الذي حددته في صك الرهان خمس
دقائق فيكون اذن قد خسر الرهان

الفصل الخامس والثلاثون

كيف ان باسبارتو نفذ امر مولاه عاجلاً
لوعلم سكان شارع سافيل باباب
المستر فوج لاخذهم العجب وكيف يعلمون
بذلك وما رأوا فوج وما تبينوا في منزله
تغيراً من حيث فتح الشبابيك والابواب
وعندما بارح المستر فوج محطة لوندرة
اتجه نحو منزله بالسيدة عائدة وامر باسبارتو
بان يذهب الى السوق لابتياح بعض
الحوائج واي يراع يمكنه ان يأتي بوصف
حالة فوج عند عودته الى منزله فوان
يكن لم تبد على وجهه علام القلق
والاضطراب والغم والاكتئاب ولكنه كان
عائداً لاشك بخفي حزين لاخفاق مسعاه
بعد ان جاب الافاق وذلل المصاعب
واقحم الاهوال واصطنع اثناء طريقه
المبرات وبعد ان كان على وشك الوصول

الى المرام فعاقه عن كل ذلك من احسن
اليه وهو ذاك البصيص الذي قبض
عليه بصفة لص مجرم

ومن يعلم ان المستر فوج اصبح فقيراً
ولا يتأسف عليه لان المبالغ التي احملها
معه في رحلته وكان قد انفقها لم يبق
منها سوى النزر اليسير ومبلغ العشرين
الف ليرة الموضوع في بنك بارين اخوان
قد فقده الان وامسى ملكاً لرفاقه الذي
عقد معهم صك الرهان على الطواف
حول الارض في ثمانين يوماً

وقد تخصصت حجرة للسيدة عائدة
في بيت سافيل فدخلتها حزينة وانزوت
فيها مكتئة قلقة البال على حالة المستر
فوج الذي ربما جره القنوط كما جبر
غيره من ابنا جلده الى ما لا تحسن
عاقبته واما باسبارتو فحالما صعد الى غرفته
اطفاً نور الغاز الذي كان قد تركه
موقداً منذ ليلة الرحلة وقد وجد في
صندوق الخطابات المعلق في حائط بيت
سافيل بيان لثمن الغاز الموقود محرر من
قبل شركة الغاز في لوندرة
ومرّ الليل عليهم جميعاً وهم على ارجل

وانظر الي واجباتك

فخرج وانطلق الى حجرة السيدة عائدة
فالفاهها على حالة من اقلق والكمد
لا توصف فقال لها

- مولائي اذهبي غير مأمورة عند
مولاي واغذيه من عذاب الضجر والبأس
تحلي لة في مظهر الجبال فانت بهجة الانظار
وفتنة الافكار وانت لاتعدين وسيلة
في تسلية خاطره وتفريج كربه

فاجابه عائدة بقولها

- وكيف اظهر لة بهيئة الغم والكمد
العه مرتاب في صدق ولائي وفرط
ثنائي على ما عاملني به من المعروف
والاحسان واني ارى من الصواب ان
البث متربصة الى المساء فانه سيجتمع لي
حسب قولك للمفاوضة معي

وكان يلوح في ذلك اليوم على
بيت ساقيل علائم الاستيماش ومنذ ان
سكنه المسترفوج لم يلبث فيه محجوباً عن
اعين الناس النهار بطوله الا في ذلك
اليوم وباعجياه فالي اين يذهب . آلى
الغلوب ان رقاءه ليسوا بانتظاره لانه لم
يحضر اليهم في الليلة المعينة حسب وعده

وسهاد وعند الصباح فرع المسترفوج
جرس الاستدعاء لحاضمه باسبارنو وامره
باعداد الطعام للسيدة عائدة وان يعد لة
كاساً من المشاي وقطعة من اللحم وقضى
النهار بجماله وهو يشتغل بترتيب بعض
اشغاله وعند المساء طلب من السيدة
عائدة ان يتفاوض معها بعض دقائق
وكان طلبه لها بواسطة باسبارنو

وقضى باسبارنو النهار بطوله مستسلماً
للغم مثلاً للخزن شأن من عرف خطاه
فاقر بذنيه ثم عض اصابع الندم على
عدم احتياط مولاه بمكنونات ضمير البصاح
فيكس وما كان ينويه لة من الاذى
والغدر بالتقبض عليه متى سخط لة
الفرصة ومن عظم ما كان يبكت به ضميره
هام في اودية التأمل ثم نهض وذهب الى
حجرة مولاه وانطرح على قدميه قائلاً لة
بصوت متهدج

- مولاي مولاي انا السبب في
غلك وكربتك وبلواك وحزرك وو...
فاستوقفة المسترفوج عن الحدوث واجابه
بل الرصانة

- لالوم عليك ولا تتريب فاذهب

تبعثي بها ناعمة البال بما اضعه بين
يديك من المال اما الان وقد اصبحت
فقيراً فاسمعي لي ان اقي اليك ما بقي
عندي من النقود الى ان يمن الله عليك
بالفرج وقد بلغت الان دياراً تأمين
فيها شراؤلك الهنود الذين كانوا عازمين
ان يبتوك شرمية

فاجابته عائدة بقولها

— صدقت يا مولاي فاني لا انكر
لك فضلاً ولا اكفر باحسانك
فلا شكرنك ما حييت وان امت
فلشكرنك اعظمي تحت النوى
ولكن يا مولاي قل لي ناشدتك الله ما
سيؤول اليه امرك
— ساعيش بسروري وهناء وسعادة
وصفاً

— ابن اصدقاؤك واقرباؤك
بفرجون كرتك

— ليس لي احد غير الله

— اي وخالق الحب والنوى وقالق
الحب والنوى ان الموت لاهون علي من
الحياة مبتعدة عنك ولا يطيب لي العيش
في بعدك فهلاً تجود علي يا منية فوادي

ام الى بنك بارين اخوان فان العشرين
الف ليرة المطلوبة لهُ منهم قد فقدها بقصد
الرهان فالاجدر به والحالة هذه ان
يلبث في منزله منتظراً فرج الله العاجل
وكان باسبارتو اثناء ذلك النهار
يصعد السلم وينزلها مرة بعد اخرى ثم
يذهب الى غرفة مولاه فيجدها مغلقة فيعود
الى حجراته ثم يخرج منها ذاهباً الى غرفة
مولاه ايضاً فينظر الى ما داخلها من ثقب
قل الباب ليري مولاه كأنه تصور ان
تلك الحالة ربما افضت بالمستر فوج الى
القنوط من الحيوة وقد خطر له ايضاً ان
يتم من البصاص فيكس غير انه بعد
التروي والامعان علم ان فيكس لم يحين
عليه ذنباً فانه قام بواجب وظيفته ولو
انه اخطأ المرى

وعند الساعة السابعة ونصف من
المساء استأذن فيلاس فوج الدخول
الى غرفة السيدة عائدة فدخل حجرتها
وجلس على كرسي بالقرب منها وبعد
سكوت استمر مدة خمس دقائق قال لها
— ارعني الجمع يا مولاي . قد اتيت
بك هذه الدবার الانكليزية على امل ان

صامويل

الفصل السادس والثلاثون

كيف ان سوق فيلاس فوج
استأنف رواجه في لوندرة

واخلفت الاقوال وتباينت الاراء
في شأن جامس ستراند الذي أُلقي
القبض عليه في سابع عشر ديسمبر
لارتكابه سرقة بنك انكلترة وقد ذاع
خبر جنائيه في جميع الولايات المتحدة
فرمته الاسنة باسم الملام وعنفته بامر
الكلام

وقد كان المستر فوج منذ ثلاثة
ايام مأخوذاً بصفة لص مجرم يقفني
اثرة رجال الحكومة للقبض عليه واما
الان فقد حصص الحق وظهرت برأته
وعلم انه كان يتم رحلته حول الارض
بأكمل دقة وضبط اخذت اقلام ارباب
المجرائد تخوض في بيان الامر حتى شغلت
سكان لوندرة فاخذ القوم يستأنفون عقد
الرهان بحيث انحصرت الاشغال في
مسألة الطواف حول الارض
اما رفقائه الخمسة اعضاء الغلوب

وتغذي زوجة لك

فأثر هذا الكلام في فواد المسترفوج
ثم نظر الى وجهها نظرة الحب وقال لها
بأدب واحشام

— اني احبك حباً فائق الوصف

ثم استدعى اليه بخادمه باسبارتو
وكانت الفتاة قد قبضت على يديه وضمتها
الى صدرها فنظر اليها نظر الواله غملاً
بجمرة الوجد وبينما هما على هذه الحالة اذ
دخل عليهما باسبارتو ولما رآها في حالة
السرور استنار وجهه كالشمس حينما تبرز
من دائرة الانقلاب فقال له مولاه

— الم يفت الوقت على استدعاء الاب

صامويل ويلسون من كنيسة السيدة

فتبسم باسبارتو وقال له

— لا لم يفت الوقت وما الساعة

الان الا ٨ وه دقائق

فالوفق ان تخطر القسيس منذ اليوم

ليستعد للحضور باكراً يوم الاثنين

فالتفت فوج الى الفتاة وقال لها

— موعد اللقاء بيننا غداً فقالت له

— اصب

ثم خرج باسبارتو ليخطر حضرة الاب

فوج حتى ضاقت بهم فمحات الطرقات
واتنصب بينهم ميزان الجدل وخصوصاً
الماسرة منهم وقد احدم بينهم الجدل
حتى علت الضوضاء تنشق كبد الفضاء
وقد خيف بسبب الازدحام من حدوث
امور مخلة بالراحة العمومية فدخلت الشرطة
وحاولت منع الازدحام فلم تفلح . وكانت
الجمهير الغفيرة تزداد تجمعاً حول الغلوب
كلما اشتد تداني الوقت المعين واجتمع في
نلك الليلة منذ الساعة السادسة في قاعة
الغلوب حضرات المتراهنين يوحنا جلليغان
وصاموئيل فالتين واندر اوس ستوار
وجونيه رالف (مدير البنك المسروق)
ونوما فلانا جان وعندما نهت ساعة
الغلوب ان قد انقضت الساعة الثامنة
والدقيقة ٢٥ قام اندراوس ستوار وقال
— سادتي لم يبق للمسترف فوج الا
٢٠ دقيقة

فسأل توما فلانا جان عن الوقت
الذي وصل فيه اخر قطار قام من
ليفربول فاجابه جوتيه رولف ان قد
ورد قطار في الساعة السابعة والدقيقة ٢٣
وسيخضر قطار آخر عند منتصف الليل

فقد قضوا الثلاثة الايام التي مرت من
تاريخ القبض على لص البنك جامس
ستراندي في قلعي واضطراب وكانوا يوقعون
عود فيلاس فوج اليهم بنافذ الصبر
مسترسلين في الظنون والتخمين فيما اذا
كان قد عدل عن عزمه ام مات في
الطريق ام سيعود اليهم في المحادي
والعشرين من ديسمبر في الساعة الثامنة
والدقيقة ٤٥ من المساء

ولما لم يتفوا له على اثر بعثوا بالرسائل
البوقية الي امركا واسيا يستطلعون اخباره
وكانوا يتفقدون صباحاً ومساءً منزله في
شارع سافيل لعله يكون قد آب اليه
وبعثون على البصاص فيكس الذي
اخطأ المرمى فاقفوا له على خبر

ولذلك ثبتت الايدي تعقد صكوك
الرهان اعتقاد ان المسترف فوج فارس ذلك
الميدان لا يصل الا في اخر دقيقة ولكن
اوراقه انخفضت الى عشرين وعشرة وخمسة
غير ان الشيخ الكسج اللورد البرمال كان
يشترى اوراق فوج بقبعتها الاصلية

وما اقبل مساء السبت حتى تقاطرت
الناس نحو الغلوب يتظرون اباب المستر

الف جنبه فاجاب جويته رولف : لقد
اصبت فيما قلت وما علينا سوى ان تقدم
طرس المحوالة الكائن في يدنا للخوارج
بارين اخوان وتقبض بمقتضاء العشرين
الف جنبه

وما اتم كلامه حتى دقت الساعة ٨
والدقيقة ٤٠ فقال ستوار : لم يبق للمستر
فوج سوى خمس دقائق . فتبادل حبشدر
هؤلاء الاعضاء النظرات وكانت قلوبهم
تخفق كأنها تنذرهم بخسارة الرهن . وقد
عرض عليهم فالتين ان يجلسوا ازاء
مائدة ويلعبوا . الويست ، فقال ستوار
وهو آخذ في الجلوس ازاء المائدة اني لا
اتنازل من حصتي (٤٠٠٠ جنبه) عن
بارة واحدة وحبشدر اشارت الساعة الى
الساعة ٨ والدقيقة ٤٢ فتناولوا الورق
ثم اخذوا يتبادلون النظرات من آن الى
آن . وعند الساعة الثامنة والدقيقة ٤٣
قطع فاناجان الورق ودفعه الى رالف
ولم يسد السكوت دقيقة واحدة في قاعة
الاجتماع حتى علت ضوضاء في الخارج
وعند الساعة الثامنة والدقيقة ٤٤ صرخ
هيليفان باعلى صوته قائلاً . لم يبق الا

فقال ستوار : لو حضر المستر فوج على
فطار الساعة السابعة والدقيقة ٢٢ لكان
وصل الينا فوالحالة هذه صار يمكننا الان
ان نوقن باكتساب الرهن فاجابه فالتين
ان صاحبنا محب للضبط فربما يند علينا
في الثانية الاخيرة من الوقت . العين فقال
ستوار اني لا اصدق ولو نظرتة بعيني فقال
فلاناجان في الواقع ان مهمة المستر فوج
لا يقبلها عقل فهو ان كان محباً للضبط فلا
يمكنه ان يتجنب تأخير يومين او ثلاثة وهذا
يكفي لاختناق مسعاه فقال سيلفان ان
الطريق التي سار فيها مخاطة بالاسلاك
البرقية ومع ذلك لم يرد الينا منه اقل
نباء فاجاب ستوار بصوت عال قائلاً
سادتي ان المستر فوج قد خسر الرهن
واعلموا ان اسمه غير مرقوم في كشف
الركاب الذين حضروا الى ليفربول على
الباحرة شانبا واظن (لا بل اؤكد لكم)
انه اذا ساعده الطالع يكون الارز قد
حضر الى امركا وسيكون تأخيرها لا اقل
من عشرين يوماً فبناء عليه نكون قد
ربحنا خمسة الاف جنبه التي راها علينا
اللورد البرمال وذلك علاوة على العشرين

ثم خرج من لدنه فرحاً مكشوف الرأس
وسار في الطريق مسرعاً يهتف الأرض
ركضاً حتى أنه عاد في برهة ثلاث دقائق
إلى مولاه ضنكاً من التعب لا يستطيع
كلاماً فسقط إلى الأرض أمامه فقال له
فوج

- ماذا ألم بك

فاجابه متلججاً بقوله

- مولاي... الزفاف... غير ممكن..

- ولماذا

- لأن يوم الغد هو يوم الأحد لا

الاثنين فقم... فقم... واسرع..

- الأحد... اصدقني وافهم ما أقول

- أجل... الأحد... يا مولاي..

انت على غلط في يوم واحد فاننا وصلنا

إلى هنا قبل الميعاد المعين بأربع وعشرين

ساعة. وإن شئت لك الله بأن تقوم وتذهب

إلى الغلوب إذ ليس لديك من وقتٍ

للمجدال والاستفهام فاذهب غير مأمور إلى

قاعة الغلوب فإنه لم يبق لك سوى

عشر دقائق

فنهض فيلاس لساعته وخرج من

منزله فاستدعى بأحد ساقه العربات

دقيقة واحدة فامسك رفقاءه عن اللعب
وشخصوا إلى عقرب الساعة. وعند الساعة
الثامنة والدقيقة ٤٤ والثانية ٥٥ سمعوا
أصوات ابتهاج فيما خارج الغلوب.
وتصفيق استحسن فنهض اللاعبون
للوقوف على الخبر وما دنت الساعة الثامنة
والدقيقة ٤٥ حتى فتح باب القاعة ودخل
منه فيلاس فوج قائلاً لم بصوت هادٍ
ها أنا ذا

الفصل السابع والثلاثون

كيف أن فيلاس فوج لم يكسب
من الرهن سوى الشرف

مر بنا الكلام على وصول المسترفوج
إلى مدينة لوندرة وكيف أنه استدعى بخادمه
باسبارتو (بعد أن صرف في منزله بشارع
سافيل نحواً من خمس وعشرين ساعة)
وأمره بالتوجه إلى منزل الأب صاموئيل
وإلسون ليحضر إليه في الغد ويكتب له
عقد الزواج على السيدة عائدة. فذهب
باسبارتو إلى منزل الأب المذكور فترى
العين مسروراً وبعد أن انتظره في منزله
نحواً من عشرين دقيقة تفاوض معه قليلاً

ووعده بجائزة قدرها ١٠٠ ليرة اذا اوصله الى الغلوب في مدى عشر دقائق فاطلق السائق للخيول العنان فطارت بالعربة الى الغلوب واوصلت المسترفوج اليه في الاجل الذي ضربه للسائق والدقيقة التي يروم الوصول بها الى القاعة وبناء عليه كسب الرهن وهنا محل للعجب كيف ان هذا الرجل المحب للضبط المتروكي في الامور يرتكب خطأ بحساب يوم واحد ولا يميز بين ايام الاسبوع بحيث لا يفرق بين الخميس والجمعة وبين السبت والاحد

على اننا اذا نظرنا الى هذا الخطاء عرفنا الاسباب التي نشأ عنها وهي في حد نفسها بسيطة جداً

فمن المعلوم لدينا ان المسترفوج شرع في الطواف حول الارض من جهة الشرق سائراً امام الشمس ومن المعلوم ايضاً ان للكرة الارضية ثلثمائة وستين درجة ففي اجنباز كل درجة يتقص من ساعات النهار اربع دقائق واذا ضربنا الثلثائة والستين درجة في اربع دقائق كان الحاصل اربعاً وعشرين ساعة وهذه

صورة العمل

٤٦٠ درجة

٤ دقائق

١٤٤٠ الحاصل

فحاصل الدقائق ١٤٤٠ وهاك تحويلهم الى ساعات

ساعات دقائق

٦٠ ١٤٤٠

٢٤ ١٢

٢٤

٢٤

فحاصل القسمة ٢٤ ساعة

اما المسترفوج في سيره نحو الشرق فقد رأى الشمس مرت ثمانين مرة في دائرة النصف مع ان رفقاءه في لوندرة رأوها مرت في تلك المدة تسعاً وسبعين مرة فمن هنا نخرج للمسترفوج ربح يوم واحد وهو اليوم الذي نحن في صده وبعكس ذلك لو طاف حول الارض من الغرب لحصل لديه زيادة يوم واحد على الثمانين يوماً

وقد كسب المسترفوج بذلك قيمة

الرهن ولكنه كان قد تكبد من النقثات
اثناء الطريق مبلغ تسعة عشر ألف ليرة
وبما أنه كان يقصد بطوافه نيل الشرف
لا اكتساب المال فقد وزع الألف ليرة
الباقية على خادمه بأسبارتو والمنكود المحظ
فيكس ومن أخلاقه الشاذة وطباعه
الغريبة أنه خصم من حصه بأسبارتوثن
الغاز الذي بقي موقداً في غرفته أيام الرحلة
وبعد أن عاد من القلوب فائزاً
بأمنيته حاصلاً على بغيته باكتساب الرهن
أنفرد بالسيدة عائدة وقال لها

— هل أنت مستمرة على عزمك من
حيث الزواج
فاجابة عائدة

— مولاي كان الأجدر بي أن أوجه
إليك هذا السؤال الذي وجهته اليّ
لأنك عندما قبلت أن تقترن بي كنت
فقيراً أما الآن فقد صرت بمحمد الله غنياً
فقال لها فوج

— صدقت أيتها الحبيبة المفضلة
بالروح ولكن أنت التي أخذتني من الفقر
المدفع ساعة حدثني بامر الزواج فارسلت
خادمي إلى الأب صاموئيل فعاد وإزاح

الحجاب عن خطائي فلما سمعت عائدة هذا
الكلام أخذت تدعوه بالطف اسماء المحبين
وهو يجيبها بأعذب الفاظ العاشقين كيف
لا وقد عزمنا أن يرتبطا برابطة الزواج
بعد ثمانين وأربعين ساعة ويكون بأسبارتو
شاهداً عليهما لأنه هو الذي أتمم الفناء
من الحريق ومولاه من الفقر والاعواز
وفي غلس اليوم التالي نهض بأسبارتو
من رفاذه وأتى حجرة المسترفوج فابتعظه
من نومه وقال له

— مولاي قد اكتشفت الآن على
امرهم
— وما هو

— هو أنه في إمكاننا أن نطوف
حول الأرض في تسعة وسبعين يوماً فقط
— نعم يا بني ولكن إذا لم تقطع صحارى
الهند ولو لم تقطعها لما كنا أقدنا السيدة
عائدة من الهلاك ولما صارت زوجة لي
قال هذا وأغلق عليه باب حجراته
بكل هدوء وسكينة

وخلاصة القول أن المسترفيلاس فوج
طاف حول الأرض في ثمانين يوماً ولم
يقف على وسيلة إلا استخدمها في تذليل

العوائق وتسهل سبل الانتقال من
 مكان الى مكان فقد ركب البحار على اجمحة
 البخار وقطع الفيافي والقفار على القطارات
 الحديدية والمركبات والعربات والافعال
 واظهر كل ما فطر عليه من غرائب
 الاخلاق وشدة التأني واحكام الدقة
 والضبط ومع ذلك فما الذي رجمه في
 رحلته وما هي الفائدة التي عادت عليه
 بعد تلك الازعاج . انه لم يكتسب شيئاً
 غير الشرف ولم يربح الا فتاةً بديعة الجمال

يسلوب وجودها ما كاده من المشاق وقاسا
 من العناء فقد ملكت قلبه وسحرت له
 ملكتك القلب فرقاً به
 ما احسن الاحسان بمن ملك
 استغفر الله فما انت من
 هذا الملا ما انت الاملك
 وفي الواقع ان الارض لا تطاف في
 اقل من المدة التي قضاها المسافر فيلاس
 فوج في ذلك الطواف
 (تمت)